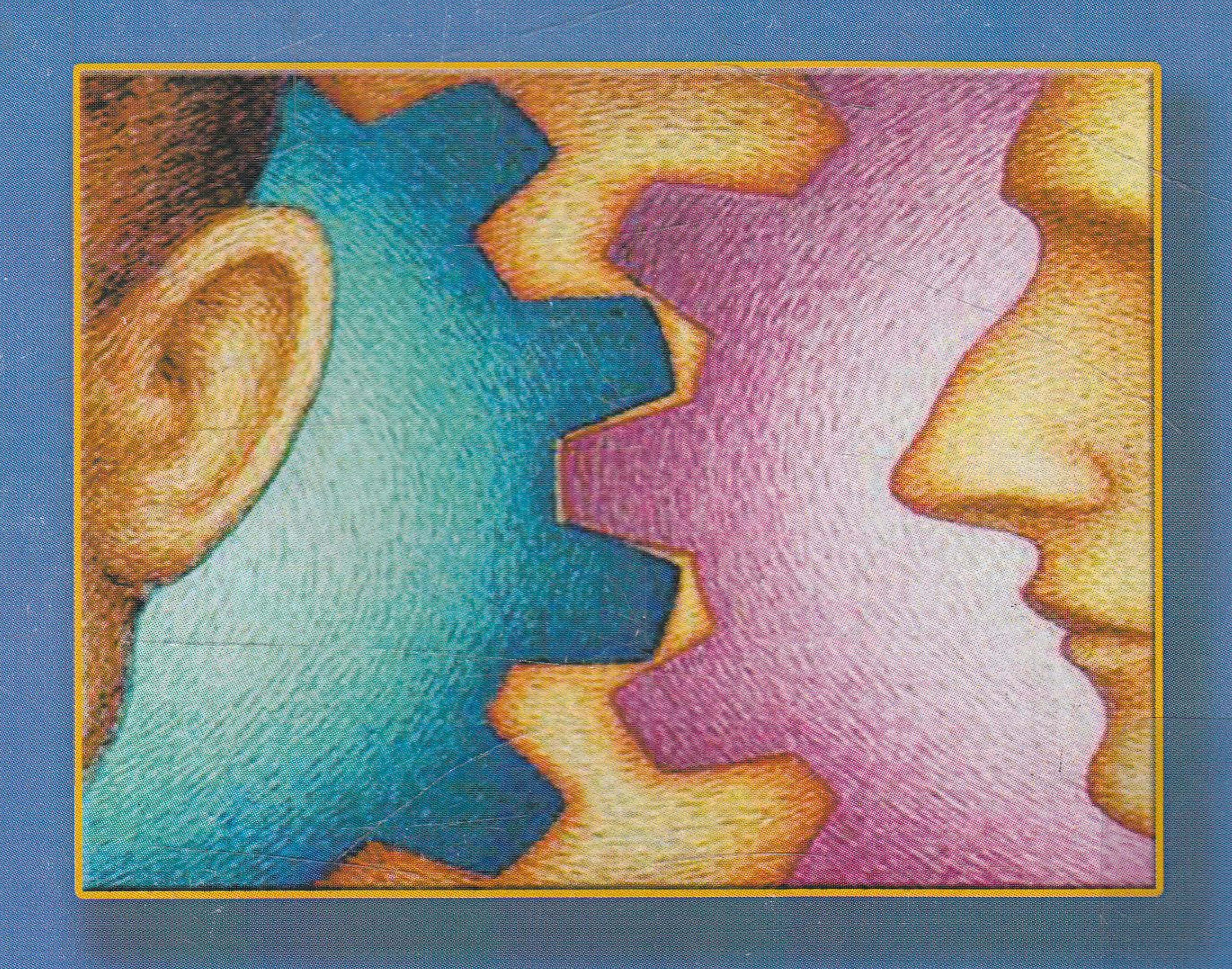






الدكتور
عدنان أحمد زهران

الحرب النفسية

الحرب النفسية

الدكتور
عدنان زهران

مفكر وسياسي

الطبعة الأولى

1432 هـ- 2012م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
2012م

زهران، عدنان

الحرب النفسية / عدنان زهران.- دار زهران للنشر والتوزيع، 2012.

(   ) ص.

ر.أ. :

الواصفات: الحرب النفسية//

- أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي

دار زهران للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5331289 – 6 – 962+، ص.ب 1170 عمان 11941 الأردن
E-mail : Zahran.publishers@gmail.com
www.darzahran.net

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تطفو على السطح أخبار كاذبة ملفقة، وأحياناً تطفو أخبار صادقة، لكنها تحمل في طياتها أساليب التهويل والتلفيق، وقد تكون بأثواب مزركشة براقة، فتتلقاها آذان صاغية، تنقلها إلى قلوب واجفة، أبصار أصحابها خاشعة خائفة ليس من ربها، بل من مخلوقاته، فتعمل هذه الأخبار فعلها في النفوس فتحدث في هذه النفوس أمور نفسية متعبة.

وتمر الأراجيف على أصحاب النهي والقلوب الراسية، فلا تزيدها إلا ثباتاً، وسرعان ما تنقشع فلا تؤثر في أصحابها ولا تهزمهم من الداخل أو من الخارج، بل يشتد أزرها أمام هذه الموجات المتلاحقة وتنظر إليها إنها جيوش غبارية عاصفة. كل ذلك لأن الناس يقفون من هذه الشائعات مواقف مختلفة حسب نفسياتهم المختلفة، وقلوبهم المتأثرة وغير المتأثرة، وثقافاتهم المتباينة.

كانت الإشاعات قديماً محصورة باللسان وما ينتج عنه من أقاويل وأشعار ونحوها، فتطورت الإشاعات وشاعت ويرجع هذا التطور إلى أسباب كثيرة منها: الأسباب والأغراض التي تثار من أجلها الإشاعات، فضلاً عن أهداف الدول التي ما فتئت تخصص لها الأجهزة العاملة على تنظيمها وترتيبها، حتى غدت أساساً في انتشار الجيوش وهيمنة الأمم القوية على الأمم الضعيفة، ولقد تطورت حتى غدت غزواً ثقافياً وما أدراك ما الغزو الفكري الثقافي!

تعـددت وسـائل الدعايـة وبالـتالي أنعكـس ذلك على انتشار الإشاعة ووصولها بطـرق شـتى، وتقدمـت وسـائل الإتصـالات فصار للإشاعة أقدام تسير بها، بل وأجنحة تعـبر بهـا القـارات فضـلاً عـن تلـوث أثير الكرة الأرضية، فغدت تغزو الفضاء، فأخذت تأسـر القلـوب، ناهـيك عـن غـزو الألـباب؟ وصارت معول هدم سريع تفعل في نفوس الناس ما تفعل ....!.

أثـرت الإشـاعة تـأثيراً كـبيراً في الأمـة العربـية منذ جاهليتها، فكانت محط أنظار فـارس مـن الشـرق والجـنوب والـروم مـن الشمال والغرب والجنوب على اليمن وعلى الكعـبة المشـرفة فهـذا قـبل أبـرهة ومـا سـبقه مـن تهويل، وهذه دولة الغساسنة من صنع الـروم، فضـلاً عـن المـناذرة مـن صـنع فـارس، وقـد رافق كل ذلك إشاعات حول الأمة العربية، وطرق السيطرة عليها.

ولـما ظهـر الإسلام قوة فاعلة وصار محط أنظار الروم في بلاد الشام وما رافقه من إعـداد الجـيوش ومـا ينتج عنه من معارك هزمت الروم، ومثل ذلك فعلت الفرس فكانت نتيجـتها هزيمـتهم في القادسـية، وتطـور التحفـيز بالإشـاعة والحرب المضادة من الروم إلى الحـروب الصـليبية، ولم يسـكت الفـرس، فهـذه الشعوبية وقد عرفنا تأثيرها من قبل أبناء الفرس.

ثـم تطـورت الإشـاعة مـع كـبر طمـع الطـامعين في خـيرات هذه الأمة، فكانت شـائعاتهم تعمـل بمعمول الهرم في جسد هذه الأمة، حتى صرنا إلى ما وصلنا إليه من تقدم قومـي بعـد أن كـنا أمـة مـن حـدود الصين إلى المحيط الأطلسي، ثم ازددنا تفتتاً، فأصبحنا عـلى مستويات إقليمـية، ونسـأل الله تعـالى العلـي القديـر أن لا نصل في تفتتنا إلى حيث المدينة والقرية داخل الأقطار الإقليمية.

إن مـا نعيشـه حالـياً مـن نعرات قبلية، أو جهوية، أو فئوية لهو دليل واضح على مفعـول الإشـاعة، وأثرها في هذه الأمة، ولذا وجب على أصحاب العقول النيرة، والنخبة المـثقفة، فضـلاً عـن دور أولـي الأمـر والـنهي، أن يقفـوا بالمرصاد لسد أي خلل تنفذ منه

إشاعات الغرب المغرضة، تلك الإشاعات التي تعمل على تمزيق أوصالنا، وتشتت شملنا، وتفتيت عضدنا، وعلينا جميعاً التماسك والتوحد حيال كل تلك المناورات والمؤامرات التي تستهدفنا، أن نكون يداً واحدة فأن يد الله فوق يد الجماعة.

لذا فقد كان هذا الكتاب حاوياً، مفصلاً، ومعرفاً بالإشاعة، وآثارها ووسائلها وتطورها عبر العصور، ومبيناً أغراضها وأهداف من يقف خلفها على نشرها وبيان تأثيرها علينا عبر العصور إلى أن وصلنا إلى ما وصلنا إليه!

أسأل الله العلي القدير أن يفي هذا الكتاب بالغرض وأن ينتفع به.

والله من وراء القصد وهو حسبي

الدكتور

عبد الرحيم محمد السلوادي

تمهيد

اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات التي تحوي معنى الإشاعة، وكلها تنبه وتحذر المسلمين من تأثيرها عليهم وعدم تأثرهم بها، وجل مصدر الإشاعة من أعداء المسلمين أي من الكفار، وجعل الله سبحانه وتعالى العقاب والغضب على من يعمل بهذه الإشاعات ويأخذ بها كما في الآيات التالية:

يقول سبحانه في كتابه الكريم قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

ويقول تعالى:﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[4].

---

(١) الممتحنة ٦٠: آية ١

(٢) آل عمران ٣: آية ١١٨

(٣) النور ٢٤: آية ١٩

(٤) النحل ١٦: آية ١٠٦

ويقول تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [1].

ويقول تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [2].

ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [3].

ويقول تعالى أيضاً: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [4]

وقال رسول الله ﷺ (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ) [5] صدق رسول الله.

وقال ﷺ لنعيم بن مسعود ((فخذل عنا بما شئت فإن الحرب خدعة)) [6].

والإنسان قد يكون معرّضاً للصواب والخطأ وقد يضلّ طريقة، واحتمالات الخطأ عند الإنسان أكثر من احتمالات الصواب. ويقول الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني في كتابه (أن الإنسان بطبعه ضعيف يعتريه النسيان، وقد يخضع لأنواع الشهوات والأهواء والمغريات، وقد تغلبُ فكره الحِيَل، وقد تُزيفُ الحقائق أمام ناظريه. ولكي ينجو الإنسان من ضلال الفكر فلا بدّ له من المعالم الهادية والدلائل المرشدة، والبراهين الساطعة. وغاية

---

(١) آل عمران ٣: آية ١٨٦

(٢) المائدة ٥: آية ٦٤

(٣) الحجرات ٤٩: آية ٦

(٤) لقمان ٣: آية ٦

(٥) الحديث صحيح ذكره البخاري في صحيح البخاري، باب الجهاد رقم ١٢٢، كما أشار لفيف من المشرقين: المعجم المفهرس، ٦/ ٤٦٠.

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣، ١٣٧-١٣٨.

خلق الإنسان هي عبادة الله سبحانه وتعالى، وقد بين الله تعالى مهمة الإنسان في هذه الأرض حين خلقه، وحدد غاية وجوده[1]) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ [2].

ويقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ • فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ • قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ • قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ • قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ • وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ • قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ • قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ • إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ • قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[3] .

وأمر الله آدم أن يسكن الجنة بعد أن خلق له حواء يسكن إليها وأباح لهما كل شيء في الجنة إلا شجرة عيّنها لهما، ولكن إبليس وسوس لهما بالأكل منها وأغراهما بأنواع المغريات وقال إن ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لأن الأكل منها يجعلكما من الملائكة أو تكونا خالدين ولا يقرب الموت والفناء ساحتكما، وقال لآدم (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى)[4] ولم يزل يفتنه حتى نسى آدم أنه عدوه الذي أبى السجود له

---

(١) إبراهيم زيد الكيلاني: الفكر العربي الإسلامي، ١٥.

(٢) البقرة ٢: آية ٣٠.

(٣) سورة ص ٣٨: آية ٧١-٨٣.

(٤) سورة طه ١٢٠: آية ١٢٠

وأن الله حذره منه أشد الحذر[1] لقوله تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[2].

ومما يتقدم نستلخص أن (الإشاعة قديمة قدم خلق الإنسان، وسوف تعيش ما عاش الإنسان، ولا يكاد يخلو مجتمع منذ فجر التاريخ الإنساني من إشاعة، لأن النفس الإنسانية فيها القابلية لهذا الأمر، وفيها الإستعداد أن لم تتهذب بالقدر الكافي)[3].

والعظة من قصة آدم كما يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء، أن الإنسان مهما أوتي من التجلّي والكرامة ففي طبعه الضعف فهو عرضة لأن ينسى ويأتي ما لا يتفق مع إجلال الله له كما في نسيان آدم وصية الله تعالى، فأطاع إبليس الذي هو أعدى أعدائه.

وعندما عاتب الله آدم على مخالفته أمره والأكل من الشجرة ندم آدم وأخذ يعتذر فطرده وحواء من الجنة وطرد إبليس فقال عز وجل: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[4].

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، وهداه واجتباه، ويقى هو وبنوه الذين أتى بهم من حواء في الأرض، لتبدأ معركة الشياطين معهم، ومعركة الخير والشر فيقول الدكتور أحمد نوفل (فمنذ فجر التاريخ والصراع دائر بين الناس على كل شيء، وعلى السيطرة على النفس الإنسانية باعتبارها مجالاً مهما من مجالات الصراع)[5].

---

(١) عبد الوهاب النجار - قصص الأنبياء، ٨.

(٢) سورة الأعراف ٧: آية ٢٢.

(٣) احمد نوفل - الإشاعة.

(٤) الأعراف: آية ٢٤.

(٥) احمد نوفل م . س، ١٨.

ويقـول أيضاً (النفس عالم واسع هائل قابل للتغير والتشكل والصعود والهبوط، والله تعالى جعلها كذلك ليبتلي الإنسان ويمتحنه) كما قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[1].

ويضـيف أيضاً الدكتور أحمد نوفل، (لقد حاول العلم أن يتعرف إلى النفس الإنسانية، ثـم وظفـت هـذه المعـرفة في محاولـة السيطرة على هذه النفس، وقد سميت هذه المحاولات في الصـراع، الحـرب النفسـية، أو حـرب المعـنويات، أو وحـرب الكـلمة، وهي ما عرفته أجهزة الإعـلام باسـم الحـرب الباردة، (Cold War) وعلى الرغم بأن هذه الحرب لا يستعمل فيها الـنار، ووسـائل الـتدمير الماديـة، إلا أنهـا الأطول والأخطر، وتعد الحرب النفسية أخطر أنواع الحـروب لأنهـا تستهدف في المقـاتل عقلـه وتفكـيره وقلـبه. لكي تحطم روحه المعنوية وتقتل الإرادة. وتعـرف الحـرب النفسية أو الباردة بأنها (الإستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتهي إليها مـن الإجـراءات الموجهـة إلى الدول المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة الموجهه أهدافها). [2]

كمـا تعـرف أيضـا بأنها حدوث توتر شديد في العلاقات بين دولتين مما يؤدي إلى نشـوء نـوع مـن الحـرب الإعلامـية بيـنهما وذلك باستخدام كافة وسائل الإعلام ومحاولة تدمـير الجـبهة الداخلـية للـبلاد عن طريق الشائعات وايقاظ النزاعات الاجتماعية المندثرة بالإضـافة إلى الـتحدي الدبلوماسـي والإقتصـادي والـتجاري بـين الدولتين. والإشاعات

---

(١) الشمس ١٩: آية ٧-١٠

(٢) د. أ. أحمد نوفل – الإشاعة، ٨.

جزء حيوي من الحرب النفسية، وهي وسيلة البلبلة في الحرب والسلم والبلبلة الفكرية والنفسية مفتاح إلى تغيير الإتجاهات[1] واللعب بالعقول ثم السيطرة وغسل الدماغ[2].

ويجب أن نذكر أن الإتجاهات يمكن تعديلها، فيعتقد علماء السلوك الإنساني بإمكانية تعديلها. والإشاعة سلاح بيد المنحرفين يستعمل للسيطرة على الإتجاهات الشعبية وزعزعة الوحدة الفكرية والإنتماء والتماسك الاجتماعي.

وأما عن ديناميكية شخصية الإنسان فهي غير ثابتة، وهي متغيرة من زمان لزمان، ومن حاله إلى حاله، ومن موقف لموقف، وهذا التغير لا يعني أن تفقد الشخصية نوعاً من الثبات النسبي، ويقول الدكتور أحمد نوفل: (نحن في العالم الإسلامي نتعرض لأ خطر حرب نفسية وأكثرها تركيزاً وشراسه، كوننا حملة الرسالة الخاتمة، ولكوننا أصحاب أعظم ثروات ينتظر لأصحابها إن هم تحركوا في الإتجاه السليم أن يسودوا العالم. ولذلك شنت هذه الحرب لتهديم النفوس، وشل الأرادات)[3].

وسنأتي فيما بعد في صفحات هذه الكتاب ونتحدث عن (الغزو الثقافي) التي اتخذها أعداء الإسلام لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وهي جزء من الحرب الباردة. أو الحرب النفسية.

سلكنا في بناء هذا الكتاب طريقاً سلساً أوضحنا فيها التعريف بالإشاعة ومراحلها في التاريخ، وبينا آثارها في الحرب العالمية مع بيان آثارها على بعض الشخصيات التاريخية، فضلاً عن الحرب النفسية.

---

(١) الإتجاهات، تعكس كيفية شعور الفرد أو حكمه على شيء أو شخص ما. ومصادر الإتجاهات هي: الأسرة، والتنشئة الاجتماعية، والرفاق، والجماعات، والمؤسسات التربوية التعليمية، والتعاليم الدينية. وكذلك الخبرات السابقة.

(٢)د. أ. أحمد نوفل – الإشاعة، ٨.

(٣) م . ن ، ٩-٨

ثـم عرجـنا عـلى الإشاعة والغزو الثقافي مع بيان مفاهيمه وأهدافه وأساليبه، مع بيان ما فعله العدو الصهيوني بالمسجد الأقصى وما أحاطوه من إشاعات .

ومـع تقـدم الأيـام وتطـور وسـائل الإعـلام والمعلوماتـية، أشرنا إلى أثر الإشاعة وشـيوعها في الأمـة والعمـل عـلى تدميرهـا وخصـنا أهـم الطـرق الـتي تـؤدي إلى قتـلها ومحاربتها.

أنهيـنا هـذا الكـتاب ببيان الإشاعة وأثرها على صدام حسين رئيس العراق سابقاً ومدى تأثيرها في حرب الخليج.

ونـود التـنويه أخيراً إلى أننا لم نثقل هذا الكتاب بالحواشي الكثيرة، واكتفينا أحياناً بذكـر المؤلـف وكـتابه في الـنص كـي لا نعمـل على تشريد ذهن القارئ أولاً وكي نخرجه وحدة متماسكة ثانياً، وليكون سلساً سهل التناول.

ونسـأل الله أن يكـون سلوكنا هذا في بناء هذا الصرح تاماً ومفيد، ونسد به فراغاً في المكتبة العربية والإسلامية.

الفصل الأول
الإشاعة

تعريف الإشاعة:

لغوياً: الإشـاعة مـن الفعـل الماضـي شـاع بمعـنى تفـرق، وشاع الشيب إذا ظهر وتفـرق، وشـاع الخـبر في الـناس إذا انتشـر وافترق وذاع وظهر وشاع في الناس: إذ أتصل بكل واحد ما سوى علم الناس به وإشاعة الأخبار المتشرة[1].

اصـطلاحاً: عـبارة عـن نشـر خبر قد يكون صادقاً نيعرفه من كان يجهله أو كاذباً لتحقيق هدف خاص فيعتمد بصحة طبقة من الناس.

وقـد عـرفها أحمد إسماعيل أبو مشرف بأنها: الإشاعة عبارة عن كلام صادر من جهـة مـا يقصـد بـه نشـر أشـياء موجـودة فعـلاً، و غير مرغوب بسماعها، وإظهار شيء بأفضـل، وتعمـيمها عـلى البسـطاء مـن الـناس لتتداول بشكل عفوي، حتى تصير كلاماً موثوقاً به ويصدقه حتى مروجي الإشاعة.[2]

وعـرفها او لـبورت (كـل قضية أو عبارة مقدمة للتصديق، تتناقل من شخص إلى شخص، دون أن تكون لها معايير أكيدة للصدق).[3]

ويعـرفها صـلاح نصـر:هـي اصطلاح على رأي موضوعي مفيد كي يؤمن به من يسـمعه، وهـي تنتقل عادة من شخص إلى آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل.[4]

---

(١) ابن منظور: لسان العرب /٧/ ٢٦٠-٢٦١.

(٢) أحمد إسماعيل أبو مشرف – الإشاعة ودورها في حرب الخليج الثالثة.

(٣) لوبون: سيكولوجية الإشاعة، ينقلها عنه محمد القحطاني: الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع، ١٢.

(٤) صـلاح نصـر: الحـرب النفسية معـركة الكـلمة والمعتقدات وينقل عنه محمد القحطاني: الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع، ١٨.

أو هـي: الأحاديث والأقوال والأخبار التي يتناقلها الناس، والقصص التي يرونها دون التثبت من صحتها أو التحقق من صدقها.

فالشـائعة الـتي تـنقل عن طريق الأفراد والصحف والمجلات والتلفزيون أو أجهزة الإعـلام الأخـرى قـد تكـون سـليمة تحمـل آمالاً طيبة للمستقبل وقد تكون مدمرة تحمل الكراهية مستخدمة في ذلك أنسب الظروف لظهورها. [1]

هـناك مـن يصـف الإشـاعة بأنها لا تقل خطورة عن ترويج المخدرات، فكلاهما مـروجان يسـتهدفان قـتل النفس، وشل الفكر، وتدمير الإرادة، وتحطيم المعنويات، والنيل مـن سـلامة الأبـناء الذيـن يشـكلون تماسـكاً صـلباً للجبهة الداخلية، وكلاهما يستهدفان تحقـيق أغـراض دنيئة، وأهداف يقصدون من ورائها الهدم[2] ومن الأمثلة على ذلك الغزو الغـربي الموجّـه للعـالم الإسلامي التي عملت على إخراج المسلمين من الإسلام لإضعاف العقـيدة في نفوسـهم، لـيحل محلـه البـناء الجديـد الـذي وضـع الغـرب حقيقته وصورته، وكذلك تقبل نمط الحياة الغربية، وهو ما سنأتي عليه فيما بعد بهذا الكتاب.

ومـن صـفات الشـائعة التـناقض، فقـد تـبدأ على شكل حملات هامسة، أو تهب كـريح عاصـفة عاتية، وتهتم الشائعة عادة بموضوع معين، والإهتمام به يكون مؤقتاً، فهي تـروج في الظـروف الملائمة للموضع ثم تنتهي بموتها ودفنها، على أنه من ناحية أخرى قد تعـاود الظهـور مـرة أخـرى إذا ما وجدت الأرض الخصبة المناسبة[3] ويجب أن نفرق بين الخبر والشـائعة، فالخـبر يعـتمد عـلى الـبراهين والدلائـل، أمـا الشـائعة فإن برهانها غير واضـح. فالخـبر يعتـبر خبراً صحيحاً ولكن حينما يبدأ نقل الخبر بين الأفراد مبتعدين عن حقـيقة مـا جاء به ، فمن هنا تبدأ الشائعة بالظهور ويستمر ترديدها دون برهان ولا دليل،

---

(١)محمد القحطاني: الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع، ٥.

(٢)محمد القحطاني: الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع، ١٣.

(٣) م . ن ، ١٧.

حتى لا يكاد يصدقها الكثير من الناس الأمر الذي تأخذه في النهاية أسلوباً معيناً في الترويج[1]

والشائعات يتناقلها الناس همساً أو علانية الى أن يعرفها الجميع في النهاية. والشائعات تروج عندما تكون للأحداث أهمية في حياة الأفراد أو عندما لا ترد عنها أخبار قاطعة، أو عندما تكون الأخبار غامضة.[2]

(١) محمد القحطاني: الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع، ١٨.

(٢)م . ن ، ١٨.

سمات الإشاعة وأنواعها

نظراً لأهمية الإشاعة، وكونها سبباً في تحقيق بعض الأهداف، فضلاً عن تأثيرها المدمر في كيان الأمة فأننا سنوضح أهم سماتها الأساسية والثانوية ومنها:-

الأولى: سمة الغموض فهي بلا برهان أو مصدر أو دليل واضح.

الثانية: سمة الأهمية فهي ذات موضوع مهم بالنسبة للوسط الذي تنتشر فيه.

إن شدة سريان الإشاعة يتوقف على درجة غموضها وأهميتها، كما أن فرص انتشارها تزداد كلما كان هناك تناسق وانسجام بين مضمونها والوسط والظروف التي ترمي بها. بمعنى آخر أن الإشاعة تساوي حاصل ضرب وتفاعل ما بين عنصري الغموض والأهمية. فإن كان هناك موضوع غامض المصدر وغير مهم بالنسبة للوسط لا وجود للإشاعة وإذا كان هناك موضوع واضح المصدر ومهم فلا وجود للإشاعة أيضاً.

إضافة إلى هاتين السمتين هناك سمات فرعية أخرى مثل:-

١. سمة الشفاهية، حيث لا تنتقل الإشاعة بطريقة مكتوبة بل إنها في الغالب تنتقل بالشفاه.

٢. ثم هناك سمة الإختصار، حيث في الغالب تكون الإشاعة مختصرة قصيرة وليست مسهبة طويلة.

٣. وفي الأخير تتميز الإشاعة بصفة الإنسجام المترتبة على سمة الأهمية أي انسجام موضوع الإشاعة مع الوسط الذي تنتشر فيه، وهذا الإنسجام لا يتوفر إلا بعد أن يكون موضوع الأشاعة موضوعاً مهماً في هذا الوسط.

شروط نجاح الإشاعة

أما شـروط لنجاح الإشاعة وأسباب ترديدها فتقف ورائها عوامل كثيرة تتمثل بما يلي:-

١. قلـة وانعدام المعلومات حول موضوع ما يساعد على خلق الظرف والمناخ المناسبين لـنجاح وانتشـار الإشـاعات الـتي تقـوم عـلى موضوعات تقل أو تنعدم المعلومات بشأنها.

٢. أن أوقات الحروب والأزمات والكوارث والتوترات وكل ما يؤدي إلى عدم الإستقرار هي شرط يوفر ظرفاً مناسباً وأرضاً صالحة لزراعة الإشاعات وانتشارها ونجاحها.

٣. غـياب الصـراحة والشـفافية والحـوار مـا بـين الحـاكم والمحكومين يمثل شرطا لخلق ظرف مناسب ومناخ مناسب على انتشار وصناعة ونجاح الإشاعات.

٤. عـامل الفـراغ، يـؤدي إلى تفـريخ صـناع الإشـاعات فغالـباً مـا تكثر الإشاعات في وصـناعتها وانتشـارها ونجاحهـا وسـط العـاطلين عن العمل الذين يمتلكون أوقات الفراغ فلا ينشغلون إلا بالقيل والقال أي بالإشاعات.

٥. عـامل الجهل والجنس والعمر، فالأمية والجهل تمثلان ظروف مناسبة لإنتشار ونجاح الإشـاعات وبالنسـبة للجـنس فـيقال أن الشائعات تنتشر في الأوساط النسائية أكثر مـنها في الأوسـاط الرجالية. كذلك فإنها بالنسبة للعمر تكثر وتنتشر بين كبار السن المتقاعدين عن العمل أكثر منها عند الشباب المنتجين.

مراحل تكوين الإشاعة

وعن مراحل تكوين الإشاعة وصناعتها يرى العالم النفسي الروسي المشهور (باسيو) إن الإشاعة في تكوينها وصناعتها تمر بثلاث مراحل هي:-

- المرحلة الأولى:- مرحلة الإدراك الانتقائي:- أي إدراك الخبر أو الحدث من جانب شخص أو عدد من الأشخاص يحملون خصائص محددة. فهؤلاء وان كانوا أذكياء في انتقاء الحدث أو الموضوع، فإنهم يشعرون بالإضطهاد، أو عدم الثقة بالنفس أو بضعف الإنتماء والولاء، أو بعدم التكييف أو التكيف الخاطئ مع الجماعة. وهؤلاء يدركون بشكل انتقائي الموضوع الذي سيكون مادة أساسية للإشاعة.

- المرحلة الثانية:- مرحلة التنقيح:- فبعد إدراك الموضوع أو الحدث تبدأ مرحلة التنقيح أي الحذف والإضافة والتعديل والتحوير بما يتصل بهذا الموضوع أو الحدث المنتقى الخاص بالإشاعة. وفي هذه المرحلة يتم اعتماد الأفكار المسبقة المخزونة في الذاكرة الشعبية، او المتمثلة بالكلمات او العبارات الرمزية المفهومة بشكل شائع وواضح ومفصل لدى الوسط الذي يراد نشر الإشاعة فيه. وهذه الأفكار المسبقة التي يتم استخدامها مع بعض الحذف والإضافة تسمى في علم الاجتماع السياسي بـ (الجمعيات السياسية).

- المرحلة الثالثة:- مرحلة الانطلاق والانتشار النهائي للإشاعة. وتبدأ هذه المرحلة عندما تصبح جاهزة وسهلة الاستيعاب ومتمشية مع أفكار وقيم الوسط الذي ستنتشر فيه.

أهداف الإشاعة

الإشاعة: إن كل إشاعة تستهدف خلخلة الرأس العلم، وبلبلة الأفكار وإثارة الانفعالات وبالتالي التأثير سلباً في الرأي العام.

وتتلخص أغراض الإشاعة وان كانت تنتهي إلى ما تمت الإشارة إليه. فيما يلي:-

- **هدف أو غرض طمس أو إخفاء حقيقية الشيء:** وهي تعتمد نشر الدخان الكثيف لطمس وإخفاء حقيقة ما وتسمى أحياناً الخداع. وهذا النوع من الإشاعات نراه في اغلب التحركات العسكرية لأية دولة قبل وأثناء الحرب وحتى في أوقات السلم أيضاً. مثل إطلاق شائعات حول تحرك عسكري حصل أو مرتقب لكتيبة أو فرقة عسكرية من قبل دولة ما الغرض منه التمويه والإخفاء للتحرك الحقيقي، فتحرك القوات العربية قبل حرب تشرين عام ١٩٧٣م وما أطلق من شائعات التمويه يدخل في هذا الإطار.
- **هدف أو غرض التقليل من شأن وهيبة العدو:** فعلى سبيل المثال أثناء الحرب العالمية الثانية أطلق الألمان إشاعة تفيد أن أهم محطة إرسال إذاعية ألمانية تعرضت للقصف من قبل قوات الحلفاء الأمر الذي أدى إلى تعطيل الإذاعة وانقطاع البث فسارعت محطات العدو وخاصة الإنجليزية التبجح بقوة الحلفاء، وعندما تم تصديق هذه الإشاعة في الوسط البريطاني عادت الإذاعة الألمانية للبث والإرسال لتكذب إذاعة الدولة الخصم وتقلل من مصداقيتها ومن شأنها وهيبتها. كذلك لعل مثال مصر والطائرات الخشبية أثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م. أكبر مثال على ذلك، وخلاصة القصة إن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أمر بوضع عدة طائرات خشبية مكشوفة في عدة مطارات في منطقة قناة السويس، وسربت بعض الشائعات عن وجود بعض الطائرات في هذه المنطقة، وعلمت القوات الغازية بوجود الطائرات، وصدقت الشائعات، فقصفت هذه المطارات والطائرات الخشبية

التي كانت موجودة وأعلنت مسؤوليتها عن ذلك، وما هي إلا دقائق حتى أعلنت وسائل الإعلام المصرية حقيقة الخبر، ودعت بعض الصحفيين الأجانب للتأكد من ذلك.

- هدف أو غرض كشف حقيقة الشيء: وهنا تستخدم الإشاعة كطعم، أو مصيدة للخصم كي يكشف عن حقيقة ما يحاول طمسها، وعدم إظهارها فعندما تعلن دولة ما أن قصفها ضد مواقع العدو أحدث خسائر فادحة في العتاد والرجال بلغ كذا وكذا. إن هذه المبالغة من قبل ناشر الإشاعة ما هو إلا طعم لدفع العدو إلى إعلان خسائره الحقيقية، وهكذا تتمكن الدولة من معرفة خسائر العدو من خلال نشر مثل هذه الشائعة.

ونذكر هنا على سبيل المثال إشاعة أطلقتها اليابان في الحرب العالمية الثانية عندما ضربت ميناء (بيرل هاربر) الأمريكي، فأرادت اليابان معرفة مدى الخسائر التي تكبدها الخصم الأمريكي من جراء هذه الضربة، أطلق اليابانيون إشاعة تفيد أن خسارة هذه الضربة كانت كبيرة مادياً ومعنوياً، الأمر الذي أدى إلى نشر الهلع والخوف في الأوساط الأمريكية، مما دفع بالإدارة الأمريكية بعد تعتيم عن نتائج الضربة، دفعها إلى أن تعلن للشعب الأمريكي حقيقة الخسائر المترتبة على هذه الضربة بالأرقام وهنا تمكن اليابانيون من معرفة حقيقة خسائر هذه الضربة بالأرقام، كذلك فإن هذا الكشف عن الحقيقة الذي ترتب على إطلاق الإشاعة اليابانية في الوسط الأمريكي زود اليابان بمعلومات حقيقة عرفوا من خلالها قدراتهم وقوة أسلحتهم.

- هدف أو غرض تفتيت الروح المعنوية للعدو: ونذكر هنا على سبيل المثال إشاعة الرصاص في الهند أثناء الثورة الهندية على الإنجليز عام ١٨٥٧م حيث استخدم الثوار الهنود بنادق حديثة في الثورة، فاضطر المستعمر الإنجليزي إلى إطلاق إشاعة ونشرها لتصل إلى الأوساط الهندية الثائرة المسلمة وغير المسلمة. ففي وسط الثوار الهنود من المسلمين تقول الإشاعة ان الرصاص أو

الذخيرة المستخدمة في بنادق الثوار محفوظة بعلب مزيتة بزيت الخنازير. أما في أوساط الثوار غير المسلمين ومعظمهم من عبدة البقر تقول الإشاعة إن الذخيرة أو الرصاص الذي يستخدمه الثوار محفوظة بعلب مزيتة بزيت البقر. وفي الحالتين إن الإشاعة حققت أهدافها وأغراضها لأن الثوار نفروا واستنكفوا كلاً حسب عقيدته من التعامل مع هذه الذخيرة فكان لهذا الإشاعة الدور الكبير في تفتيت الروح المعنوية للثوار، وفشلت الثورة بعد ان تخلى الثوار عن أسلحتهم الجديدة.

أنواع الإشاعة

يتخذ أصحاب الإشاعة أشكالاً كثيرة وأنواع مختلفة تلائم كل غرض يريدون الوصول إليه، ويمكن تصنيف الإشاعة كما يلي:-

أما عن أنواع الإشاعات فهي كثيرة أبرزها:-

- الإشاعة الزاحفة:- وهي الإشاعة التي تصنع ببطئ وتروج ببطئ وتتناقل من قبل الناس همساً وبطريقة سرية وتنتهي في نهاية المطاف إلى أن يعرفها الناس جميعاً. وتنمو مثل هذه الشائعات عادة في الأنظمة الإستبدادية والدكتاتورية التي تضيق فيها فسحة الحقوق والحريات.

- الإشاعة العنيفة:- وهي الإشاعة التي يكثر حدوثها ووجودها أثناء الحروب والكوارث والأزمات والهزيمة. إن مثل هذه الشائعات تستند عموماً على العواطف الجياشة كالذعر والخوف، والحربين العالميتين شهدت الكثير من أنواع هذه الشائعات.

- الإشاعة الغاطسة:- وهي الإشاعة التي تظهر ثم تغوص لتظهر مرة أخرى عندما تتهيأ الظروف الملائمة والمساعدة للظهور، ويكثر هذا النوع من الشائعات في القصص المتشابهة التي يعاد ظهورها في كل الظروف المتشابهة. فالعدو الصهيوني حاول أن يعاود نشر العديد من الشائعات في حرب تشرين ١٩٧٣م ضد المصريين، وذلك معتمداً على شائعات مماثلة ظهرت في حرب حزيران عام ١٩٦٧م . ولعل قصة اللسان وطابع البريد المشهور تلقى المزيد من الضوء على هذا النوع من الإشاعات وتتخلص القصة في أن أسير أمريكي عند الألمان في الحرب العالمية الأولى كتب خطاباً وأرسله إلى أسرته. ولم يكن الخطاب يحوي شيئاً غير عادي إلا ملحوظة كتبها الأسير وطلب فيها من أسرته أن تحتفظ بطابع البريد الملصق على الظرف. ولما كانت أسرته تعرف أن ابنها لم يكن يوماً

مـن الأيام من هواء جمع الطوابع، فقد دهشوا لهذا الطلب وقرروا أن يتأكدوا من الأمـر، فـنزعوا الطـابع لـيجدوا تحته جملة تقول:- أن الأعداء قطعوا لسانه. لقد انتشـرت هـذه الإشـاعة أثـناء الحـرب العالمـية الأولى والثانـية بالرغم أن القصة يعوزهـا الدلـيل المادي حيث أن خطابات الأسرى لا تحمل عادة طوابع، كما أن قطـع اللسـان مـن الناحـية العملـية يـؤدي إلى المـوت بكل تأكيد ما لم يقم خبير بإجراء عملية ناجحة.

❖ الإشـاعة الوهمية:- وهي الإشاعة التي تنتج عن الخوف وليس عن الرغبة. مثل هـذه الإشـاعات نسمعها أحياناً ومفادها أن هناك قوى كبيرة وقوية تقف وتؤيد مسـالة الإعـتراف والـتعامل مـع العدو الصهيوني. لذا فإن مسألة كهذه ضرورة يبج السير فيها حتى نتفادى هذه القوة وشرها.

❖ إشـاعة الكراهـية:- ومثل هذه الإشاعة تنتشر من جراء الشعور بالكراهية لنظام أو لحـزب سياسـي مـا، وأسباب هذا النوع من الإشاعات هو الصراع السياسي بـين الكـتل والأحـزاب خصوصاً وقت الإنتخابات فيطلقها مرشح ضد مرشح آخـر. وقـد تشـحن هـذه الإشـاعات بـأنواع مـن الشـتم وتشـويه السمعة لزرع الكراهية في نفوس الناخبين إزاء هذا المرشح المقصود بالإشاعة.

❖ الإشـاعة الورديـة:- وتسـمى أيضاً الإشاعة المتفائلة أو إشاعة التوقع، وغالباً ما تحـتوي هـذه الإشاعات وعوداً إيجابية بتحقيق مصلحة للوسط الذي تنتشر فيها. وان معظـم الـنظم السياسـية والحكومـات تـلجأ إلى صـناعة ونشـر مـثل هـذه الإشـاعات لكسـب الـرأي العـام من جهة ولقياس نبض واتجاهات الرأي العام حـول سياسـة أو قـرار أو إجـراء تـريد تلـك الـنظم او الحكومـات القـيام بهـا مستقبلاً.

مقاومة الإشاعات

ونظراً لتأثير الإشاعة، فأننا نرى من الواجب أن نذكر طرق مقاومتها والسبل الناجحة للعمل على تلافي خطرها وآثارها والحد من انتشارها فهناك سبل وطرق متعددة لتحقيق ذلك، وهي استخدام كل ما يمكن استخدامه للتخلص من كل الشروط والظروف التي تؤدي إلى صناعة وانتشار ونجاح الإشاعات وهذا يقتضي ما يلي:-

- توفير المعلومات الصحيحة، ونشر الحقائق.
- إشاعة روح الحوار والمصارحة بين الحكام والمحكومين.
- توفير فرص العمل للعاطلين والنساء، فضلاً عن توفير النوادي لتسلية المتقاعدين.
- الإهتمام بالعلم والمعرفة، لمقاومة الجهل والأمية اللذان يشكلان ظروف مناسبة لإنتشار ونجاح الإشاعة.
- التحصين الأمني لا سيما في موضوعات ومعلومات تتصل بالسيادة والأمن الوطني وكرامة الوطن والمواطن . وفي هذه الحالة فإن التحصين الأمني لا يعتمد فقط قوة البوليس، والمخابرات، وطرق التشويش الإذاعي، إنما يعتمد على دراسة علمية وتفنيدها تفنيداً علمياً يعتمد التحليل المدروس عن طريق معامل أو مراكز متخصصة في دراسة الإشاعات، والتعامل معها والتصدي لها.

الإشاعة في التاريخ على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

إن الإشاعة قديمة قدم وجود الإنسان، وهذا التاريخ يأتي بصفحات تؤكد وجود الإشاعة مع وجود الإنسان، ولا يستبعد أن تعيش الإشاعة ما عاش الإنسان غير قابلة للاستنفاذ في مواضيع معينة، وأن تأخذ أشكالاً متنوعة، في أوقات مختلفة. ويشير القرآن الكريم إلى كثير من الشائعات التي روّجها الكافرين حول الأنبياء صلوات الله عليهم. فمن الأنبياء نوح الذي قاومه قومه بإشاعة وبفرية يطلقونها حوله، ويبثونها، ويتوارثونها أحياناً. فقد كان قوم نوح قد عكفوا على عبادة غير الله تعالى واتخذوا لهم أصناماً يعبدونها من دونه. فإختار الله تعالى نوحاً من بين أولئك القوم، لينذرهم عذاب الله إذا تمادوا في غيهم وضلالهم، فعتّوا عن أمر ربهم، واجتمع الملأ من قومه كبراؤهم وأهل الثراء منهم على تكذيبه واحتقاره هو ومن اتبعه. واستبعدوا أن يكون واحد منهم لا يمتاز عليهم بالغنى والثراء يأتي لهدايتهم دون أن يكون ملكاً، أو يمتاز بفضل من الغنى والثروة، وأنفوا أن يكونوا مثل الذين اتبعوا نوحاً من الضعفاء. وزعموا أنهم إنما اتبعوه من غير روية ولا أحكام.[1]

وقد اتهم من قومه بأنه يريد التفضل عليهم يتزعم ويتأمر، وفي قوله تعالى:
﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[2].

(١) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ٣٢.

(٢) سورة المؤمنون ٢٣: آية ٢٤

ويقـول الدكـتور أحمـد نوفـل، ومعنى يتفضـل يـتزعم ويـتأمر ويلاحظ، وأن الخطـاب موجّـه لـلجمهور وليس مواجهاً به نوح عليه السلام، وفي هذا دلالة أن المقصود مـن الحملة هو المحافظة على الجماهير في وضع معين، وفي حالة متجمله على ما هي عليه كي يستمر ابتزازها وتسخيرها.

ويضـيف الدكتور أحمد نوفل، وقد اتهموه وجماعته المؤمنة اتهاماً آخر إلا وهو الكـذب[1]، فقالوا: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾[2].

ومـرة ثالـثة رمـوه بالضلال. فيقول الدكتور أحمد نوفل[3]، مؤكدين إتهامهم هذه المـرة، وليسـوا ظانين مترددين كالمرة السابقة يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[4].

ثـم يشـاع عنه الجنون، ويقول سبحانه﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾[5].

وهـذا هـود علـيه السـلام، كان قومه أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى وكـان هـود علـيه السـلام ينذر قومه ويحذرهم بأس الله ويضرب لهم المثل بقوم نوح، مع

---

(١) أحمد نوفل: الإشاعة، ١٩

(٢) سورة هود ١١، آية ٢٧

(٣) أحمد نوفل: م. س، ١٩.

(٤) سورة الأعراف ٧، آية ٥٩-٦٠

(٥) سورة القمر ٥٤، آية ٩

ذلك رموه قومه بالطيش والخفة لقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [1].

ويجدر بالملاحظة، أن الملأ [2] هم الذين كانوا يتولون تصنيع واطلاق ونشر الإشاعات، لأنهم أصحاب المصلحة في معارضة دعوات الأنبياء حتى تبقى لهم السيطرة على القطعان، ثم يردد القوم ما أطلق الملأ من إشاعات بلا وعي وتبعية عمياء. [3]

أما عن موسى عليه السلام، فإنه يحمل دعوة ربه إلى فرعون وملاءه وقومه، ويلح موسى عليه السلام على فرعون بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى في ملأ قومه وذلك يكسر من هيبته ويحط من رتبته، وجه فرعون إلى القوم كلامه متجاهلاً الإله الذين يدعو إليه موسى، وانه سيتخذ الوسيلة للصعود إلى آله موسى لمعرفة هذا الإله، ولعله فهم من قول موسى رب السماء والأرض أنه موجود في السماء. وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء تناله قدرته. فاصدر أمره إلى هامان أن يبنى له صرحاً يأخذ في السماء صعداً حتى ينالها ويطلع إلى إله موسى ثم أردف ذلك بأنه يظن أن موسى كاذب في أن له إلهاً سوى فرعون [4] وعندما طلب آيه من موسى فالقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان لا شك فيه يتحرك ويسعى، ووضع يده في جيبه ثم نزعها فإذا هي بيضاء للناظرين. رأى فرعون والملأ من قومه ذلك فعمدوا إلى التمادي على تكذيب موسى فيما جاء به من الآيتين [5] فيملأ فرعون سماء مصر ويسمم الأجواء بما يطلق من شائعات فيقول:إنه ساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم.

---

(١) الأعراف ٧، آية ٦٥- ٦٦

(٢) الملأ- السادة والرؤساء.

(٣) د. أ. أحمد نوفل: الإشاعة، ٢٠.

(٤) عبد الوهاب النجار – قصص الأنبياء، ١٨٥.

(٥) م. ن ١٨٧، ١٨٨ وقد صور القرآن الكريم في سورة غافر ٤٠، آية ٣٧

يقـول تعـالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [1].

ولقـد تكـرر ذكـر اتهام فرعون لموسى بالسحر مرات عديدة في القرآن، مره على لسان فرعون، ومره على لسان الملأ [2] وبعد ذلك يردد الشعب.

وأمـا عـن اتهـام فرعون لموسى بالظن فيقول:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [3].

ومـره أخـرى يجمـع إلى السحر تهمة الكذب، يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [4].

وأمـا المـلأ فقد كرروا نفس مقولة فرعون، يقول تعالى في كتابه العزيز﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [5].

وهـذا فـرعون أيضـاً يـتهم موسى عليـه السـلام أيضاً بالسحر والجنون، ويقول تعالى: ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [6].

---

(١) سورة الشعراء ٢٦ آية ٣٤- ٣٥.

(٢) أحمد نوفل: الإشاعة، ٢١.

(٣) سورة الإسراء ١٧، آية ١٠١.

(٤) سورة غافر ٤٠، آية ٢٣-٢٤

(٥) سورة الأعراف ٧، آية ١٠٩- ١١٠.

(٦) الذاريات ٥١، آية ٣٨- ٣٩.

ويقول الدكتور احمد نوفل، أن الإشاعة بالقوم بأجمعهم لقيت تصديقاً، فيقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.[1]

وهذا يوسف عليه السلام، أن أمرآه العزيز نظرت إلى يوسف وما هو عليه من الخلق السوي والجمال المفرط فاشعل ذلك في نفسها جذوة الحب وصار ذلك يزداد بتكرر رؤيتها له إلى أن غلبها الحب على حيائها. فأخذت تداعب يوسف وهو يعرض عنها. إلى أن هاج بها هائج. واعتزمت على شفاء ما في نفسها من الصبابة فصارحته القول. ودعته إلى نفسها دعوة. واحتاطت للأمر واخذت عدتها له. وغلقت الأبواب. وقالت ليوسف هيت لك[2].

قال أنه ربي أحسن مثواي أنه لا يفلح الظالمون[3] يقول تعالى:﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۞ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ[4] بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۞ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ

---

(١) سورة القصص ٢٨، آية ٣٦

(٢) هَيْتَ لكَ: أقبل، أسرع: إرادتي لَكَ.

(٣) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ١٢٣.

(٤) للعلماء في تفسير هذه الآية آراء فمنهم من يقول أن امرأة العزيز قد همت بيوسف ليُضاجعها وهو هم بها وانه قعد منها مقعد الرجل من امرأته فلّما لم يبق شيء دون اتمام ما قصدته وقصده جاء جبريل واخبره بانه سيكون نبياً. وهذا العمل لا يليق من الأنبياء فكف عنها. وهذا برهان ربه ومعنى الآية لولا ان، راي برهان ربه لفعل. وهناك أقوال آخرون لا مجال لذكرها في هذا الكتاب.

مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1].

ومما سبق في الآيات الكريمة يتبين ظهور حق يوسف وكذب امرآة العزيز بأن رأوا قميصه قد من دبر-فعاد الشاهد أو العزيز على امرأته باللوم وقال انه من كيدكن عظيم وأمر يوسف بكتمان الخبر وأمرها بالاستغفار لذنبها وصرّح بأنها مخطئة فيما صنعت[2] ويقول الدكتور أحمد نوفل، في قصة يوسف عليه السلام، ويرغم التكتم والتحفظ الإعلامي الشديد من قبل قصر العزيز فإن الإشاعة قد تفشت في نساء مصر، وابتدأن فيها وأعدن، وزدن وبالغن، وقلن: ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.[3]

ويضيف هنا أن هذه الإشاعة هي عين ما حدث بالفعل، فهي على هذا رواية واقعية لما حصل وليست إشاعة، ولكن بالتأمل في الفعل المضارع"تراود" ودلالاته وايحاءاته وعلى طريقة القرآن في الإيجاز وطي التفاصيل. على هذه الطريقة استعمل القرآن الفعل المضارع، ليوحي بما في نفوس النسوة من ظن أن امرأة العزيز تمارس هذه المراودة عن حب مقيم، وضلال مبين، وأن ما حصل ليس لحظة عابرة، وانما فعل مستمر، عبّر عن هذه الظنون والخواطر، الفعل المضارع "تراود" وأكد ذلك جملة مؤكدات تضمنتها الجملة التذيلية (إنّا لَنَراَهَا فِي ضَلال مُبين) من هذه المؤكدات: إن، واللام، واسميه الجملة، والظرفية الموجبة بالشمول(في ضلال) ووصف الضلال بالمبين، واستعمال لفظ الضلال

(١) سورة يوسف ١٢، آية ٢٣- ٣٠.

(٢) قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار، ١٢٥.

(٣) سورة يوسف ١٢، آية ٣٠.

بمعنى الغرام، فهو حب وصل حد الضلال، كل ذلك في كلمات قليلات[1]: (إنّا لَنَراهَا في ضَلالٍ مُبينٍ) ويضيف بملاحظة أخرى في وصول السر الى النسوة، مع أنه لم يشهده إلا أشخاص لا يعقل منهم خروج السر، ولكن الذي يبدو أن النسوة أشعن هذه المقولة دون أن يعلمن بتلك الحادثة، بل من خلال ملاحظاتهن لأمرآة العزيز أثناء زيارتها في البيت، فقد كن يرقبن بعيون النساء المترفات ذاك الفتى وشغف سيدته به[2].

ولما فشت المقولة بذلك رأى العزيز وحسّن له مثيروه أمراً هو أنه لا يخلصهم من العار ويكف ألسنة الناس عنه وعن زوجته إلا زجه في السجن ليخيلوا للناس أنه ما زج في السجن إلا لأنه آثم كاذب في ادعاء البراءة. وأن زوجة العزيز بريئة مما قذفت به، يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[3].

ويقول الدكتور أحمد نوفل ولعل الحين الذي أشارت له الآية هو حين إنتهاء موجه الإشاعات التي عمت المقربين من أصحاب النفوذ، والطبقة العليا في المجتمع.

وبعد أن أُدخل يوسف عليه السلام على غير جريمة أتاها ودخل معه السجن فتيان أحدهما رئيس الخبازين عند الملك والثاني رئيس سقاته، يقول تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۞ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۞ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۞ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ

(١) د. أ. أحمد نوفل – الإشاعة، ٢٦.

(٢) م . ن، ٢٦.

(٣) سورة يوسف ١٢، آية ٣٥.

أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۞ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۞ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ۞ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ۞ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾[1].

وعاد رئيس السقاه الى الملك بتأويل رؤياه فسر بها وعلم انه تاويل مناسب متفق مع الرؤيا. فقال الملك ائتوني بيوسف. فلما أرادوه على ذلك أبى أن يخرج من السجن حتى يعرف أمره على حقيقته وطلب إلى الرسول أن يعود إلى الملك ويسأل عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن[2] ويتداخل معنا الدكتور أحمد نوفل، ويقول عن يوسف عليه السلام، ما كان أشد ذكاءه وأبعد نظره حين طلبه الملك إعجاباً به فلم يستجب، بل طلب فتح ملف القضية، وما ذلك إلا لتتاح له فرصة العمل دون أن تعكر عليه الإشاعات صفوة أو تضعف سلطته ونفوذه، الهمس والتشكيك والإشاعات طلب الرسول أن يعود إلى الملك

(١) سورة يوسف ١٢، آية ٣٦-٤٩.

(٢) عبد الوهاب النجار – قصص الأنبياء ١٢٨.

ويسأل عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن، فلما أعيد التحقيق في القضية وأشرف عليها الملك بنفسه، وقال النسوة ما قلن. قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء وانكرن أن يكن سمعن شيئاً عن شأنه وشأن امرأة العزيز، قالت امرأة العزيز﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [1] وصدر الحكم ببراءته المطلقة من هذه الفعلة في محاكمة علنية مشهودة، عندئذٍ خرج يوسف من السجن وتسلم الصلاحيات والسلطات التي خوله اياها الملك[2] يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۞ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [3].

وأما مريم بنت عمران، فقد نشأت نشأة طهر وعفاف وبُعد عن الإشغاف إلى رذيلة مكلوءة بعناية الله محروسة بحراسته فلمّا بلغت مبلغ النساء وجدت وقتاً في خلوة وحدها فلم ترع إلا بالملك جبريل الذي أرسله الله إليها جاءها على صورة فتى فأخذها الرعب وظنته يريد بها سوءاً فاستعاذت منه ووصفته بعدم التقوى، فاعلمها أنه مرسل من الله تعالى ليهب لها غلاماً زكياً. فأخذها العجب من ذلك. إذ كيف يكون لها ولد وهي لم يمسها أحد من الناس. فهوّن عليها الأمر وأحال على قدرة الله تعالى وهو الاله الذي لا يعجزه شيء وينفخ في جيب درعها فإذا هي حامل[4]. ويقول تعالى: وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۞ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا

---

(1) سورة يوسف ١٢، آية ٥١.

(2) د. أ. أحمد نوفل: الإشاعة، ٢٩.

(3) سورة يوسف ١٢، آية ٥٠- ٥١.

(4) عبد الوهاب النجار – قصص الأنبياء ٣٧٥.

إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا [1] ۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [2].

وحملت مريم بعيسى بمجرد نفخ الملك في جيبها وطبيعي أنها قد مرت بجميع أدوار الحمل إلى أن ولدته.

ولما حان انفصال جنين مريم ألجأها المخاض إلى جذع نخلة هناك في الموضع الذي فيه مدينة بيت لحم وهي على بضعة من الكيلو مترات من بيت المقدس ويقول البيضاوي أن الزمن كان زمن شتاء والنخلة يابسة وإنما كان مجيئها إليها لتستتر بها أو لتعتمد عليها[3] هنا حسبت مريم ألف حساب وحساب لِمَ هي قادمة عليه من لوم اللائمين من قومها وما سيرمونها به من الفاحشة فقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً.

يقول تعالى: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [4].

يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء، فلما أتت قومها وعلى يدها عيسى عليه السلام تحمله، ارتاعوا لهذا الحدث النازل والخطب العظيم، وزاد في ارتياعهم ما كانوا يعلمونه فيها من طهارة المنبت وطيب البيئة ونشأة التقوى التي نشأتها، فأخرجهم ذلك إلى الزراية عليها وتفيضها على ما أتت به من أثم في زعمهم،

---

(١) روحنا جبريل عليه السلام، بشراً سوياً: إنسان مستوى الخلق تامة.

(٢) سورة مريم ١٩، آية ١٦- ٢١

(٣) قصص الأنبياء- عبد الوهاب النجار، ٣٣٩.

(٤) سورة مريم ١٩، آية ٢٣.

وما قارفت من خطيئة وقالوا لها فيما قالوا﴿ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾[1] أي بديعاً منكراً من الأثم ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾.[2]

وفي مداخلة الدكتور أحمد نوفل يقول، هذه مريم، يراها قومها وقد أتت بوللها تحمله، فما يصطبرون، وهم اليهود، فيسألونها ويستبينون الحقيقية، بل يطلقونها إشاعة قاتلة: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۞ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾[3] وأما ثناؤهم على أمها فغير مقصود إنما هو تعريض بها .

يقول تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۞ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾[4]

ويضيف الدكتور أحمد نوفل، ولولا أن السماء دافعت عنها بمعجزة تلوي الأعناق حين تكلم الطفل في المهد لكانت ورطتها مهلكة.[5]

وعن تكلم عيسى بالمهد يقول النبي(ﷺ) عن أبي هريرة رضي الله عنه:عن النبي (ﷺ) قال ((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريجٌ، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أُجيبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريجٌ في صومعته، فتعرضت له امرأةٌ وكلّمته فأبى، فأتت

---

(١) سورة مريم ١٩، آية ٢٧.

(٢) سورة مريم ١٩، آية ٢٨.

(٣) سورة مريم ١٩، آية ٢٧- ٢٨.

(٤) سورة مريم ١٩، آية ٢٧- ٣٠.

(٥) أحمد نوفل: الإشاعة، ٢٦.

راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: مـن جـريج، فـأتوه فكسروا صـومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضّا وصلّى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يـا غـلام؟ قـال: الرّاعـي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال:لا، إلاّ من طين، وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فَمَرَّ بها رجُلٌ راكبٌ ذو شارةٍ، فقال: اللّهُمَّ اجعل ابني مثله، فترك ثدْيَها وأقبـلَ على الرّاكبِ، فقال اللّهمّ لا تجعلني مثله، ثم أقبلَ على ثديها يمصّه – قـال أبـو هريـرة: كأني أنظرُ إلى النبي (ﷺ) يمص إصبعهُ، ثمّ مرَّ بأمةٍ. فقالت: اللـهم لا تجعـل إبـني مثـلَ هذهِ، فترك ثديها، فقالَ: اللهّم اجعلْني مثلها، فقالت: لِمَ ذاكَ؟ فقال : الرّاكب جبّـارٌ مـن الجبابرةِ. وهذهِ الأمة يقولُون: سرقتِ، زنيتِ، ولم تفعل[1] .

ونحن إذا أوردنا هذه الآيات والمقولات والأحاديث النبوية الشريفة لنوضح دور الإشاعة في التاريخ وتأثيرها على الأنبياء والأشخاص في تلك المجتمعـات كيـف تحـورت حسب الأهواء والرغبات.

---

(١) رواه البخاري: المختصر رقم ٣٤٣٦.

إشاعات الجاهلية

(الإشاعات التي روجها اليهود والكفار والمنافقون حول خاتم النبين(ﷺ))

نودُّ التحدث عن بعض اخلاق الرسول (ﷺ) قبل البعثة، فهذه خديجة بنت خويلد، كانت امرأة تعمل بالتجارة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال من مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه نصيباً لقاء أجرهم، فلما بلغها عن رسول الله صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج في مالها الى الشام يرعى تجارتها وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره، ومعه غلامها ميسرة. وقد قبل محمد (ﷺ) هذا العرض فرحل إلى الشام عاجلاً في مالها ومعه ميسرة. فحالفه التوفيق في هذه الرحلة أكثر من غيرها. وعاد إلى خديجة بأرباح مضاعفة، فأدى لها ما عليه في أمانة تامة ونُبل عظيم. ووجد ميسرة من خصائص النبي(ﷺ) وعظيم أخلاقه ما ملأ قلبه، دهشةً له، وإعجاباً به فروى ذلك لخديجة، فأعجبت خديجة بعظيم أمانته،ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه، فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها نفيسة بنت منيّة، فوافق النبي(ﷺ). وتزوجها عليه السلام وقد كان له من العمر خمسة وعشرون عاماً ولها من العمر أربعون[(١)]

ويقول الدكتور محمد البوطي في كتابهِ فقه السيرة النبْوية. أما قصة زواجه (ﷺ) منها، فإن أول ما يدركه الإنسان من هذا الزواج هو عدم اهتمام الرسول (ﷺ) بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتماً بذلك كبقية أقرانه من الشبان لطمع بمن هي أقل منه سناً أو بمن ليست أكبر منه على أقل تقدير. ويتجلى لنا أنه (ﷺ) إنما رغب لشرفها ونبلها بين جماعتها وقومها حتى إنها كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة. [(٢)]

---

(١)د. محمد البوطي: فقه السيرة النبوية، ٦١.

(٢)م . ن ، ٦٣.

وظـل هـذا الـزواج قائمـاً حـتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاماً، وقد ناهز الـنبي (ﷺ) الخمسـين من العمر، دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أو فتاة أخرى. ومـا بـين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الإستزادة من النساء، والميل لتعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكـن محمـداً (ﷺ) تجـاوز هـذه الفـترة مـن العمـر دون أن يفكر بأن يضم إلى خديجـة مثـلها من الإناث: زوجة أو أمة، ولو شاء لوجد الزوجة والكثير من الإماء، دون أن يخـرق بذلـك عـزماً أو يخـرج عـلى مألوفـاً وعـرفاً بين الناس، هذا على الرغم من أنه تـزوج خديجة وهي أيم، وكانت تكبره بما يقارب مثل عمره[1] ويضيف هذا ما يلجم أفواه أولـئك الذيـن يأكل الحقد أفئدتهم على الإسلام وقوة سلطانه، من المبشرين والمستشرقين وعبـيدهم الذيـن يسـيرون مـن ورائهـم، يـنعقون مـا لا يسـمعون إلا دعاءً ونداء[2]، فقد ظـنوا أنهـم واجدون في موضوع زواج النبي (ﷺ) مقتلاً يصاب منه الإسلام، ويمكن أن يشـوّه مـن سمعـة محمـد (ﷺ)، وتخيلوا أن بمقدورهـم أن يجعلـوه عند الناس في صورة الـرجل الشـهواني الغـارق في لـذة الجسـد العـازف في معيشته المنزلية ورسالته العامة عن عفـاف القلـب والـروح. وموضـوع زواجـه (ﷺ) هـو وحده الدليل الكافي على عكس ذلـك تماماً. فالرجل الشهوان، لا يعيش إلى الخامسة والعشرين من العمر في بيئة العرب في جاهليتها، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة[3].

وللأسـف فقـد اسـتمرت هـذه الإشاعات إلى يومنا هذا يزيد المر مراره أن بعض المسلمين تناقلوها وجبلوها مع أفكارهم الضعيفة الضالة، وأخذوا فيها.

---

(١) د. محمد البوطي: فقه السيرة النبوية، ٦٣.

(٢) م. ن، ٦٤- ٦٣.

(٣) م. ن، ٦٥.

أما زواجه بعد ذلك من عائشة ثم من غيرها، فإن لكل منهن قصة، ولكل زواج حكمه[1] يقول تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.[2]

الرسول (ﷺ) قدوة للإنسانية وأي قدوة. فهو أعظم قدوة للإنسانية كلها في تاريخها الطويل، ولقد كان رسول الله (ﷺ) آية من آيات الله حيث تجمعت فيه شخوص كثيرة مجتمعه في شخص واحد. وقد واجه النبي (ﷺ) في بداية الدعوة حملات الإشاعات والتشكيك، إذ يقول الدكتور أحمد نوفل عن إشاعات الجاهلية حول خاتم النبيين(ﷺ)، أما نبينا (ﷺ) فقد واجه منذ بداية الدعوة وطوال الفترة المكية بحملات الإشاعة والتشكيك، واستمر أعداء الدعوة الإسلامية في استخدام هذا السلاح في الفترة المدنية وتفننوا فيه. وكان الشعر من أهم الوسائل المستعملة في ترويج هذه المفتريات. [3]

ويضيف وكان مما أطلقت الجاهلية حول المصطفى (ﷺ) من أكاذيب: تهمة الجنون، فقد كان أبو لهب ومن جندهم لهذه الغاية يجلسون على طرقات القبائل، ويقولون بأنهم أعلم بمحمد (ﷺ)، وإن ما يقوله من كلام، إنما هو ناشئ عن مسٍّ جنون. [4]ففي سيرة ابن هشام: (ثم إن قريشاً إشتد أمرهم، للشقاء الذي أصابهم في عداوة الرسول (ﷺ) ومن أسلم معه منهم، فأغروا به سفهاءهم فكذبوه وآذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون) [5] ويرد القرآن الكريم في أكثر من سورة على هذه

---

(١) محمد سعيد البوطي: فقه السيرة النبوية، ٦٥.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣، آية ٢١.

(٣) أحمد نوفل: الإشاعة، ٣٠.

(٤) محمد سعيد البوطي: م. س، ٦٥.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٥٨١.

الفرية، يقول تعالى: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾[2].

ففي العام العاشر من بعثته (ﷺ)، توفيت زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وتوفي عمه أبو طالب، يقول إبن هشام (فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله (ﷺ) من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً. ودخل رسول الله (ﷺ) بيته والتراب على رأسه فقامت إحدى بناتهِ فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله (ﷺ) يقول لها: لا تبكي يا بُنَية فإن الله مانع إباكِ). [3]

ولما نالت قريش من النبي (ﷺ) من الأذى، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله عزوجل.

ولما انتهى رسول الله (ﷺ) إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، كانوا يومئذٍ ساداته، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وكلمهم بما جاء هم من أجلهِ، ولكنّهم كذبوه، وأعرضوا عنه، فردوا عليه رداً منكراً، وفاجؤوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة وسمج القول. فقام رسول الله من عندهم وهو يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش، فلم يجيبوه الى ذلك أيضاً .ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، وأخذوا يرمونه بالحجارة حتى أن قدمي رسول الله (ﷺ) أخذتا تدميان، وزيد بن حارثة يقيه

(١) سورة القلم ٦٨ ، آية ١- ٤.

(٢) سورة القلم ٦٨ ، آية ٥١.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية ، ٢ /٤٦ وينقل ذلك د. محمد البوطي: فقه السيرة النبوية ١٣٠.

بنفسهِ حتى لقد شجّ في رأسه عدة شجاج، ثم التجأ إلى بستانٍ من بساتين الطائف لعتبة بن ربيعة، فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد عليه السلام، وقد أنهكهُ التعب والجراح، إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، وتوجه إلى الله تعالى بهذا الدعاء: ((اللّهُمَّ إليك اشكو ضعفَ قوتي، وقلة حيلتي وهواني على النّاس، يا أرحم الراحمين، أنت ربَ المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهمني، أم إلى عدوٍّ ملكتهُ أمري؟ إنْ لم يكُن بكَ عليَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت له الظلماتُ، وصلحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة، من أنْ ينزلَ بي غضبُكْ أو يحلَّ عليَّ سخطك لكَ العتبى حتى ترضى، ولا حولَ ولا قوة إلاّ بك))[1].

ولما رآه ابني ربيعة- صاحبي البستان، تحركت الشفقة في قلبيهما، فدعوا غلاماً نصرانياً لهما يقال له (عداس) فأرسلا إليه قطفاً من العنب في طبق، ولما ابتدأ رسول الله(ص) يأكلُ، قال: * بسم الله. ثم أكل، فقال عداس معجباً: والله إن هذا الكلام ما يقو له أهل هذه البلاد، فقال له الرسول (ﷺ): ومن أي البلاد أنت وما دينك؟ فقال: (نصرانيٌ من نينوى))، فقال له النبي (ﷺ): ((من قرية الرجل الصالح يونس بن متى)) فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله (ﷺ): ذلك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فانكبَّ عداس على رسول الله (ﷺ) يقبل رأسه ويديه وقدميه.[2] ثم انصرف النبيُّ (ﷺ) من الطائف راجعاً إلى مكة دون أن تستجيب ثقيفٌ لدعوته.

وبعد عودة الرسول (ﷺ) من الطائف مهموماً حزيناً، لعدم وجود من ينصره، فكانت مشيئة الله للتخفيف من معاناة النبي (ﷺ) ما لقيه من الكفار من ألمٍ وحزنٍ، فأكرمه بمعجزة الإسراء والمعراج.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ٢، / ٤٧ - ٤٨.

(٢) م. ن ٢، / ٤٩، محمد البوطي: فقه السيرة النبوية، ١٣٩.

ويقصد بالإسراء الرحلة التي أكرم الله بها نبيه الكريم من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس، أما المعراج فهو صعود النبي (ﷺ) من المسجد الأقصى إلى السماوات العُلى ثم الوصول به إلى حد انقطعت عنده علوم الخلائق من ملائكة وإنس وجن، كل ذلك في ليلة واحدة[1] أما قصة ذلك فهذا بيان ذلك: بينما كان الرسول (ﷺ) نائماً في مكة. إذ جاءهُ جبريلُ عليه السلام، فأيقظه، وخرجَ بهِ إلى باب المسجد الحرام. فحملهُ على دابةٍ يقالُ لها البراق، وهي دابة فوق حمار ودون بغل، يضع حافره عند منتهى طرفه. فأنطلق بهِ، حتَّى انتهى إلى المسجد الأقصى، وفيها أنه (ﷺ) دخل المسجد الأقصى فصلى فيه ركعتين، ثم أتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاختار عليه الصلاة والسلام اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة. وفيها أنه عرج به (ﷺ) إلى السماء الأولى فالثانية فالثالثة. وهكذا حتى ذهب به إلى سدرة المنتهى وأوحى الله إليه عندئذ ما أوحى.. وفيها فرضت الصلوات الخمس على المسلمين، وهي في أصلها خمسون صلاة في اليوم والليلة.[2] ولما كانتْ صبيحة اليوم التالي، حدّثَ الرسول (ﷺ) النّاس بما شاهد، طفقَ المشركون يجمع بعضهم بعضاً ليتناقلوا هذا الخبر ويضحكوا منه، فكذبوهُ وسخروا منهُ. وتحداه بعضهم أن يصف لهم بقايا بيت المقدس ما دام أنه قد ذهب إليه وصلى فيه، والرسول (ﷺ) حينما زاره لم يخطر في باله أن يجيل النظر ويحفظ أشكاله وعدد سوارية، ولم يكنْ رسول اللهِ (ﷺ) قد رآهُ قبل ذلك، فرفعهُ الله تعالى لنبيِّه (ﷺ) تكريماً له، فأخذ ينظرُ إليهِ ويصفهُ لهُم وصفاً تفصيلياً كما يسألون[3]عنْ جابر بن عبد الله رضي اللهُ عنهما: أنّه سمع رسُول اللّه (ﷺ) يقول: (لمّا كذّبني قُريشٌ، قمتُ في الحجْرِ، فجلا الله لي بيت المقدسِ، فطفقتُ أخبرهم عن آياتهِ وأنا أنظُر إليهِ)[4] أما أبو بكر

---

(١)د. محمد البوطي: انظر فقه السيرة النبوية، ١٤٥.

(٢)د. محمد البوطي: فقه السيرة النبوية، ١٤٦ نقلاً عن أبن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٢٢ – ٣٩ .

(٣)د. محمد البوطي: فقه السيرة النبوية ١٤٦ نقلاً عن أبن هشام: م . س، ٢/ ٣٤.

(٤) رواه البخاري بالمختصر رقم ٣٨٨٦ وذكره أبن هشام: م . س، ٢/ ٣٦ من رواية الحسن.

رضي الله عنه فقد حدثه بعض المشركين عما يقوله الرسول (ﷺ)، رجاء أن يستعظمه فلا يصدقه، فقال (إن كان قال ذلك لقد صدق، إني لأصدقه على أبعد من ذلك).[1]

ومع ذلك لم يصدقوا خبر الإسراء، إنّما ازدادوا كبراً وعناداً، وقصدوا من ذلك العمل على تفريق جمع المسلمين لكن الأمر ما زادهم إلا طاعة وتصديقاً للنبي (ﷺ).

وكما قلنا سابقاً بأن النبي (ﷺ) واجه منذ الدعوة وطوال الفترة المكية بحملات الإشاعة والتشكيك ويقول الدكتور أحمد نوفل، ومن المفتريات التي أشاعتها الجاهلية على رسول الله (ﷺ): (الكذب) وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن رسول الله (ﷺ) أصدق النّاس وأبرهم بدليل أن أبا سفيان عندما سأله هرقل- كما في الحديث الصحيح- عن رسول الله (ﷺ): هل جربتم عليه الكذب؟ قال: لا فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله.[2] هؤلاء أنفسهم هم الذين أشاعوا عنه الكذب أمام جماهيرهم لأنها لا تملك العقلية نفسها التي لدى هرقل حتّى تمحص الحقائق والأخبار[3]. ويقول الدكتور محمد سعيد البوطي[4]، ولقد كان له (ﷺ) أثر كبير في حلّ المشكلة التي تسببت عن اختلاف القبائل حول من يستحق أن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانة، فقد خضع جميعهم لاقتراحه الذي أبداه حلاً للمشكلة، علماً منهم بأنه الأمين والمحبوب من الجميع[5]. وهذا القرآن الكريم يسجل في هذا الصدد،

---

(١)د. محمد البوطي فقه السنة النبوية، ١٤٦.

(٢)د. أحمد نوفل : الإشاعة، ٣٣.

(٣) م . ن ٣٤.

(٤) البوطي – عالم من علماء المسلمين ولد في سوريا ويعيش فيها ويدرّس في الجامعات السورية وله مؤلفات كثيرة في الفقه والسنة وتعاليم القرآن الكريم.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ١٨٢.

يقول تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [1].

وفرية أخرى لصيقة بهذه الفرية هي إشاعة قريش عن الحداد الرومي أنه هو الذي علم محمداً (ﷺ) ما جاء به، وليس الذي جاء به وحياً في زعمهم وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [2].

وكان الله سبحانه وتعالى بالمرصاد كما يبدو من خلال الآيات السابقة الذكر فأزداد النبي (ﷺ) ثباتاً يتأثر بهذه الإشاعات.

وكان من إشاعات قريش ضد النبي (ﷺ) ما ردده أبو سفيان والملأ من قريش ثم عامة مكة، وهو زعمهم بأنه ساحر. مدعين أنه يفرق بين المرء وأهله وعشيرته. [3] يقول تعالى في هذه الفرية التي رددتها قريش وعجبت من حال أصحابها، يقول تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [4].

ويقول تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [5].

---

(١) سورة يونس ١٠ ، آية ٣٨.

(٢) سورة النحل ١٦ ، آية ١٠٣.

(٣) د. محمد البوطي: فقه السيرة النبوية، ١٠٥ – ١٠٢ فصل من موقف قريش من الدعوة.

(٤) سورة ص ٣٨ ، آية ٤.

(٥) سورة يونس ١٥، آية ٢.

وجاء في ما يرويه ابن هشام عن ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً ذا بصيرة ورأي في قومه- قال في نادي قريش: (يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، واعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلّمه، فجاء عتبه حتّى جلس إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا بن أخي، إنك منّا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم.. فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال له رسول الله (ﷺ): قل يا أبا الوليد، اسمع.

قال يابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً. جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتّى نبرئك فيه.

فقال رسول الله (ﷺ): أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فأسمع مني. ثم قال[1]: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ حمٓ ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[2].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ، ١ / ٢٦١.

(٢) سورة فصلت ٤١، آية ١ - ٦.

ثم مضى رسول الله في القراءة وعتبه يسمع حتّى وصل إلى قوله تعالى﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾[1].

فأمسك عتبة بغيه وناشده الرحم أن يكف عن القراءة، وذلك خوفاً مما تضمنته الآية من تهديد.

ثم عاد عتبة إلى أصحابه فلّما جلس بينهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش: أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقط كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدالكم. ويقول الدكتور محمد سعيد البوطي، وكان من جليل حكمة الله تعالى أن يقوم مشركوا قريش بسلسلة من المفاوضات مع رسول الله (ﷺ)، بعد أن صوروا في أنفسهم كل هذه الإحتمالات، وهم أدرى النّاس بطبيعة دعوته والغاية البعيدة من رسالته وبأنه لن ينزل عند شيء من مغرياتهم. ولكن هكذا شاءت الإرادة الإلهية حتّى ينطق التاريخ بتكذيب كل من سيأتي من محترفي التشكيك والغزو الفكري مع الزمن.[2] وفي رواية أخرى في السيرة: (أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، أنه قد حضر هذا الموسم، وأن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيه فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً.

---

(١) سورة فصلت ٤١ ، آية ١٣.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية ، ١/ ٢٦٢ وينقل عنه د. محمد البوطي فقه السيرة النبوية.

فقالوا: بل أنتم فقولوا أسمع- قالوا: نقول كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن، ولقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.

قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر.

قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه وقريضه، ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر.

قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم.

قالوا: فما تقول أنت يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وأن أصله لعذق، وأن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً عرف أنه باطل، وأن أقرب القول فيه ان تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل النّاس حين قدموا لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره.[1]

يقول الدكتور أحمد نوفل: لو جئنا نحلل هذا الاجتماع القرشي لوجدنا فيه عدة أمور منها، أولاً: أن الإشاعات حول الدعوة والداعية لم تكن عملية عشوائية، ولكن عمل منظم مخطط مدروس. وثانياً: أنه حتى تهمة السحر لم تحظى بالقبول الكامل منهم بل وجدت طعناً قوياً، ولكنهم مع هذا ارتضوها، لأنها يمكن إقناع الجمهور بها بشيء من المخادعة والتلبيس.

ثالثاً: أن القيادة الجاهلية لقريش كانت تعلم الحقيقة كاملة، وتعلم يقيناً أن رسول الله (ﷺ) ليس كما يشيعون عنه ويفترون، ولكنه المبرأ من كل نقص وعيب أما عن أول هجرة في الإسلام، إن رسول الله (ﷺ) لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء، ولا يقدر

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١ / ٢٤٣ – ٢٤٤. وينقل عنه د. أحمد نوفل: الإشاعة، ٣٩.

عليه الصلاة والسلام على أن يحميهم ويمنعهم مما هم فيه، قال لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنْ بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتّى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه) (١).

فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، فلما رأت قريش ذلك، أرسلت إلى النجاشي عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ولم يكن قد أسلم بهدايا مختلفة كثيرة، إليه وإلى حاشيته وبطارقته، رجاء أن يرفضَ قبول هؤلاء المسلمين في جواره ويسلمهم.

فلّما كلّما النجاشي في ذلك، وكانا قد كلّما من قبله بطارقته وقدّما إليهم ما جاءا به من الهدايا رفض النجاشي أن يسلم أحداً من المسلمين إليهما حتّى يكلمهم في شأن دينهم الجديد هذا. فجيء بهم إليه، ورسولا قريش عنده، فقال لهم: (ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الملل)؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال: (يا أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش، فصدقناه وآمنا به، وتبعناه على ما جاء به من الله، فقد بغى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلّما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك).

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١ / ٢٨٠.

فسأله النجاشي أن يتلو عليه شيئاً مما جاء هم به الرسول (ﷺ) من عند الله، فقرأ عليه جعفر صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلّت لحيته، ثم قال لهم: (إن هذا هو الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة. ثم التفت إلى رسولي قريش قائلاً: انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون).

ثم إنهما عادا فقالا للنجاشي: (أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً. فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون). فأرسل إليهم. فقال جعفر بن أبي طالب (نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمد (ﷺ)، يقول: (هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول).

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: (والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود).

ثم ردَّ إليهما هداياهما، وعاد الرسل إلى قريش خائبين وبعد فترة من الزمن بلغهم إسلام أهل مكة، فرجعوا لما بلغهم ذلك حتّى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما قد سمعوه من إسلام أهل مكة باطل، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار، أو مستخفياً. ومما سبق يتبين لنا ظهور إشاعتين، الأولى عندما عادا رسولي قريش للنجاشي فقالا أنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، والثانية عندما بلغهم إسلاماً أهل مكة. فبالإشاعة الأولى وهو قول رسولي قريش للنجاشي: (أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً) فنستنتج سمتين الأولى سمة الغموض فهي بلا برهان أو مصدر أو دليل واضح. والسمة الثانية، سمة الأهمية فهي ذات موضوع مهم بالنسبة للوسط الذي تنتشر فيه، فقد كان النجاشي على دين عيسى عليه السلام، وكان مخلصاً وصادقاً في نصرانيته[1].

فلم تجد إشاعات قريش وكذبهم ولم تؤثر في النجاشي الذي كان يعلم أن محمداً على حق ولذا صلى الله عليه وسلم عليه النبي (ﷺ) عند وفاته صلاة الغائب، أما عن

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١ / ٢٨٨- ٢٩٠، وينقل عنه د. محمد البوطي فقه السيرة النبوية.

الإشـاعة الثانية، وهي بلوغ المسلمين إسلام أهل مكه، فنستنتج مما يلي حرب نفسية سابقة لحرب ماديـة وهـي امساك المسلمين الذي هاجروا للحبشة. وهناك قصة شبيه بذلك تلك القصـة التاريخيـة الـتي كانـت تـروى عـن (تحومـس الثالـث) أنـه عـندما أراد فتح يافا في فلسـطين، وجـد الأمـر عسـيراً، ونظـراً لمـناعة المديـنة وعلـو أسـوارها. فـلجأ إلى الحـيلة والخديعـة. حـاول (تحومس) أن يقنع حاكم يافا بمقابلته ليروى له خبراً مهماً. وقبل حاكم يافـا بلقـاء (تحومـس). واجـتمع الإثنان وعرض (تحومس) على حاكم يافا. أن (فرعون) يملـك عصـا سـحرية يسـتطيع بواسـطتها أن يُغير الأشياء. ومشت الحيلة على حاكم يافا. وطلـب من (تحومس) أن يريه العصا السحرية، ووافق (تحومس). إلا إنه اشترط أن يكون لقائهمـا عـلى إنفـراد. ولمـا انفرد (تحومس) بحاكم يافا سدد له ضربة قاضية أودت بحياتِهِ، واسـتطاع (تحومـس) بحيلـته هـذه ضَـرَبَ كل مقاومة عند أهالي يافا فدخلها منتصراً.[1] يـبين لـنا مـن هـذه القصـة التاريخـية وجود الحيلة والخديعة، كما هو الحال بلوغ المسلمين إسـلام أهـل مكـة، وعـندما دنـوا مـن مكـة بلغهـم أن ما قد سمعوه من إسلام أهل مكة باطل.

وفي سـورة أجملـت كل ما كانوا يتقولونه عن رسول الله (ﷺ). يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

وهاجـر الرسول (ﷺ) إلى المدينة المنورة، ونجد أن الإشاعة ازدادت وتضاعفت، وصـار يديـرها ويسـهر عليـها اليهود أصـحاب الخديعـة والمكـر والشر في العالم. ويقول الدكـتور أحمـد نوفـل، وجـندوا لترويجهـا ألسنة السوء من معسكر النفاق المنبثين في وسط

(١) الرأي العام وحقوق الإنسان، د. عامر فياض، ٥٨.

(٢) سورة سبأ ٣٤ / آية ٤٣.

الصف الإسلامي. ولولا تماسك البيئة الاجماعية الإسلامية، لكان لمكر هؤلاء شأن آخر، ولكن التهذيب الإسلامي للمجتمع وتأكيد الإسلام على وحدة كلمة المؤمنين، وطاعة رسول الله (ﷺ) فوّت على أعداء الله أغراضهم.عن النُّعمان بن بشيرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (مثل المؤمنين: في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثلِ الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائرُ جسده بالسُّهرِ والحمَّى. [1]

وعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: (ثلاث مَنْ كُنْ فيهِ وَجَدَ حلاوَةَ الإيمان: : أنْ يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبُّ إلَيْه ممَّا سواهُما، وأنْ يُحبُّ المرءَ لا يحبُّهُ إلا لله، وأنْ يكره أن يعُودَ في الكُفْرِ كما يكرهُ أنْ يُقذف في النَّار[2]

ويقول تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[4].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾[5].

ويقول سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾[6].

---

(١) القرطبي: تفسير القطبي، ٨ / ٢٢٧.
(٢) رواه مسلم: صحيح مسلم ، ١ / ٣٧.
(٣) سورة النساء ٤، آية ٨٠.
(٤) سورة الأنفال ٨ ، آية ١.
(٥) سورة الأنفال ٨ ، آية ٢٠.
(٦) سورة الأحزاب ٣٣، آية ٣٦.

وقولــه سـبحانه: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[1].

والآيـات السـابقة تحـث عـلى طاعـة الله ورسـولهُ، ومما سبق وكما قلنا ان تأكيد الإسـلام عـلى وحـدة كـلمة المؤمنين، وطاعة الرسول (ﷺ) هي التي فوتت على أعداء الله أغراضهم.

فهـذا الـنبي (ﷺ) عندما تزوج زينب بنت جحش[2]، وجد هؤلاء فرصتهم التي لا تضيع أن يُـزيفوا الحقيقة عـلى الجماهير. فصاروا يشيعون أن محمداً (ﷺ) تزوج من امرأة ابنه، أي أنه أتى مُنكراً هو ينهى عنه، واالأعراف تنهى عنه ولا تقره. [3]

ويضـيف ولقـد أحزنـت رسول الله (ﷺ) هذه القالة الخبيثة، ووجد منها حرجاً في صـدره حـتى نهـاه الله عـن ذلك[4] وأمره أن يمتثل لأمر الله بتزوجها، وأن زواجه منها لـيس بأمـرهِ هو، عن أنس قال: لما انقضت عدّة زينب بنت جحش قال رسول الله (ﷺ) لـزيد بـن حارثـة: اذهـب فاذكـرني لهـا. فلُمـا قـال ذلـك عظمت في نفسي فذهبت إليها فجعلـت ظهـري إلى الـباب فقلـت: يـا زينـب بعـثني إلـيك رسول الله (ﷺ) يذكرك. فقالت: ما كنت لأحدث شيئاً حتّى أوامر ربي عز وجل.

فقامت إلى مسجدٍ لها فأنزل الله عز وجل هذه الآية:

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣، آية ٧١.

(٢) زينب بنت جحش بن رئاب. أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله (ﷺ) زوجها رسول الله (ﷺ) زيد بن حارثة فلمّا طلقها زيد بن حارثة تزوجها رسول الله (ﷺ).

(٣) د. أحمد نوفل: الإشاعة، ٤٣.

(٤) م . ن . ٤٣ نقلاً عن أبن هشام: السيرة النبوية، ٢ / ٢١٤ / الحلبي: السيرة النبوية، ٣ / ٤١١- ٤١٢

(٥) سورة الأحزاب ٣٣ ، آية ٣٧.

فجاء رسول الله (ﷺ) فدخل بغير إذن [أخرجه مسلم].[1] فكان زواجه منها تشريعاً إلهياً عزز موقف رسول الله (ﷺ) من هذا الزواج.

وقد أخرج البخاري من حديث أنس أن زينب كانت تفخر على أزواج النبي (ﷺ) وتقول: زوجكُن أهاليكنّ وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات.[2]

ويقول الدكتور أحمد نوفل، ولم يكتفوا بهذا في قصة زينب بل أشاعوا أيضاً أنها وقعت في نفسه (ﷺ)، وهي زوجة زيد، وكذبوا، إذ هو الذي زوجها من زيد، فلو كان يريد الزواج منها فما يمنعه؟[3]

ولم تنتهي الإشاعات إلى هذا الحد، فهذا حديث الأفك حول السيدة عائشة رضي الله عنها، واتهامها في عرضها، عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي (ﷺ)، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله بما قالوا. وكلُّهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبتَ اقتصاصاً. وقد وعيتُ عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يُصدِّق بعضاً.

ذكروا أن عائشة زوج النبي (ﷺ) قالت: كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها رسول الله (ﷺ) معه.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة [بني المصطلق] فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله (ﷺ)، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحملُ في هودجي[4] وأُنزل فيه

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة وذكر ذلك، الحلبي: م . ن، ٣ / ٤١١.

(٢) ذكر ذلك الحلبي: السيرة الحلبية، ٣ / ٤١١.

(٣) د. أحمد نوفل: الإشاعة، ٤٤.

(٤) الهودج: مركب من مراكب العرب أعد للنساء، ويكون على شكل غرفة قاعدتها خشبية تربط برجل الجمل.

مسيرنا. حتَّى إذا فَرغ رسول الله (ﷺ) من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذنَ ليلةً بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتَّى جاوزت الجيش فلُما قضيت من شأني أقبلتُ إلى الرّحل فلمست صدري فإذا عقْدي من جزع[1] ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه.

قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يُهبَّلن ولم يغْشهُنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلقة[2] من الطعام فلم يستنكر القوم ثقَلَ الهودج حين رحلوه ورفعوه.

وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدتُ عِقدي بعد ما استمر الجيش. فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب. فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليَّ. فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطَّل السُلَميُّ ثم الذّكوانيُّ قد عرَّس[3] من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل أن يُضرب الحجاب علَيّ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما يكلمني كلمة و لا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطيء على يدها فركبتُها فانطلق يقود بي الراحلة حتّى أتينا الجيش بعدما نزلوا موعزين في نحر الظهيرة فهّلك من هلّك في شأني.

وكان الذي تولى كِبرُه عبد الله بن أبيّ ابنُ سلُول. فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً والنّاس يُفيضُون في قول أهلِ الإفْكِ ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو

---

(١) الجزع: هو خرز يماني، وظفار: قرية باليمن.

(٢) أي القليل.

(٣) التعريس: النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة.

يريبُني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله (ﷺ) اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكي، إنما يدخل رسول الله (ﷺ) فيُسلِّمُ ثم يقول: كيف تيكُمْ؟

فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتّى خرجت بعد ما نَقَهت وخرجت معي أم مسْطح قبل المناصع وهو مُتبرَزُنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمرُ العربِ الأول في التنزُه، وكنا نتأذى بالكُنُف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقتُ أنا وأم مِسْطحٍ وهي بنت أبي رُهْم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب فاقبلتُ أنا وبنت أبي رُهْمٍ قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطحٍ في مِرْطها فقالت : تعس مسطحٌ. فقلت لها بئس ما قلتِ، أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟

قالت: أيْ هنتاهُ أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ . قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك.

فازددت مرضاً إلى مرضي فلّما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله (ﷺ)، فسلّم ثم قال: كيف تيكم؟ قلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد ان أتيقن الخبر من قِبلهما. فأذن لي رسول الله (ﷺ) فجئت أبويَّ فقلت لأُمي: يا أُمّتاه: ما يتحدث النّاس؟ فقالت : يا بُنية هوّني عليكِ، فوالله لقلّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر[1] إلا كثرن عليها قلت: سبحان الله، وقد تحدّث النّاس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتّى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم اصبحت أبكي.

ودعا رسول الله (ﷺ) عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبثَ الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله(ﷺ) بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودّ. فقال يا رسول الله هم

(١) اي نساء ذلك الزمان، أي القول في عيبها ونقصها، لأن أمهات المؤمنين لا يعبنها.

أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: لن يُضيِّق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدُقك.

قالت: فدعا رسول الله (ﷺ) بريرة فقال: أيْ بريرةُ، هل رأيتِ من شيء يَريبك من عائشة؟ قالت له بريرة والذي بعثك بالحقّ إن رأيتُ عليها أمراً قط أغمِصُهُ عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجنُ فتأكلهُ.[1]

قالت: فقام رسول الله (ﷺ) على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله (ﷺ) وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً. ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي.

فقام سعد بن مُعاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرُكَ منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عُبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن أجهلته الحميَّةُ فقال لسعد بن معاذ: كذبت والله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أُسيد بن حُضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عُبادة كذبت، لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق [قال له ذلك مبالغة في زجره عن القول الذي قاله] تجادل عن المنافقين. فثار الحيّان [أي تناهضوا للنزاع والعصبية] الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله (ﷺ) قائم على المنبر فلم يزل رسول الله (ﷺ) يُخفضهم حتَّى سكتوا وسكت.

قالت: وبكيتُ يومي ذلك لا يرقأُ لي دمع ولا أكتحل بنوم. ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأُ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالقٌ كبدي. فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنتْ عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنتُ لها فجلست تبكي معي. فَبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله (ﷺ)، فسلم ثم جلس، قالت:

---

(١) الداجن: هي الشاه التي تألف البيوت ولا تخرج إلى المرعى.

ولـم يجلـس عـندي مـنذ قـيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شاني شيء. قالت فتشهد رسول الله (ﷺ) حين جلَسَ ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عـنكِ كذا وكذا فإن كنتِ بريئة فسيبرئكِ الله عز وجل، وإن كنتِ ألمْتِ بذنبٍ فاستغفري الله عز وجل وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب الله عليه.

قالـت: فـلمَّا قضـى رسـول الله (ﷺ) مقالـته قلَـصَ دمعـي حتَّى ما أُحسّ منه قطـرة. فقلـت لأبي: أجب عني رسول الله (ﷺ) فيما قال، فقال: والله ما أدري ما أقول لرسـول الله (ﷺ). فقلـت لأمـي: أجـيبي عني رسول الله فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسـول الله (ﷺ)؟ فقلـت: وأنـا جاريـة حديـثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن إني والله لقـد عرفـت أنكم قد سمعتم بهذا حتَّى استقر في نفوسكم وصدقتم به فإن قلت لكم إني بريـئة والله يعـلم إنـي بريـئة لا تصـدقوني بذلك، ولأن اعترفت لكم بأمرٍ والله يعلم أني بريئة لتصدِّقوني وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف:

قال تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1]

قالـت: ثـم تحولـت فاضـطجعت على فراشي. قالت: وأنا والله حينئذٍ أعلم أني بريـئة وأن الله مـبرئي بـبرائتي، ولكـن والله مـا كنـت أظـن أن يُـنزل في شأني وحي يُتلى ولشـأني كـان أحقـر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيَّ بأمر يتلى، ولكني كنت أرجو أن يـرى رسـول الله (ﷺ) في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالـت: فوالله ما رام رسـول الله (ﷺ) مجلسـه[2] ولا خـرج من أهل البيت أحد حتىَّ أنزل الله عز وجل على نبيه (ﷺ) فأخذه ما كان يأخذه من البرُحاء[3].

(١) سورة يوسف ١٢، آية ١٨.

(٢) أي ما فارقه.

(٣) الشدة.

عـند الوحـي حتّى إنه كان ليتحدرُ منه مثل الجُمان من القرق في اليوم الممطر من ثقـل القـول الذي أُنزل عليه. قالت: فلما سُرّي عن رسول الله (ﷺ) وهو يضحكُ فكان أول كـلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة أما الله فقد برألكِ. فقالت لي أمي: قومي إليه فقلـت: والله لا أقـوم إلـيه ولا أحمـد إلا الله هـو الذي أنزل براءتي، قالت: فأنزل الله عز وجـــــل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۞ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۞ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۞ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [1]

(١) سورة النور ٢٤، آية ١١- ٢٤.

فأنزل الله عز وجل هذه الآيات لبراءتي فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال.

فأنزل الله عزو جل: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

فقال أبو بكر الصديق والله إني لأحبُّ أن يغفر الله لي. فرَجَعَ إلي مسطح لنفقته التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعُها منهُ أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله(ﷺ) سأل زينب بنت جحش زوج النبي (ﷺ) عن أمري ما عَلمتْ أو ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله احمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً. [2]

قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي (ﷺ) فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنةُ بنت جحش تُحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط. (أخرجه في الصحيحين). [3]

لقد قصدوا بذلك هذه صورة الرسول (ﷺ) في نظر أصحابه فطعنه المنافقون في عرضه، وأي عرض! إنها إبنة صاحبه أبي بكر أحد المبشرين بالجنة، لكنهم لم ينالوا من رسول الله شيئاً فعزز الله سبحانه وتعالى موقف عائشة لما أنزل فيها قرآناً واظهر حقد الحاقدين وثبت رسول الله (ﷺ).

(١) سورة النور ٢٤، آية ٢٢.

(٢) أنظر حادثة الأفك مفصلة عند، ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ١٨٨ – ١٩٣.

(٣) ابن الجوزي: صفوة الصفوة، وينقل عن الحلبي: السيرة الحلبية، ٢ / ٦٠٢ – ٦١٥.

إذ لقد تعرض الرسول (ﷺ) لأنواع من الإشاعة، وهي حرب نفسية في نفوس المنافقين المريضة، لفرض التأثير على عقول وعواطف الخصم لكي يتصرف وفقاً لما ينسجم وسياسة المستخدم ووفقاً لخططه المرسومة وتحطيم إيمان الخصم بعقيدته وتحطيم الوحدة النفسية للخصم، وهو ما حاول المشركين استخدامه ضد المسلمين فيما ورد سابقاً.

أما عن الإشاعة في الميدان العسكري من حياة الرسول (ﷺ) فيقول الدكتور أحمد نوفل، فبعد غزوة بدر قويت شوكة المسلمين وعز شأنهم، وهابتهم العرب، وما كان اليهود ليذروا المؤمنين يحصدون ثمرة النصر كاملة ويستمرون غلبتهم على قريش في تحصين مواقعهم النفسية، وإلقاء الرعب في نفوس أعدائهم. ومن هنا سارع اليهود إلى التهوين من شأن هذا الانتصار، والتقليل من قيمته العسكرية بل والإدعاء بهزيمة المسلمين وتفرق شملهم.[1]

يقول اللواء جمال الدين محفوظ: "كان للنصر الذي أحرزه المسلمون في بدر آثاره السيئة على نفوس اليهود والمشركين، فما أن سمعوا أنباءه قبل أن يعود المسلمون إلى المدينة، حتى حاولوا إخفاءه وعملوا على التشكيك في إمكان وقوعه، وحاولوا إقناع أنفسهم بعدم صحة ما سمعوا، فقالوا أن محمداً قد قتل وأن أصحابه قد هزموا وأخذوا يؤيدون قولهم بوجود ناقة الرسول (ﷺ) مع زيد بن حارثة، وكان الرسول قد بعثه بأخبار النصر إلى المدينة. فلمّا تحقق خبر الإنتصار سقط في يد الأعداء، وزادت حسرتهم لما أصبحوا عليه من الهوان والمذلة حتى قال بعضهم: "بطن الأرض خير من ظهرها".[2]

أما عن غزوة أُحد، فقد حرصت قريش منذ نكبتها في بدر على الأخذ بثأرها من المسلمين وصممت على الإستعداد عسكرياً لإستعادة كرامتها وشرفها، وقرر زعماء

---

(١) كما ذكر أبن كثير: البداية والنهاية، ٣ / ٣٠٥ ونفس المعنى ينقله أحمد نوفل: الإشاعة.

(٢) د. أحمد نوفل: الإشاعة، نقلاً عن ابن هشام: السيرة النبوية، ٢ / ٢٠٧.

قـريش رصـد أرباح قافلة أبي سفيان التي نجت من المصادرة قبل معركة بدر لتغطية معركة الـثأر وقـد قـدر مبلغها خمسين ألف دينار. علاوة على ذلك فقد عمل زعماء قريش على حشـد أكبر عدد ممكن من المقاتلين من أجل خوض هذه المعركة لذا فإنهم لم يكتفوا برجال قبيلة قُـريش وحدهـا، بـل حـاولوا إشـراك حلفـائهم معهم في القتال، فدعوا قبيلة ثقيف وعبد مناه، والأحابيش للمساهمة معهم.[1]

وهـذه الغـزوة لم تخلـوا من الإشاعات، ففي أثناء هذه الغزوة أشاعت قريش خبر مقـتل رسول الله (ﷺ)، وقد كانوا قتلوا مصعب بن عمير رضي الله عنهُ وظنوه الرسول (ﷺ). وتركـت هـذه الإشـاعة آثارهـا في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، يقول تعالى. تعليقاً عـلى موقف الصحابة[2]، وتصحيحاً للتصور في قوله للمؤمنين: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [3].

ومـن تحليل ما سبق يتبين لنا أن أشـاعت قريش خبر مقتل رسـول الله (ﷺ)، لغـرض زعـزعة ثقـة المسـلمين بأنفسـهم وتخويفهم وهزيمتهم، وكما هو معلوم أنَ الحرب النفسـية تتضـمن أي عمـل مـن شـأنه إجبار الخصـم أن يحـول رجاله وعتاده من الجبهة النشطة استعداداً لصد هجوم لم يأتِ.

والمعلـوم أن المشركين حاولوا زعزعة نفوس المسلمين بإشاعة مقتل الرسول (ﷺ)، فكما قلنا سابقاً أن من أبرز أهداف الحرب النفسية تحطيم الوحدة النفسية للخصم..

---

(١) محمـد شـاكر – موسوعة غزوات الرسول (ﷺ) حول معركة أحد، وعبد الرحيم محمد السلوادي: معجم الأعمال العسكرية الإسلامي، ١ / ٢٦.

(٢) د. أحمد نوفل – الإشاعة، نقلاً عن أبن هشام: السيرة النبوية، ٣ / ٣٠٠ مواضع أخرى.

(٣) سورة آل عمران ٣ آية ١٤٤.

فقد حاول المشركين بهذه الإشاعة تحطيم معنويات المسلمين والتشكيك في قدرتهم على المقاومة وخلق روح الاستسلام وعدم الثقة بالنفس عند المسلمين. هذا ما حاول المشركين فعله.

هذا ولقد خاض المسلمون المعركة تحت شعار أمِتْ، أمِتْ واستطاعوا اختراق صفوف المشركين وإجبارهم على التراجع حتّى بدا لهم أن النصر قد بات في متناول أيديهم، مما شجع سرية الرماة التي كانت تحمي ظهور المسلمين فوق الجبل على مُغادرة مواضعها لمشاركة مقاتلة المسلمين في جني ثمار النصر، وبذلك اختلت خطة المسلمين الحربية مما ساعد المشركين على القيام بحركة التفاف سريعة من خلال الاستيلاء على مواضع الرماة ومُحاصرة المسلمين وهكذا فقد انقلب النصر إلى هزيمة، واضطربت صفوف المسلمين وأخذوا يقاتلون من أجل إنهاء المعركة بأقل خسارة ممكنة.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[1].

قال في الظلال مُعلقاً على هذه الآية بقوله إنها تشير إلى واقعة معينة حدثت في غزوة أحد، ذلك حين انكشف ظهر المسلمين بعد أن ترك الرماة أماكنهم من الجبل، فركبه المشركون، وأوقعوا بالمسلمين، وكسرت رباعية الرسول (ﷺ)، وشج وجهه، ونزفت جراحة، وحين اختلطت الأمور، وتفرق المسلمون، لا يدري أحدهم مكان الآخر. حينئذٍ نادى منادٍ : أن محمداً قد قتل . وكان لهذا الصيحة وقعها الشديد على المسلمين. فانقلب الكثيرون منهم عائدين إلى المدينة، مصعدين في الجبل منهزمين، تاركين

---

(١) سورة آل عمران ٣ / ١٤٤.

المعركة يائسين، لولا أن ثبت رسول الله (ﷺ) في تلك القلة من الرجال، وجعل ينادي المسلمين وهم منقلبون، حتى فاءوا إليه.[1]

ومما سبق يتبين لنا أن انكشاف ظهر المسلمين بعد أن ترك الرماة أماكنهم من الجبل، فركبه المشركون، وأوقعوا بالمسلمين. وكسرت رباعية الرسول (ﷺ)، وتفرق المسلمون، لا يدري أحدهم مكان الآخر يتبين أن الحرب النفسية التي استخدمها المشركين قد لاقت نجاح في بادئ الأمر في تحقيق أغراضها وأهدافها بظروف الفوضى والاضطرابات في صفوف المسلمين[2]. ومع ذلك فلم تفلح قريش في بث هذه الإشاعات فالحرب يوم بيوم فقد انتصر محمد (ﷺ) في بدر وما زادته أحد إلا ثباتاً.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، م / ٢٨- ٢٩، وينقل عنه سيد قطب: في ظلال القرآن.

(٢) م . ن، ٣ / ٢٨ - ٢٩.

الإشاعة زمن الصحابة رضوان الله عليهم

تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمر المسلمين، وواجه أمورٌ هامةٌ استطاع بإيمانه بالله والإقتداء بالرسول (ﷺ) أن يتجاوزها ويخرج منها منتصراً وهي، محاربة الممتنعين عن الزكاة، ومحاربة المرتدين عن الإسلام، ومحاربة المتنبئين، وإنفاذ جيش أسامة. وعندما تجمعت هذه المشاكل أمام خليفة رسول الله (ﷺ)، استشار أصحابه والمسلمين فيما يفعل، فذهب أكثر المسلمين أنْ لا طاقة لهم بحربِ العربِ أجمعين، فذهب البعض الآخر أنه لا داعي للحرب مع مانعي الزكاة ما داموا ثابتين على إيمانهم.

فعن أبي هُريرة -رضي الله عنه- قال : لَما توفي رسول الله (ﷺ) وكان أبو بكرٍ رضي الله عنْهُ، وكَفَرَ من كَفَرَ من العرب، فقال عمر رضي اللهُ عنهُ: كيْفَ تُقاتلُ النّاس؟ وقد قال رسول الله (ﷺ): (أُمرتُ أنْ أُقاتل النَّاس؟ حتَّى يقُولُوا لا إلهَ إلَّا اللهُ، فَمَنْ قالها فقد عَصَمَ منِّي مالهُ ونفسهُ إلا بحقهِ، وحسابهُ على الله)، فقال: والله لأُقاتلنَّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حق المالِ، والله لوْ منعوني عناقاً كانوا يُؤدُّنها إلى رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم على منعها. قال عمر رضي الله عنهُ: فوالله ما هو إلاَّ أنْ قدْ شَرَحَ اللهُ صدْرَ أبي بكرٍ رضي الله عنهُ بالقتالِ، فعرفتُ أنَّهُ الحق. [1]

وبذلك استقر رأي خليفة رسول الله (ﷺ) على الوقوف في وجه هذه المشاكل ليعيد من فقد صوابه إلى الصواب مستعيناً بالله، وقد استجاب المسلمين إلى قرار أبي بكر.

فكما قلنا فبعد أن قبض الهادي صلوات الله وسلامه عليه، كاد أن ينهار البنيان لولا يقظة الصديق وشدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما الذين عملا جاهدين على توحيد كلمة العرب بين المهاجرين والأنصار في مسألة الخلافة التي ألهم الله المسلمين فيها الصواب.

(١) رواه البخاري بالمختصر رقم ١٣٩٩-١٤٠٠.

فقد أخرج النسائي وأبو يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: لما قُبض رسول الله (ﷺ) قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال : يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر.[1]

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال: قُبضَ رسول الله واجتمع النّاس في دار سعد بن عُبادة وفيهم أبو بكر وعمر، فقام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول الله (ﷺ) كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم، فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت فقال: اتعلمون أن رسول الله (ﷺ) كان من المهاجرين ، وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله (ﷺ)، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، ثم أخذ بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم، فبايعه عمر ثم بايعه في وجوه القوم، فلم يرى الزبير، فدعا بالزبير فجاء، فقال: قلتَ ابن عمة رسول الله (ﷺ) وحواريه اردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم يرى علياً، فدعا به فجاء فقال: قلت ابن عم رسول الله (ﷺ) وختنه[2] على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه.[3]

وهكذا اختاروا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، خليفة للمسلمين، ليكون أول خليفة، فعمل جاهداً على توحيد كلمة المسلمين.

---

(١) ذكر ذلك، ابن هشام: السيرة النبوية، ٤ / ٢٢٥-٢٢٨.

(٢) ختنه: صهره.

(٣) ابن هشام: م . س، ٤ / ٢٢٧ - ٢٢٨.

فعندما تولى أبو بكر الصديق الخلافة بعد رسول الله (ﷺ) فأطل عليه المتنبئون برؤوسهم يعلنون النبوة، رأى أبو بكر المتنبئين يدّعون النبوة في شبه الجزيرة العربية، إذ ظن كل مدعي نبوة أنه قادر على ما قدر عليه النبي (ﷺ) في الحجاز وما جاوره، ولم يعلمْ أنها رسالة السماء وخاتمة الرسالات السماوية لهداية كافة البشر لخروجهم من الظلال إلى النور.

وقد ظن المدعون أن المسألة مسألة كهانة وأسجاع وأتباع فنجم في اليمن مدعى نبوة هو الأسود العنسي يلقب بذي الخمار كان كاهناً يُري قومه الأعاجيب ويجذبهم بحلاوة منطقهِ، ادعى النبوة حين مرض النبي (ﷺ) واتبعته فرجح عامة[1]. وقد قتل في زمن رسول الله (ﷺ)، ونجم في أسد وغطفان طليحة الأسدي، وفي بني حنيفه باليمامة مسيلمة الكذاب، وفي عُمان كعب بن زرارة، وفي العراق ظهر سجاح في أخوالها من بني بكر ورهطها من بني تميم[2]. أعلن المتنبؤن العصيان والتمرد على حكم المدينة، فقد رفضت القبائل فريضة الزكاة واعتبروها جزية تدفع للمدينة، وأن هذا الدين ليس لهم فيه منفعة إلا الغرم وأنهم كانوا يأخذون من كسرى ومن قيصر قبل ظهور الإسلام، فلّما فرضت الزكاة دفعوها لرسول الله (ﷺ) ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، فلّما توفى رسول الله (ﷺ) امتنعوا عن دفعها واعتبروها جزية تأخذها قريش. إذا امعنا النظر فيما سبق نجد أن كل مدعى للنبوة، وظنه على انه قادر على ما قدر عليه النبي (ﷺ) في الحجاز وما جاوره، إشاعة وهي عبارة عن قضية مقدمة للتصديق تخلو تماماً من الصدق، إذ هي إشاعة واضحة هدفها التضليل عن الحق الذي جاء به خاتم النبيين محمد (ﷺ)، وهدف هذه الإشاعة تقديم قضية كاذبة تهدف أن هناك أنبياء بعد النبي محمد (ﷺ)، وهو ما تهدف عبارات هؤلاء المدعين الكاذبين بأنهم أنبياء، ونسيانهم أنها رسالة السماء وخاتمة الرسالات السماوية لهداية البشر أجمعين.

---

(١) تناول موضوع الأسود العنسي بتفصيل، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢ / ١١٤.

(٢) تناول موضوع مسيلمة الكذاب وسجاح بالتفصيل، م . ن ٢/ ١٢٥ – ١٤١.

أما عن الفرائض الأخرى فمنهم من كان يستثقلها على نفسه ومنهم من أنف من السجود وتعاظم أن يسجد لله بجبهته فقال طليحة الأسدي: (إن الله لا يُصنع بتعفير وجوهكم فاذكروا الله قياماً فإن الصرع تحت الرغوة)[1]. وكما قلنا سابقاً لولا إيمان أبو بكر الصديق بالله وإقتدائه بسنة نبيه محمد (ﷺ) ان يتجاوز هذه الأمور وأن يخرج منها منتصراً.

إذ واجه خليفة رسول الله هذه الصعوبات واستطاع هو ومن معه من المسلمين بإيمانهم الخروج من هذه الأمور منتصرين.

ونضرب أمثلة أخرى عن الإشاعة التي أصابت بعض الصحابة، فهذا سعد بن أبي وقاص، الذي أسلم قديماً وهو ابن عشرة سنوات، وقال: كنت ثالثا في الإسلام. فعن علي، قال: ما سمعت رسول الله (ﷺ) يفدي أحداً بأبويه إلا سعد بن أبي وقاص، فإني سمعته يقول له في يوم أحد: (ارم سعد، فداك أبي وأمي)[2][رواه البخاري] فهذا الصحابي الجليل تعرض للإشاعة، إلا أن الله سبحانه وتعالى استجاب دعوته فكانت براءته، أما عن هذه الإشاعة، فعن جابر بن سمره رضي الله عنه قال: شكا أهل الكوفة سعداً رضي لله عنه إلى عمر رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتّى ذكروا أنّه لا يحسنُ يُصلّي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إنَّ هؤلاء يزعمون أنّك لا تحسنُ تُصلّي؟ قال أبو إسحاق: أمّا أنا، والله فإني كنتُ أُصلّي بهم صلاة رسول الله (ﷺ) ما أخرمُ عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركدُ في الأُولين، وأخفُ في الأخريين، قال: ذلك الظّن بكَ يا أبا إسحاق، فأرسل مَعَه رجُلاً، أو رجالاً، إلى الكوفةِ، فسأل عنهُ أهلَ الكُوفة، ولم يَدَع مسجداً إلاّ سأل عنهُ، ويُثنون معروفاً، حتّى دخل مسجداً لبني عبس، فقامَ رجلُ منهم، يُقالُ لهَ أسامةُ بنُ قتادة، يُكنى أبا سعدة، قال: أمّا إذ نشدتنا، فإنَّ سعداً كان لا يسير بالسَّرية، ولا يقسمُ بالسَّوية، ولا يعدلُ في القضيَّة. قالَ سعدٌ: أما والله

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢/ ١٢٧ – ١٤١.

(٢) الحديث صحيح ذكره مسلم: صحيح مسلم، باب فضائل الصحابة ٢ / ٣٦٣، ٣٦٤. وذكر معركة أحد مفصلة الطبري: م . س، ١ / ٥٦٧ – ٥٨٥. ابن هشام: السيرة النبوية، ٣ / ١٤ – ٥٧.

لأدْعـونّ بـثلاثٍ: اللّهـمّ إنْ كـان عـبْدُكَ هذا كاذباً، قام رياءً وسمعةً، فأطلْ عُمْره، وأطلْ فقـرهُ، وعَرّضْـه بـالفتن. وكان بعدُ إذا سُئل يقولُ: سيخٌ كبيرٌ مفتونٌ، أصابتني دعوةُ سعدٍ، قـال عـبدُ الملـكِ: فأنـا رأيـته بعـدُ، قـد سقط حاجباه على عينيهِ من الكبرِ، وإنّه ليتعرّضُ لـلجواري في الطـرق يغمـزُهُن.[1] وعـن هشـام بـن عـروة عن أبيه أن أروى بنت أويس ادّعـت عـلى سـعيد بن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمتهُ إلى مروان بن الحكم فقال سـعيدُ: أنا كنت آخذُ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُ من رسول الله (ﷺ)؟ قال: وما سمعـت مـن رسـول الله (ﷺ)؟ قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (من أخذ شبراً مـن الأرض ظُـلماً طُوّقه إلى سبع أرضين) فقال له مروان: لا أسألك بينةً بعد هذا. فقال: الـلهم إن كانـت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتّى ذهب بصرها ثم بينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرةٍ فماتت.[2]

إذ لـولا ظهـور الحق في هذه الإشاعات، لكان لها الأمر السلبي على التاريخ، ولا ننسـى قـولِ الإمـام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه (دولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة) إذاً فهذا هو نهاية الباطل.

فكـان حـال الصحابة من الإشاعات، كما هو حال النبي محمد (ﷺ)، والأنبياء صلوات الله علـيهم أجمعـين. إلا أن إيمـانهـم بـالله سـبحانه وتعـالى. والإقـتداء بسـنة الـنبي (ﷺ) هي القادرة على إظهار الحق.

ونسـتنتج ممـا سبق أن الإشـاعة لم تتوقف على النبي (ﷺ) بل جاوزت لتجرف الصـحابة في هيجان البحر المدمر. لولا ظهور الحق في نهاية المطاف. هذا فلم تفلح أسلحة المـنافقين الفـتاكة في خلـق إشاعة كاذبة حول هؤلاء الصحابة الكرام، فهي إشاعات كاذبة بـلا بـراهين أو دليل واضح. كانت تهدف إلى تحطيم بُنية الإسلام وتماسكه. إلا أنها باءت بالفشل الذريع.

---

(١) رواه البخاري بالمختصر رقم (٧٥٥).

(٢) أخـرجه مسـلم: بـاب المسـاقاه بـرقم ١٣٨ – ١٣٩/ ١٤٠– ١٤١ كمـا ذكره لفيف من المشرقيين: المعجم المفهرس ١ / ٢٤.

الفصل الثاني
الحروب العالمية
ودور الإشاعة فيها

الحروب العالمية والإقليمية ودور الإشاعة فيها:

نتناول مناطق الحروب في أوروبا وأمريكا وفي منطقة الشرق ونقسمها قسمين:

أولاً: بالرغم من الوعي الكامل والثورة الصناعية الهائلة في دول أوروبا وكذلك أمريكا الشمالية والجنوبية.إلا أن الحروب التي قامت بين تلك الدول بل بين تلك القوميات لم تكن لتخطر على بال.وقد كانت الأسس التي تشتعل بسبب الحروب اسس واهمية في الغالب.يخترع الحكام لتلك الإمبراطوريات الأعذار والمبررات كي يتدخل جيش قوي لسحق أمة، أو قومية، أو دولة، أو دويلة صغيرة.طمعاً في أرضها وشعبها تحت ذرائع وأهمية ليست من الواقع في شيء.وقد انحصرت المبررات في :

١. الإدعاء بملكية الأرض موضوع الخلاف لأحد طرفي الحرب.

٢. الإدعاء بأن هؤلاء عبيد لأولئك.

٣. إبتداع فتنة مختلقة تكون مبرراً لحرب تجتاح فيها دولة لدولة أخرى.

٤. إدعاء حماية أقلية من أصول الدولة المعتدية.

٥. الإدعاء، بأن الأرض هي جزء من الدولة المعتدية.

٦. الطمع في ثروات الدولة المعتدى عليها.في ذلك الزمان مثل فحم حجري أو ذهب أو فضة أو ماء أو غير ذلك.

٧. الإصرار على الحصول على منفذ بحري يسهل الاتصال مع العالم الخارجي أو الاتصال بالبحار الدافئة كما كانت تعرف سابقاً.

٨. لسبب ديني عقائدي مختلفة.

ثانياً: الحروب في المشرق العربي والإسلامي:تلك التي كانت سبباً في صراعات من شقين:

١. عربية عربية.

٢. عربية إسلامية فارسية.

٣. عربية رومانية.

حيث ظلت الرغبة في العودة إلى عصر الإمبراطوريات سبباً كامناً في النفوس لإعادة أمجاد الدولة الساسانية أو الدولة البيزنطية.وكل ذلك أدى إلى صراع مر وقاس مع الإسلامية سواء كانت في المشرق أم في المغرب العربي.

إن جل هذه الحروب كانت حروباً لأهداف شخصية الغرض منها الحكم وبسط النفوذ.إذا استثنينا عصر الفتوحات الإسلامية.وخير دليل على التمزق والترهل هو ما سيطر به الشعوبيون على الدولة العباسية. لتصبح خاصة أفرزت دولا كثيرة عنوانها العرق أو الجنس أو القومية.

وإن موضوعنا تجلى في أبشع صورة في الأندلس حيث سرت الإشاعة في العرب ونخرت في عظم هذه الأمة مما جعلها نهباً إلى كل من انتقض من الأسباب، ليخلص الأندلس من يد العرب الذين استعانوا بأعداء العرب والإسلام ضد بني جلدتهم ظناً منهم أن هذا ينقظهم من الهلاك.إلا أن النتيجة كانت أن خرجوا بل أخرجوا من الأندلس ونكل بهم جميعاً.

كذلك فإن الحربين العالميتين السابقتين لم يشتعل ... فتيلها... إلا لنفس الأسباب والمبررات التي ذكرت سابقاً.

وقد كانت الإدارة الفاعلة في إشعال نار هذين الحربين سواء الإشاعة والأطماع الخفية في حينه لكل من ألمانيا واوروبا عموماً ثم أمريكا في الحرب العالمية الثانية. حيث أدت هاتين الحربين إلى إفناء أكثر من ٢٠٠ مليون شخص.فقط لتحقيق طموحات

المخططين الاستراتيجين اللذين يعملون في الخفاء و........ دوماً هي شعوب العالم. دون النظر إلى النتائج المدمرة.

إن ما ينطبق على الحروب العالمية والكونية، ينطبق تماماً على الحروب الإقليمية والمحلية.

لقد أبدعت الدول العظمى عبر أجهزة إستخباراتها في خلق الحروب بين أبناء الوطن الواحد، وكذلك بين البلد وجيرانه لأسباب أقلها ما فعلته الإشاعة من فعل في عقول وقلوب الناس بإدعاءات واهية. ساهمت وبدون وعي من المستهدفين في دمار شامل للأرض والشعب في تلك البلدان.

الإشاعة وأثرها في شخصيات تاريخية
(الأمير بهاء الدين قراقوش)[1]

* عند ما فشل أعداء الإسلام وثقافته في مواجهة الإسلام بالقوة العسكرية فكان لابد من لجوئهم للغزو الثقافي فسخروا الأساليب ومن ضمنها الإستشراق، وكما قلنا فالإستشراق حركة علمية يراد منها دراسة التراث الشرقي في معتقداته، وآدابه، للاستفادة منه والرد عليه.

ولكن ليس لحباب عيون الإسلام، ولكن للتعرف على منابع هذا التراث، هدفهم إبعاد أهله عنه، ليولوا وجوههم شطر الغرب، ولقد عبث أعداء الإسلام بتاريخ أمتنا ورجالها العظام عبثاً كبيراً، الأمر الذي يستدعي إعادة النظر في معظم ما كتب ويكتب حول تاريخ الإسلام وسير أعلامه.

فهذا بطل من أبطال الإسلام تعرض لمقولات وأكاذيب، تتناقض كل التناقض مع سيره هذا البطل العظيم من أبطال الإسلام كانت له صفحات منيرة في تاريخها المشرق مما جعله محط مؤامرات أعداء الإسلام وكيدهم. وأميرنا هذا المفترى عليه هو (بهاء الدين قراقوش).

فلقد كان بهاء الدين قراقوش عبداً رومياً فرٌ من إحدى قرى آسيا الوسطى وانتقل من بلد إلى بلد حتَّى وصل إلى بلاد الشام وكان فيها قائدان عظيمان. وفي دمشق تسمّى الأمير بهاء الدين باسم (بهاء الدين بن عبد الله الأسدي) فأمّا تسميته بابن عبد الله فكنايه عن أنه لم يعرف له أب مسلم. وأما عن وصفه بالأسدي فنسبه إلى القائد أسد

---

(١) أهم المصادر التي تناولت قراقوش، ابن كثير: الكامل في التاريخ ٩ / ١٠٣ ومواضع أخرى ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢/٣١٣. أبو شامة: ذيل الدوختين، ١/ ٢ عده مواضع. ابن العماد: شذرات الذهب، ٤/ ٣٣١-٣٣٢.

الدين شيركوه الذي اشتراه وقام على تهذيبه وتعليمه، وكان سبباً في اعتناقه الإسلام. وما لبث بهاء الدين قراقوش أن ارتقى في سلّم الجيش حتّى وصَلَ إلى مرتبة الإمارة. وكان على رأس هذا الجيش قائده البطل أسد الدين شيركوه، دخل مصر في أواخر الدولة الفاطمية، وكان قصده تهدئه الأحوال بها، ثمّ انتهى الأمر على يد القائد صلاح الدين الأيوبي فيما بعد إلى إزالة هذه الدولة وإنهائها. وإقامة الدولة الأيوبية مكانها، فكان الأمير بهاء الدين قراقوش ثالث ثلاثة أتوا إلى مصر لهذه الغاية، والإثنان الأولان هما أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي.

أما عن معنى قراقوش فنوّد تعريف هذا المعنى للقارئ. (قراقوش) لفظ تركي، معناه في اللغةِ العربية 'العقاب' وهو الطائر الأسود، وبه سمي الإنسان لشهامته وشجاعته، (وقراقوش) بمعنى طائراً أو نسراً.

وترجم له إبن كثير في (البداية والنهاية) فقال: أنه كرس نفسه للخدمة الإدارية والعسكرية. ويقول الأستاذ سمير عزام في كتابه حكم قراقوش 'الأمير المفترى عليه بهاء الدين قراقوش' كانت حياة الأمير بهاء الدين قراقوش حافلة بالإنجازات العظيمة والبطولات والإخلاص للإسلام والمسلمين خلال ملازمته القائد صلاح الدين الأيوبي وكذلك بعد وفاته. مما جعله محط كيد الحاسدين وأعداء الإسلام والمسلمين.

ووصلت الجيوش الإسلامية بقيادة القائد أسد الدين شيركوه وإبن أخيه صلاح الدين الأيوبي لفك حصار الصليبين عن القاهرة، حتّى انضم إليها الجيش المصري مما دفع بالصليبيين إلى الإنسحاب وفك الحصار دون قتال. وكانت مصر في تلك الآونة تحت حكم الخليفة الفاطمي العاضد. كانت أمام القائد صلاح الدين مهمة صعبة. جاء من الشام من أجل تحقيقها، ألا وهي تحقيق الوحدة الإسلامية بين العراق والشام ومصر. وقد واجهته قوىً ثلاثة تحالفت ضدّه وكانت تعمل للحيلولة دون تحقيقه لمهمته. الأولى: الإسماعيلية، والثانية قوى الإفرنج (الصليبيين) والثالثة تألب أمراء النوريين. وفي عام ٥٦٧هـ ضعف أمر الخليفة الفاطمي 'العاضد' وثبت القائد صلاح الدين قدمهُ بمصرَ،

وأزال المخالفين له وصار القصر الفاطمي يحكم فيه صلاح الدين، ونائبه قراقوش كلهم يرجعون إليه.[1] وأقام صلاح الدين على قصر الخليفة 'العاضد' بهاء الدين قراقوش. يحفظه، فحفظ ما فيه حتى سلّمه صلاح الدين.

وأثناء ذلك إذا بالقائد صلاح الدين يقف على مؤامرة خفية تعمل للإستيلاء على القصر ويدبرها مؤتمن الخلافة وبعض أصحابه من الجند بالتعاون مع الصليبين، وذلك أنه كتب في دار الخلافة بمصر إلى الفرنج للقدوم إلى الديار المصرية ليخرجوا منها الجيوش الإسلامية الشامية، وكان الذي يفد بالكتاب إليهم الطواشي مؤتمن الخلافة، مقدم العساكر بالقصر، وكان حبشياً، وأرسل الكتاب مع إنسان أمنَ إليه، فصادفه في بعض الطرق من أنكر حاله، فحمله إلى الملك صلاح الدين فحقق معه، فأخرج الكتاب ففهم صلاح الدين الحال فكتمه، واستشعر الطواشي مؤتمن الدولة أن صلاح الدين قد اطلع على الأمر فلازم القصر مدة طويلة خوفاً على نفسه، ثم عنّ له في بعض الأيام أن خرج إلى الصيد فأرسل صلاح الدين إليه من قبض عليه وقتله وحمل رأسه إليه ثم عزل جميع الخدم الذين يلون خدمة القصر، واستناب على القصر بهاء الدين قراقوش، وأمرهُ أن يطلعهُ على جميع الأمور.

وكان مؤتمن الخلافة قد خطط للإستيلاء على ذخائر القصر الفاطمي ليأخذ منها حاجته، وليدفع ثمنها أجراً للجنود الذين يعينونه في مؤامرته. فما كان من القائد صلاح الدين إلا أن طلب من خادمه الأمين بهاء الدين قراقوش أن يحرس القصر الفاطمي حتى لا يصل من ذخائره شيء إلى يد المؤتمن، وقد قام بهاء الدين قراقوش بهذه المهمة بكل أمانة وإخلاص، وحرس القصر الفاطمي بعيون لا تنام. وكان قصر الخلافة يضم من الذخائر جواهر نفيسة من ياقوت وزمرد ومصوغات ذهبية وأوان فضية وكسوة فاخرة وعقوداً ثمينة وذخائر فخمة. فكانت حراسة بهاء الدين قراقوش لهذه الذخائر بكل

---

(١)سمير عزام: الأمير المفترى عليه بهاء الدين قراقوش ١٧ نقلاً عن ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٠/ ١٩

أمانـة.[1] إلى أن أظفـر الله القـائد صـلاح الديـن. بالنصر ومما يجب التنويه إليه (أن الشيعة الفاطمـيين الذيـن أقـاموا دولـتهم في مصـر، وتوسـعت حتّى شملت كثيراً من بلاد الشام وبخاصـة فلسـطين وبـالأخص القـدس ومـا حولهـم من البلاد. كانوا يكرهون أهل السنة كـرهاً شـديداً وبخاصـة الأتراك السلاجقة. وقد فرحوا وسروا لما انهزم الأتراك السنة أمام الصـليبيين، فقـد أرسلوا وزيرهم الفاطمي شاهنشاه لعقد تحالف مع الصليبين، ضد العدو المشـترك للطـرفين الفاطمي والصليبي. ألا وهو الأتراك السلاجقة السنيون).[2] هذا و(أن الفاطمـيين قـد خذلـوا المسـلمين في بدايـة الحـروب الصليبية وبقوا على منهجهم هذا بل استغلوا انشغال المسلمين بالمعارك الضارية مع الصليبيين واحتلوا بيت المقدس سنة ٤٨٩ هــ ولم يحافظو عليها. بل احتلها الصليبيون بعد ثلاث سنوات فقط سنة ٤٩٢ هـ ومن ثم تخـاذلوا عـن حماية المدن الفلسطينية التي كانت بحوزتهم وتخضع لسيادتهم).[3] (وبلغ حد الضـعف والـتخاذل أمـام الصليبين أن بعث آخر حكامهم، رسالة إلى نور الدين يستعطفه فـيها ويطلـب نجدته. وقد وضع شعور بناته في الرسالة).[4] وأمام هذا التخاذل والضعف استـأنف صلاح الدين الأيوبي اعتماد مذهب أهل السنة في مصر، وألغى الخلافة الفاطمية وألغى كل بدعها في الأذان وعصمة الأئمة وغيرها وكان آخر خلفائها العاضد.

(وقـد كـان هذا التدبير من صلاح الدين الأيوبي أدى إلى نقمة هؤلاء الشيعة كما أدى ذلـك إلى تعـاونهم مـع الصـليبين للانقضـاض والقضـاء عـلى صلاح الدين وإعادة الحكـم الفـاطمي بعـد اندثـاره وزوالـه).[5] وبعد أن مكن الله لصلاح الدين عرش مصر،

---

(١) حكم قراقوش: سمير عزام، ١٩

(٢)د- محمد أبو فارس: الحروب الصليبية، ٦٤.

(٣)د- محمد أبو فارس: الحروب الصليبية م. ن، ٦٥.

(٤) م. ن، ٦٥

(٥) م . ن، ٦٦.

انصرف إلى تحصينها لتكون حصناً منيعاً في مواجهة الصليبيين ومن يناصرهم من بقايا الفاطميين وإرهابهم إذا حاولوا العصيان ولتكون له معقلاً يعتصم به من أعدائه.

فعهد في هذا الأمر إلى وزيره بهاء الدين قراقوش، وأمره أن يقيم البنايات اللازمة لرونق البلاد ومنعتها. وسار مطمئناً إلى الشام تاركاً الأمر في مصر إليه.

فنفذ الأمير بهاء الدين قراقوش ما عهد إليه بأمانه ونشاط، فكانت الجسور المقامة لتنظيم مجرى النيل عند الفيضان قد أهمل شأنها من مدة؛ فأتلف النيل بسبب ذلك كثيراً من البلاد والأراضي لأنه إذا زاد أغرق وإذا نقص أشرق، فوجه بهاء الدين التفاته إلى هذا الأمر الذي يعد حياة مصر وحفر الترع وأقام الجسور والسدود فانتظمت الزراعة.[1] ومن الأعمال التي قام بها الأمير بهاء الدين قراقوش:

١- بناء قلعة الجبل: عند ما رجع صلاح الدين من الشام، وشاهد إنجاز الأمير بهاء الدين قراقوش من إنجازات خلال غيابه أظهر فيها الأمير براعة وخبره هندسية واسعة. أمره أن يبنى له قلعة تحمي مصر وترك له الخيار في أختيار مكانها وحجمها. وقد اختار الأمير بهاء الدين قراقوش قطعة مرتفعة في جبل المقطّم، تشرف على القاهرة كلها، لتكون مكاناً للقلعة وباشر بعمارتها عام ٥٧٢هـ.

وكان في ذلك المكان بناء قديم من عمل الدولة الطولونية يعرف بقصر الهوى فهدمه وأقام القلعة على أنقاضها، وجعل فيها قصراً لبلاط صلاح الدين، وأتى بحجارتها من خرائب منف والأهرام وغيرها فجاءت قلعة منيعة الجانب تشرف على كل المدينة ولا تزال باقية لهذا العهد وتعرف بقلعة القاهرة.[2]

---

(١) سمير عزام: حكم قراقوش / ٢٠ .

(٢) م .ن. ، ٢١ .

وقد وصف الرّحالة قلعة الجبل وتحصيناتها من خلال ما يورده الأستاذ سمير عزام عن ما ذكره محمد الكحلاوي: قلعة صلاح الدين الأيوبي، قلعة الجبل ٥٧٢ هـ على رأس المنشآت العسكرية التي شيّدها الأيوبيون لدفع الخطر الصليبي عن مصر والذي كان يهددها في ذلك الوقت.[١]

٢- بئر يوسف: بئراً عجيباً نقر في الصخر نقراً عميقاً جداً، جعلهُ الأمير بهاء الدين قراقوش داخل القلعة ويدعى بئر يوسف، نسبة إلى يوسف صلاح الدين. وينقل إلينا الأستاذ سمير عزام في كتابه حكم قراقوش، ما ذكره الأستاذ علي باشا مُبارك في كتابه الخطط التوفيقية بعض الوصف لعجائب هذا البئر فقال: 'والبئر المعروفة بالحلزون الموجودة بالقلعة هي من عمل قراقوش في أيام صلاح الدين، عملت لأجل وجود الماء في داخل القلعة بواسطتها إذا حصل لها حصار من عدو.'[٢]

٣- سور القاهرة: قام الأمير بهاء الدين قراقوش بعد بنائه للقلعة بمد سور القاهرة الفاطمي الشمالي إلى الغرب حتَّى يلتقي بميناء المقسي على النيل، كما قام بمد سور من الشرق حتى يتصل بالسور الفاطمي الشمالي القديم الذي كان يقع شرقي حي الدرب الأحمر، وقام بمد سور ثالث من جنوب القلعة حتَّى يتصل بباب القرافة إلى مدينة الفسطاط بمسافة قدرها خمسة كيلومترات ونصف. وكان هذا السور الذي بناه الأمير قراقوش ثالث الأسوار التي أحاطت بالقاهرة إلى عهده. فكان الأول قد بناه القائد الرومي (جوهر الصقلي) والثاني قد بناه الوزير لأمير

---

(١) سمير عزام: حكم قراقوش، ٢٠- ٢١.

(٢) م . ن، ٢٤ ٢٥ ، نقلاً عن، علي المبارك ، الخطط التوفيقية ١ / ٦٩.

الجيوش بدر الجمالي الفاطمي، فكان الثالث قد بناه الأمير بهاء الدين قراقوش من الحجارة، والسوران الأولان قد بنيا من اللبن[1].

وامتد السور حول المدن الأربعة التي كانت مدينة القاهرة في هذا العهد وهي الفسطاط التي أنشأها عمرو بن العاص رضي الله عنه، ومدينة العسكر التي أنشأها صالح بن علي العباسي، ومدينة القاهرة التي أنشأها جوهر الصقلي، ومدينة مصر.

هذا ويعتبر سور القاهرة من أعظم المنشآت الحربية التي بنيت في عصره، ويعود الفضل كله للأمير بهاء الدين قراقوش الذي برع في بناء المنشآت الحربية، فهذا صلاح الدين كلما احتاج إلى بناء أي منشأة حربية استعان في بنائها على الأمير المفترى عليه بهاء الدين قراقوش.

٤- قناطر الجيزة وقلعة المقس: قناطر الجيزة واقعة تحت الجسر الموصل بين النيل والأهرام تجاه مدينة مصر، هذا ما نقله إلينا الأستاذ سمير عزام في كتابه حكم قراقوش، وما ذكره المقريزي، وذكر أنه هدم الأهرام الصغيرة المبعثرة في الجيزة وأخذ أحجارها لبناء القناطر. ومنها قلعة المقس وهي عبارة عن برج كبير بناه الأمير بهاء الدين في محل قنطرة الخلفاء بجوار الجامع في نهاية سور القاهرة. [2]

---

(١) سمير عزام: حكم قراقوش ٢٦- ٢٧ ، نقلاً عن عبد اللطيف حمدان: الفاشوش في ، ٤٠.

(٢) سمير عزام: حكم قراقوش، ٣٧ – ٣٨ نقلاً عن ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٤ / ٣٩.

الحرب النفسية
وأنواعها وأدواتها

الوسائل غير العسكرية التي اتخذها أعداء الإسلام عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وأنماط وسلوك. ويمكن أن يُطلق عليه ما يسمى اليوم "الحرب الباردة".

وللدكتور عامر حسن فياض مداخله معنا في كتابه منهجية في الرأي العام وحقوق الإنسان في الحرب النفسية[1] فيقول أصبحت الحرب النفسية ظاهرة من الظواهر التي تهتم بها كل النظم السياسية في مُختلف دول العالم، لذلك فإن من مواصفات الحرب النفسية أنها تستخدم من قِبل الدول وليس من قِبل الأفراد. وعلى هذا الأساس تعرف الحرب النفسية كما جاء في قاموس المصطلحات الحربية الصادرة عن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) عام ١٩٥٥م، بأنها: (استخدام مُخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية التي تستهدف جماعات معادية أو مُحايدة أو صديقة للتأثير على آراءها وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها بطريقة تساعد الدول المستخدمة لهذا المخطط تحقيق سياستها وأهدافها ومصالحها.) وقد أطلقت تسميات متعددة وكثيرة على الحرب النفسية منها: الحرب الباردة- حرب الأعصاب- الحرب السياسية وغيرها من المسميات المتعددة.

ويكمل الدكتور عامر حسن فياض قوله: ويتضح لنا أن الحرب النفسية هي:

١- شكل من أشكال الصراع المبرمج أو المخطط موجه إلى الخصم.

٢- الخصم هنا ليس فرداً بل مجتمع بأسره سواء كان عدواً أو محايداً أو صديقاً. إلا أن الإسلام بنظر الغرب عدواً.

---

(١) د. عامر حسن فياض: منهجية في الرأي العام وحقوق الإنسان ٥٩-٦٠.

٣- إن الغرض من هذه الحرب هو التأثير على عقل وعاطفة الخصم لكي يتصرف وفقاً لما ينسجم وسياسة المستخدم ووفقاً لخططه المرسومه.[1]

٤- إن الحرب النفسية توجه إلى جمهور مجتمع الخصم من العسكريين والمدنيين، حكام ومحكومين، قادة واتباع، وفقاً لما تقتضيه الخطط المرسومة لهذه الحرب.

٥- من أبرز أهداف الحرب النفسية تتمثل بتحطيم إيمان الخصم بعقيدته السياسية وتحطيم الوحدة النفسية للخصم، ومواجهة الحملات المضادة من الخصم، وتحطيم معنويات الخصم والتشكيك في قدرتهِ على المقاومة وخلق روح الإستسلام وعدم الثقة بالنفس عند الخصم.

وأمّا عن نجاح الحرب النفسية في تحقيق أغراضها وأهدافها فهذا يتطلب شروط منها.

١- عدم الإستقرار.

٢- الحروب.

٣- الإنتكاسات.

٤- الفوضى والإضطرابات في صفوف الخصم.

- أنواع الحرب النفسية:

أولاً: الحرب النفسية الإستراتيجية: وهي الحرب التي تتصل بمخطط يتضمن لاستراتيجية بعيدة المدى.

---

(١) د. عامر حسن فياض: مقدمة منهجية في الرأي العام وحقوق الإنسان ٦٠ – ٦١.

ثانياً: الحرب النفسية التكتيكية: وهي الحرب التي يتصل مُخططها بأهداف قصيرة المدى ونتلمس هذه الحروب النفسية التكتيكية أثناء المعارك العسكرية ما بين الأطراف الدولية.

ثالثاً: الحرب النفسية التعزيزية: وهي مخطط للتأثير في نفسية الخصم وتستخدم في الغالب لتعزيز وتثبيت ودعم النصر في الحربين النفسيين السابقين.

- أدوات الحرب النفسية.[1]

للحرب النفسية أدوات منها تقليدية ومنها حديثة. ومن ضمن الأدوات التقليدية للحرب النفسية: الشتم والتحقير ما بين الخصوم، وكذلك التهريج والصراخ والأناشيد ودق الطبول أثناء الغزوات إضافة إلى الحيلة والخداع أثناء الحروب.

ومن الأدوات الحديثة القديمة للحرب النفسية التجسس والضغط الإقتصادي والدفاع عن الأقليات وكسب ما يسمى بالطابور الخامس وغسل الدماغ والإشاعة.

ويكمل الدكتور عامر حسن فياض، قوله فبالنسبة لغسل الدماغ أو ما يسمى بـ(غسل المخ) فإنه يمثل أداة مُهمة في الحروب النفسية. وهي أداة ليست بجديدة، فلقد عرفت كل أمه وفي كل مرحلة نوعاً من فرض المذاهب والعقائد على مواطنيها. وقد استخدم تعبير (غسل المخ) لأول مرة من قبل الصحفي (ادوار هنتر) في ترجمة لكلمة (هس ناو) المستخدمة للإشارة إلى التفسير الصيني (إصلاح الفكر) بصيغة إعادة التشكيل الأيديولوجي.

والأيدولوجية، هي ناتج تكوين نسق فكري يُفسر الطبيعة والمجتمع والفرد وقد برزت مجموعة كان أهمها: الصهيونية، والنازية والفاشية، والشيوعية، والتطرف. هذا ويكمل معنا الدكتور عامر حسن فياض قوله، ويرتبط مفهوم (غسل الدماغ) بجهود

---

(١)د. عامر فياض مقدمة منهجية في الرأي العام وحقوق الإنسان، ٦١.

بعض الشيوعيين لإستمالة غير المؤمنين بالشيوعية.[1] أي برنامج التثقيف السياسي الذي يقوم أساساً على أن الناس الذين لم يتثقفوا في المجتمع الشيوعي لا بد أن يكون لديهم إتجاهات ومعتقدات برجوازية.[2] ومن ثم يجب إعادة تثقيفهم قبل أن يحتلوا أماكنهم في المجتمع الشيوعي. أما عن غسل الدماغ فيقول الدكتور عامر فياض، وما ينقلهُ عن الآخرين فيقول: (غسل المخ، هو أسلوب من أساليب التعامل النفسي يدور حول الشخصية الفردية بمعنى نقل الشخصية المتكاملة، أو ما في حكم المتكاملة الى حد التمزق العنيف بحيث يُصبح من الممكن التلاعب بتلك الشخصية للوصول بها لأن تصبح أداة طيعة في أيدي المهيج أو خبير الفتن أو القلاقل).[3] وبعد أن استعرضنا مفهوم الحرب النفسية، وأنواعها، وأدواتها نعود لمفهوم الغزو الثقافي مرة أخرى، فمن خلال التعريف السابق للغزو الثقافي. يضع لنا الدكتور عزمي طه السيد وزملائه تعريفاً آخر هو : (قيام مجتمع ما أو حضارة بمحاولة لفرض ثقافتها على مجتمع آخر بنيّة الإعتداء والسيطرة والهيمنة) ومن خلال التعريف السابق يتبين لنا أن لهذا الغزو الثقافي الذي هو شكل من أشكال الغزو، هذا ويختلف عن التبادل الثقافي بين مجتمعين، والذي يتم بإختيار الطرفين المتبادلين.

---

(١) الشيوعية: مذهب يقوم على أساس الملكية الجماعية، وتدخل الدولة في عناصر الإنتاج ومن أبرز المفكرين لهذا المذهب كارل ماركس وفريدريك انجلز، ومن الدول التي تبنت تطبيقها الإتحاد السوفييتي سابقاً، أمّا عن أفكارها فهي ترى أن المادة أصل الأشياء وأن النظام يؤخذ من أدوات التطور المادي، وهي تنظر إلى المجتمع أنه مجموعة عامة منها الأرض وأدوات الإنتاج والطبيعة والإنسان وحين تتطور الطبيعة يتطور الإنسان فيتطور المجتمع وقد انتهت الشيوعية بإنهيار الإتحاد السوفييتي في العقد الأخير من القرن العشرين في حين لم يتمسك بها إلا كوبا وجزء من أفكارها تبناها الصين.

(٢) البرجوازية: كلمة فرنسية تعني الطبقة الوسطى القائمة بين طبقة النبلاء والطبقة العاملة، وترمز إلى فئات التجار وأصحاب الأعمال والمعنيين بالإشراف على شؤون الصناعة والتجارة، هذا وأن بعض أفراد الطبقة البرجوازية احتفظوا بمكانتهم الاجتماعية المستقلة بوصفهم طبقة مميزة لها عادات وتقاليدها، وبعضها الآخر انصهر في المجتمع الرأسمالي وابتعد عن هذه الطبقة اجتماعياً دون أن يتخلى عنها مادياً.

(٣)د. عامر حسن فياض: انظر مقدمة منهجية في الرأي العام وحقوق الإنسان، ٦٣.

صلاح الدين يوليّ قراقوش على عكا

سنة ٥٨٥ هـ، سار القائد صلاح الدين إلى عكا، ورتّب فيها الأمير بهاء الدين قراقوش، وأمره بعمارتها وعمارة سورها الذي تهدّم من كثرة الهجمات الصليبية عليه. ومن أسباب تعيين القائد صلاح الدين للأمير بهاء الدين على عكا خوفه على المدينة من هجمات الصليبيين.

فالأمير بهاء الدين قراقوش يمتلك خبرة عسكرية واسعة خلال خدمته في الجيش الإسلامي بقيادة عمه (أسد الدين شيركوه) في دمشق. وامتلاك خبره في بناء المنشآت العسكرية.

فترك السلطان الحصون الأخرى فبقي الأمير في هذه المدينة، ومعه حاميه صغيرة، وعكف على إقامة ما تهدم من السور ثم بعد ذلك حدث أن الفرنج الصليبين المقيمين بالآلاف استصرخوا إخوانهم في أوروبا، وأتوا بأمدادهم وأموالهم ورجالهم وفرسانهم، وتجهزوا لتلك الحملة الصليبية التي أتت إلى الشرق بقيادة ملوك الغرب وفيهم ريتشارد الأول(قلب الأسد) ملك انجلترا، ووصلت الحملة إلى عكا. واصطف الملوك والأمراء والجند، ووقف في القلب ريتشارد (قلب الأسد) وبين يديه الإنجيل محمولاً ومكسواً بثوب من الأطلس، ويمسك الثوب من أطرافه أربعة من الجند. فأصبح الأمر لهذا الجيش المؤلف من جميع الدول الأوروبية في عكا.ثم ضربوا حصاراً على عكا، ودام الحصار عامين كاملين ذاق فيهما الأمير والمسلمون معه الأمرين. بل ذاقوا هنالك أقسى ما عرفته المحنة الصليبية من ألم، وتحمّلوا فيها أشق ما مر بها من جهد وضعف.[1]

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ٤/ ٣٣١ - ٣٣٢.

معركة المنجنيقات وإحراق الأبراج خارج السور

ينقل إلينا الأستاذ سمير عزام [1] (أن الفرنج في مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة أبراج من الخشب عالية جداً، طول كل برج منها خمس طبقات، كل طبقة مملوءة بالمقاتلين وقد جمع أخشابها من الجزائر. وغطوها بالجلود والخل والطين والأدوية التي تمنع النار من إحراقها، وقلعوها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات، وزحفوا بها من العشرين من ربيع الأول، فأشرفت على السور وقاتل من بها من عليه فانكشفوا وشرعوا في طم خندقها، فأشرف البلد على أن يملك عنوة وقهراً، فأرسل أهله بقيادة الأمير بهاء الدين قراقوش إلى صلاح الدين- إنساناً سبح في البحر، فأعلمه ما هم فيه من الضيق، وما قد أشرفوا عليه من أخذهم وقتلهم، فركب هو وعساكره وتقدموا إلى الفرنج، وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالاً عظيماً دائماً ويشغلهم من مكاثرة البلد، فافترق الفرنج فرقتين فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل أهل عكا، إلا أن الأمر قد خف عمّن بالبلد، ودام القتال ثمانية أيام متتابعة. وسئم الفريقان القتال وملوا منه لملازمته ليلاً ونهاراً، والمسلمون قد تيقنوا من استيلاء الفرنج على البلد لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الأبراج فإنهم لم يتركوا حيلة إلا عملوها، فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيئاً، وتابعوا رمي النفط الطيّار عليها فلم يؤثر فيها، فأيقنوا بالبوار والهلاك. فأتاهم الله بنصر من عنده، وأذن من إحراق الأبراج.

وكان سبب ذلك أن إنساناً من أهل دمشق كان مولعاً بجمع آلات النفاطين، وتحصيل عقاقير تقوى على النّار، فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه، وهو يقول: هذه حالة لم أباشرها بنفسي إنما أشتهي معرفتها، وكان بعكا لأمر يريده الله، فلّما رأى الأبراج قد نصبت على عكا شرع في عمل ما يعرفه من الأدوية المقوية للنّار بحيث لا يمنعها شيء من الطين والخل وغيرهما، فلّما فرغ منها حضر عند الأمير قراقوش، وهو

---

(1) سمير عزام: قراقوش، نقلاً عن الأثير: الكامل في التاريخ ٩ / ٢٠٦ – ٢٠٥.

متولي الأمور بعكا، والحاكم فيها، وقال له: يأمر المنجنيقي أن يرمي في المنجنيق المحاذي لبرج من هذه الأبراج ما أعطيه حتّى أحرقه، وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله، فازداد غيظاً بقوله، ورد عليه فقال له: قد بالغ أهل هذه الصناعة في الرمي بالنفط وغيره فلم يفلحوا، فقال له من حضر: لعلَّ الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا، ولا يضرنا أن نوافقه على قوله، فأجابه إلى ذلك، وأمر المنجنيقي بامتثال أمره، فرمى عدة قدور نفطاً وأدوية ليسَ فيها نار، فكان الفرنج إذا رأوا القدر لا يحرق شيئاً يصيحون ويرقصون على سطح البرج، حتّى علم أن الذي ألقاه قد تمكن من البرج ألقى قدراً وجعل فيها النّار، فاشتعل البرج، وألقى قدراً ثانية وثالثة،فاضطرمت النّار في نواحي البرج، وأعجلت من في طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص، فاحترق هو من فيه، وكان فيهٍ من الزرديات والسلاح شيء كثير، وكان طمع الفرنج لما رأوا أن القدور الأولى لا تعمل يحملهم على الطمأنينة وترك السعي في الخلاص حتّى عجل الله لهم النّار في الدنيا قبل الآخرة، فلّما احترق البرج الأول انتقل إلى الثاني ، وقد هرب من فيه لخوفهم - فأحرقه وكذلك الثالث، وكان يوماً مشهوداً لم يرَ النّاس مثله والمسلمون ينظرون ويفرحون، وقد أسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحاً بالنصر، وخلاص المسلمين من القتل. وكتب الأمير بهاء الدين (إلى السلطان صلاح الدين يُعلمه أنه يبقَ من الأقوات في المدينة بعد ليلة النصف من شعبان، فلّما وصل الكتاب إلى صلاح الدين أخفاه لئلا يشيع الأمر ويستغل الفرنجة الفرصة فيهاجموا المدينة، ثم جهز ثلاثة مراكب من بيروت بزي الفرنج حتّى أنهم حلقوا لحاهم وشدّوا الزنانير واستصحبوا شيئاً من الخنازير، فلّما مروا على مراكب الفرنج اعتقدوا أنهم منهم ولم يعترضوا سبيلهم.

كل ذلك والأمير بهاء الدين يصبر ويتجلد في وسط الجند، داعياً إياهم إلى الصبر والتجلد، وكلما فكر جنده في التسليم للعدو منّاهم وأملهم، وقواهم وشد عزائمهم وما زال بهم حتّى رجعوا عما عزموا عليه، وعاهدوا الأمير على أن يصبروا معه حتّى الموت، وخذل الأمير في محنته الذي يدافع عن شرفه وعقيدته، وما أن أتى المدد إلى الفرنج عبر

البحر حتّى هزموا المسلمين اللائذين بهذا الحصن المنيع، ودخلوا، وأنها لوا، على أهلها نهباً وذبحاً وأسراً. فكان الأمير بهاء الدين قراقوش ممن أسروا يومئذ.

ويقي الأمير بهاء الدين في الأسر حتّى يوم عقد الصلح مع الصليبين، فافتداه القائد صلاح الدين بعشرة آلاف دينار وكان ذلك سنة ٥٨٨هـ ومثل في الخدمة السلطانية نفرح به فرحاً شديداً، ومنذ يومئذٍ والأمير بهاء الدين قراقوش إلى جانب صلاح الدين لم يُفارقه لحظة حتى فارق السلطان هذه الدنيا.

وبعد أن توفي صلاح الدين الأيوبي، سنة ٥٨٩ هـ، آل الملك بعده لإبنه العزيز على عرش مصر وكان ملكاً فاضلاً. فيه ذكاء ونخوة.

وكان له جيش عظيم يتألف من فيلقين عظيمين، هما فرقة الصلاحية (مماليك أبيه صلاح الدين). وفرقة الأسدية (مماليك جده أسد الدين شيركوه). وكان بين الفرقتين خلاف شديد.

وقد تولى أبناء صلاح الدين (الأفضل) أمور دمشق وما حولها، والظاهر أمور حلب وما حولها، وتولى الملك العادل أخو صلاح الدين ما بقي من الملك. وكان بعد ذلك أن دب الشقاق بين الأمراء الأربعة.

فكان الأمير بهاء الدين قراقوش في خدمة الملك العزيز فكان العزيز يستعين بالأمير بهاء الدين قراقوش في كل الأمور كبيرة كانت أم صغيرة، وكان يوليه أمور الملك خلال غيابه عن الدولة[1].

وبعد ذلك حتّى كانت المؤامرة التي دبرها الملك العادل وذلك بالتعاون مع فرقة الأسدية في القاهرة والتي كان رأسهم (أبو الهيجاء السمين)، وينقل إلينا الأستاذ سمير علي عزام، في كتابه (حُكم قراقوش) الأمير المفترى عليه بهاء الدين قراقوش، نقلاً عن

---

(١)ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ٤ / ٩٢.

الأستاذ عبد اللطيف حمزة ما يرويه عن تفاصيل المؤامرة وكيف أحبطها الأمير بهاء الدين قراقوش، ويقول: فكر الملك (العادل) في طريقة يُزعج بها (العزيز) فأخذ يخوفه من (الأسدية) وطفق في الوقت نفسه يُكاتب الأسدية في مَصرَ وكان زعيمهم آنذاك رجلاً يُقال له أبو الهيجاء السمين وكان هذا الخبيث والياً على بيت المقدس من قبل العزيز، ثم عزله العزيز، وولى مكانه غيره، فأسرها أبو الهيجاء في نفسه، ونوى الغدر بصاحبه. ووصلت كتب الملك (العادل) إلى الأسدية، وبيُت الجميع سوء النية، وكان بعضهم بالقُدس، وبعضهم الآخر في مصر، فكتب الأسدية الذين في خارج القاهرة إلى إخوانهم بداخلها، واتفقوا على أن يحولوا بين العزيز ودخول مصر، وذلك عن عودته إليها من حرب أخيه الملك الأفضل، ويومئذ يُصبح العزيز نفسه بين نارين أو يختار لنفسهِ واحدة من ثلاث: فإما التسليم للأسدية في مصر، وإما التسليم للأفضل في دمشق، وإما أن يستجير بعمهِ الملك العادل وهو رأس هذه المؤامرة، كل ذلك والعزيز مقيم في عسكره قرب دمشق، يرتب الجند، ويُشرف على نظام الجيش، ومعهُ زعيم الأسدية أبو الهيجاء السمين، يُظهر الخضوع لسيلة من ناحية، ويتلقى كُتب المؤامرة التي ترد إليه من ناحية ثانية، ووثق هذا الزعيم بنجاح المؤامرة، وأيقن بإحكام خطتها، وفجأة وعلى غير انتظار، شوهد أبو الهيجاء السمين مُنسحباً من الميدان، وخلفهُ عدد كبير من الجند، وقد استكملوا عدتهم، واستعدوا لفتنتهم، وقد كانوا يؤلفون الجزء الأكبر من جيش الملك العزيز، الأمر الذي أدى إلى فتّ ذلك في عضد هذا الملك، وأضعف من شوكته، وأخمد من عزيمتهُ، واضطر في صبيحة اليوم التالي إلى التفكير في النجاة بنفسهِ والعودة سريعاً إلى مقر حكمة.

ومع حصول ذلك كلهُ، والأمير بهاء الدين قراقوش يتولى أمور مصر خلال غياب الملك العزيز، ويحمى عرش مصر حتى عودته من دمشق.

علم الأمير بهاء الدين قراقوش بسر المؤامرة، واستطاع أن يقرأ بعض الكتب التي وردت إلى الأسدية من إخوانهم خارج القاهرة.

وراح بنفسـهِ إلى الأسـدية يخوفهـم ويهددهم، ويحذرهم عاقبة غدرهم وخيانتهم، ويصـور لهـم دناءة الفعلـة الـتي يقومـون عليها، وما زال بهم حتَّى أخمد نشاطهم، وأطفأ جذوتهـم، وأحبط حيلهم، وأحاط بهم من كل جانب، وفوت عليهم كل قصد، ثم ما كاد (العزيـز) يصل إلى القاهرة حتَّى كان الأمير بهاء الدين قراقوش قد انتهى من عمله، ومهد لهُ طريق الدخول؟

ودخـل العزيـز مصـر واستقبله أهـلها بسرور عظيم، ثم جلس إليه الأمير بهاء الديـن قـراقوش وأخبره بخبر المكيدة التي دبرت والخطة التي وضعت، والقصد الذي قصد إلـيه الأسدية في القاهرة، فشكر له الملك الصنيع وقدر له الجميل، وهكذا أخلص من قبل الإخـلاص كلُّه لوالده السلطان صلاح الدين فحافظ على العرش في أثناء غيبة العزيز عن مصـر، وأضـاف بذلك يداً جديدة من أياديه على هذه الدولة الأيوبية التي شارك في بنائها وأحاطتها من شرور أعدائها.

ولم يقـف الأمـر مـن شـجاعة هـذا الأمـير الذي أفترى عليه أهل الضلالة الذين حـاولوا إظهـار صـورة بشـعة حـول هـذا الأمـير الـذي قـدم نفسـهُ للإسلام والمسلمين. فبالإضـافة إلى ما قدمه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين والدولة الأيوبية، فبعد وفاة الملـك العزيـز آل عـرش مصر إلى ابنه الملك (المنصور) ناصر الدين محمد بعهدٍ منهُ، فكان عمـر (المنصـور) تسـع سنين واشهر، فقام بأمور الدولة بهاء الدين مُدبر أمره ووصياً على عرشه حتَّى يشتد ساعده ويبلغ سن الحكم.

فكـان إخـلاص الأمـير بهـاء الديـن قـراقوش، إخلاصـاً لا مثيل له، فقـد قـام بالوصـاية خـير قـيام ورعى شؤون المملكة بعناية. ومع ذلك كلهُ وجد صعاباً. فهذا الأمر لم يُـرضِ الملـك (الأفضـل) في دمشـق فسـار إلـيها ودخـلها دون إراقة دماء، ويعود ذلك لحكمـة الأمـير بهاء الدين الذي لم ير بداً من الخضوع للأمر الواقع وتجنيب المسلمين حرباً كـان سيراق بهـا دمٌ كـثير. فتـنحى عن مُلك مصر وتخلى عن الوصاية للملك (الأفضل) وكان حسن الخلق عادلاً.

هذا فقد تنحى الأمير بهاء الدين قراقوش عن التدخل في شؤون الحكم، وكان ذلك بعد أن يبلغ من الكبر عتيا، فقد ضعفت صحتهُ وتهدمت، حتّى وفاته سنة سبع وتسعين وخمسمائة للهجرة (٥٩٧ هـ). بالقاهرة، ودفن قرب البئر والحوض الذي أنشأهما على شفير الخندق في تربته المعروفة به بسفح المقطم. بعد حياة حافلة بالإنجازات العظيمة والبطولات والإخلاص للإسلام والمسلمين، ليخسر الإسلام واحد من رجالاتهُ الأبطال الذي قدم نفسه فداء للإسلام والمسلمين لإعلاء كلمته ورفع شأنه ولترفرف راية الإسلام والمسلمين خفاقه بالحق الذي لا يموت أبداً ما دام هناك أبطال يُقدمون أنفسهم فداءاً للإسلام واعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى.

وينقل إلينا الأستاذ سمير علي عزام في كتابهِ حُكم قراقوش، عن الدكتور ماجد عرسان الكيلاني في كتابةِ "هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس (إن سياسة الأمير بهاء الدين قراقوش في القاهرة كانت حكيمة وحازمة في إزالة الفاطميين وتضيق الخناق على بقاياهم، لذلك لم يجدوا سبيلاً لمحاربته إلاّ بالإشاعات وتشويه السمعة، حيث وضعوا عنهُ كتاباً اسموه "الفاشوش في احكام قراقوش" التي يرددها معاصرونا بغباء).

وهذا النوع من الإشاعة يعرف بإشاعة الكراهية، وذلك لأن هذا الأمير الفذ كان لهُ دور في إزالتهم وتضيقهم، فكانت الإشاعة هي الوسيلة الوحيدة التي يُحاربون بها هذا الأمير العظيم. إلا أنه وللأسف الكبير نجد بعض العجائز وكثير من الناس الجهالة الذين لا يعرفون من هو هذا القائد الذي لازم بطل الأبطال صلاح الدين الأيوبي. يرددون المثل القائل "حكم قراقوش" وهو ما يحمل كناية عن الحكم الظالم أو المتعسف.

ويجب التنوية في هذا المقام على عدة أمور وهي أنه لا يعني أن كل قصة مذكورة بكتب التراث إنما هي موثوقة من حيث حدوثها وحصولها، إنما هناك الموضوع، أو المنسوب نسبة غير صحيحة، أو مختلق، ولكن القيمة تنبع من كونها مأخوذة من صلب التراث[1].

هذا ولما كان الأثر الأدبي هو من أقدر الأساليب الأدبية على تنمية النفس الإنسانية وتأثراً بها. كان لجوء أصحاب الإشاعات والأباطيل لهذه الوسيلة لتشويه سمعة قائد عظيم كالقائد الذي قدم نفسه فداءاً للإسلام والمسلمين.

الأمر الذي أدى إلى تكوين أجيال ضعيفة العقل، والنفس والإرادة تنظر إلى هذا القائد وإلى الأحكام العجيبة التي تنسب إليه على أنها صحيحة.

هذا وقد ذكر ابن خلكان أن الناس ينسبون للأمير بهاء الدين قراقوش أحكاماً عجيبة في ولايتهُ نيابة مصر عن صلاح الدين[2]، حتّى أن الأسعد بن مماتي.[3] له كتاب سمّاه "الفاشوش في أحكام قراقوش" وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منهُ والظاهر أنها موضوعه، فإن صلاح الدين كان يعتمد في أحوال المملكة عليه، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه. [4]

أما عن كيفية أصل المثل القائل "حكم قراقوش" كناية عن الظلم والجبروت، كيف جاء؟ وكيف انتشر؟ يقول الأستاذ سمير عزام في كتابه "حكم قراقوش" الأمير المفترى

(١)أشرنا على مصادر قراقوش سابقاً.

(٢)أبن خلكان: وفيات الأعيان، ٤/ ٩٢.

(٣) الأسعد بن مماتي: هو القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن سعيد مُهذب بن مينا بن زكريا بن ابي مليح مّماتي المصري الكاتب الشاعر، كان ناظر الدواوين بالديار المصرية، توفي سنة ٦٠٦هـ وذكر الأستاذ عبد اللطيف حمزه عن إبن مُماتي فقال: انحدر من أسره قبطية من أعرق أسر الصعيد وكان ميلاده سنة ٥٤٤ للهجرة بمدينة أسيوط.

(٤) أبن خلكان: م. س، ٤، ٩٢.

عليه، لقد كان كتاب الأسعد بن مَماتي ُالفاشوش في حكم قراقوشْ هو أصل المثل الذي انتشر في كل الأمصار من تاريخ صدوره حتى تاريخنا المعاصر. وهذا الكتاب، هو كتاب صغير الحجم، تضمّن حكايات ونوادر ساخرة كتبت باللغة العامية، والهدف من هذا الكتاب النيل من الأمير بهاء الدين قراقوش، إلا أنهُ وللأسف والحزن بالوقتِ نفسه في أن هذا الكتاب نجح في تكوين من يقتنعون بفكرتهِ المزيفة التي تظهر هذا الأمير على عكس مظهرهِ الحقيقي، وتجعل منهُ شخصية فكاهية.

ويضيف الأستاذ سمير عزام، لقد أراد مؤلفة ابن مماتي النيل من الأمير بهاء الدين قراقوش من خلال كتابتهِ هذا الكتاب وتوجيهه للسلطان صلاح الدين الأيوبي كما أدّى في مقدمتهِ حيث قال : (إنني لما رأيتُ عقل بهاء الدين قراقوش، بحزمة فاشوش، قد أتلفت الأمة، والله يكشف عنهم كل غمة، لا يقتدي بعالم، ولا يعرف المظلوم من الظالم. الشكية عنده لمن سبق، ولا يهتدي لمن صدق، ولا يقدر أحد من عظم منزلته على أن يردّ كلمته، ويشتاط اشتياط الشطا، ويحكم حكماً ما أنزل الله به من سلطان... ضفتُ هذا الكتاب لصلاح الدين، عسى أن يريح منهُ المسلمين) [1] .

وسنقوم بوضع بعض الحكايات التي يتضمنها كتاب ُالفاشوش في حكم قراقوشْ فهي مخلفات موضوعة يجب أن تختفي من عقول من يرددونها بغباء وسخافة، لتحل الصورة الصحيحة عن هذا الرجل الصالح، وكان الهدف من وضعها فقط لمعرفة ما ورد في هذا الكتاب الموضوع والمختلق فعلاً أو الذي قد يكون منسوب نسبة غير صحيحة لمؤلفه والله أعلم.

أما عن بعض الحكايات الواردة في هذا الكتاب حول الأمير بهاء الدين قراقوش فنذكر على النحو التالي:

---

(١) سمير عزام: حكم قراقوش، ٤٢.

(حكاية قراقوش مع الأجرودي)

جاء إلى قراقوش ثلاثة رجال:أحدهم أجرود وليس لهُ لحية ولا شارب. والآخران كبيرا اللحيتين. وقد تعدي الأجرودي على كل منهما ونتف ذقنه من جذورها. فذهب الرجلان إلى قراقوش وقالا له: (يا مولانا بهاء الدين، خذ لنا حقنا من هذا الأجرودي، فقد نتف ذقوننا وخرق ثيابنا). فنظر قراقوش إلى الأجرود، وقال لصاحبيه: ' ويلكم نتفتم ذقن هذا الصبي وجئتم تشكونه إليّ، قودوهما إلى الحبس، ولا تخرجوهما حتّى تطلع ذقن هذا الصبي[1]. من هذه الحكاية نستدل على أن قراقوش كان يعاقب المعتدين وأن كان عقابه بدعابة أو عدم تحديد فأنه كان يهتم بكل شكوى تصل إليه.

(حكاية قراقوش والمرأة طالبة الصدقة)

ومن النوادر المختلقة ما تنسب للأمير بهاء الدين قراقوش من مهزلة سخيفة وهي أن قراقوش كان يتصدّق كل سنة بمال وفير. فلّما انتهت الصدقة في تلك السنة، جاءت إليه إمرأة، وقالت لهُ أنّ زوجها مات، ولاكفن له، فقال: أما الصدقة لهذه السنة فقد فرغت. ولكن إذا كانت السنة الآتية فتعالي نأمر لك بكفن إن شاء الله تعالى.

مما جعل المرأة تتعجب من قوله فتوجهت إلى حيث أتت.[2]

ونظن أن هذه الحكاية من الأمور الملفقة على الأمير قراقوش.

---

(١) بسام عبد الوهاب الجابي: قراقوش، ٦٣.

(٢) أملين نسيب: نوادر قراقوش، ٦٣.

(حكاية قراقوش مع الفلاح وزوجته)

من النوادر السخيفة التي نالت من أميرنا بهاء الدين قراقوش، ما يحكى عن جندياً نزل في مركب، وكان به فلاح وزوجته، وكانت الزوجة إنذاك حاملاً في سبعة أشهر، فضربها الجندي فأجهضت، فذهب الفلاح إلى الأمير بهاء الدين قراقوش وشكا إليه الجندي. فقال الأمير بهاء الدين قراقوش للجندي: خذ زوجة الفلاح عندك، واطعمها واسقها حتّى تصير في سبعة أشهر ثم أعدها إلى زوجها.

فقال الفلاح: يا مولانا، تركت أمري على الله. وأخذ زوجتهُ وهرب. [1]

وهذه من الإشاعات التي لفقت على الأمير من أجل تشويه صورته رغم سذاجة الحكاية.

(حكاية قراقوش مع الدائن)

* ويحكى أنّ شخصاً شكا للأمير بهاء الدين مماطلة غريمه، فقال المديون: يا مولانا إني رجل فقير، وإذا حصلت شيئاً آتيه به فلا أجدهُ. فإذا صرفتُه جاء وطالبني. فقال قراقوش، احبسوا صاحب الحق حتى يصير المديون إذا حصّل شيئاً يجد له موضعاً يدفع له فيه.

فقال صاحب الحق أيا مولانا تركت أجري على الله، ومضى. [2]

ونظن أن هذه الحكاية من باب الدعابة وإلا كان حري به أن يطلب المديون المسامحة إثر ذلك أو دفع من جيبه.

(١) إملين نسيب: نوادر قراقوش، ٤٠.

(٢) م. ن، ٤٠- ٤١.

(حكاية قراقوش مع الباز)

* وحكى عن أميرنا المظلوم أن كان له باز يعتزّ بهِ، ويُعنى بتربيتهِ، فطار الباز يوماً من عندهِ. وبلغ ذلك قراقوش. فقال: أقفلوا باب النصر وأقفلوا باب زويلة. وهي من أبواب القاهرة، حتّى لا يجد الباز له موضعاً يطير منُه فيعود إليّ. (١)

يبدو واضحاً تأثر الأمير قراقوش بروح النكتة المصرية، كيف لا وقد أقام بها مدة طويلة من الزمن.

(حكاية قراقوش مع المرأة وابنها)

*جاءت إمرأة إلى قراقوش، وشكت إليه ابنها، وقالت إنّهُ يخالفها. فحبسه، وحلف بأنه لا يُطلقهُ إلاّ بعد سنة.

فلّما توجهت المرأة إلى بيتها عُسر عليها ولدها.

فجاءت ذات يوم للحاشية، وسألت إطلاقه، ودفعت لهم بعض مال.

فقالوا لها: اكتبي قصّته وانهي فيها أنّ السنة انقضت، ونحن نساعدك، ففعلت ذلك. فلّما قرأها قراقوش قال لها: أنتِ تكذبين، بقي من السنة اليوم خاصة وفي غد نطلقه إنّ شاء الله.

فقالت: الأمر أمركم، وخرجت على ذلك. (٢)

تبدو روح المرح واضحة في حكم قراقوش هذا وتدل على حذقه إذ أنه عدم إنهيار السنة.

---

(١) م . س ، ٤٢ - ٤٣

(٢) ذكرها موسعة، إملين نسيب: نوادر قراقوش، ٦٣.

(حكاية قراقوش مع الكردي)

ومـن الحكايـات الـتي تـنال مـن هـذا الأمير، ما يحكى أنه تسابق مع كردي على فرس فسبقه الكردي.

فقال للسائس، محاولاً عقاب الفرس.

لا تطعم الفرس شيئاً في هذا الأسبوع.

فقال له: كان يموت.

فقـال له ثانـياً: حسـناً أطعمه، ولا تقل لي إنّي قلت لك ذلك حتّى لا يبقى يظنّ أننا حلفنا باطلاً. [1]

ربمـا كانـت من النكات التي يتناولها الناس على السنة غيرهم أو ينسبونها إلى من اشتهر بأمر من الأمور.

(حكاية قراقوش وثمن البغل)

- ومـن الحكايات الباطلة ما يحكى عنه إن إبن قراقوش اشترى بغلاً بألف درهـم وعرضـه علـيه، وقال له: هذا غالٍ. فرآه بعض المباشرين فعلم أن غرضه وقع فيهِ فدخل معه لأبيهِ، فقال: يا سيّدي لماذا قررتم ردّ هذا البغل.

فقال قراقوش: لأنه غالٍ بألف درهم.

فقال: يا مولانا اشتريناه بتسعماية وتسعة وتسعين.

فقال: إن كان هذا فما هو غالٍ. [2]

ربما قصد من ذلك معرفة صدق المباشر أو المشري.

---

(١) بسام عبد الوهاب الجابي: قراقوش ، ٦٤.

(٢) أملين نسيب: نوادر قراقوش ، ٤٥.

(حكاية قراقوش مع السارق)

*ومن الحكايات المزيفة أيضاً هو ما يحكى أن في عهدهِ سُرق مال، فقال لصاحب المال المسروق: هل لحيكم باب.

فقال له: نعم.

فقال: إذهبْ وأحضره

فأحضر لهُ الرجل الباب، فقال: اضربْه ضرباً شديداً.

فقال: يا سيِّدي. ولكنّ الباب خشب لا يحّس بالضرب، فقال له قراقوش : افعل ما آمرك به.

فمدّوه، وضربوه.ونـزل إليه قراقوش، ووضع أذنه بجانبهِ وجعل يوشوشه، فلّما فرغ قال لهم: اجمعوا لي باقي أهل الحارة والدرب.

فلّما حضروا قال لهم: الباب يخبرني أنّ الذي سرق العملة على رأسه ريشة، وكان سارق المال واقفاً بجملة النّاس، فتوهّم ورفع يده إلى رأسه، فرآه قراقوش، فأمر به، وقرره بالضرب فأقر، وأحضر المال، ودفعه إلى أصحابهِ. (١)

تدل هذه الحكاية على حذقه ودقة ملاحظته واستعمال الأسلوب النفسي الدقيق حتى يعرف السارق.

---

(١) بسام عبد الوهاب الجابي: قراقوش ٧٨ – ٧٩.

(حكاية قراقوش وهو يحاول عضّ اذنه)

*ومـن الأباطيل الكاذبة الـتي تنسب إليه، مـا يحكى عن دخول رجلان على قـراقوش، وادّعى أحدهما على الآخر أنّه عضّ أذن، فسأله قراقوش عن ذلك . فقال: أنّه هو الذي عضّ أذنه نفسه .

فقام قـراقوش. ودخـل غرفتهِ الخاصّـة، وجلـس عـلى كرسيّ، وأخذ يحاول أن يعـضّ اذنـهُ، فـلم يُفلح في ذلك، ومال به الكرسيّ من كثرة التافته ومُحاولاتهِ، فوقع على يدهِ فانكسرت، وخرج وهو بهذه الحالة.

وأمـر بضـرب المدّعى عليه، وقال: أنت الذي عضضت اذن الرجل هذا وكسرت ذراعي زيادةً على ذلك. [1]

ربما كانت هذه القصة من التلفيقات المنسوبة للأمير قراقوش وهو بريئ منها.

(حكاية قراقوش مع المرأة الحجازيّة)

*ويحكـى كذباً أن قراقوش كان يميل إلى البيض، ويكره السود، وشاءت الظروف يومـاً مـا إلى التحكـيم بـين امـرأة حجازيّة، وجارية لها تركيّة. وكانت هذه أوّل مرّة يحكم فيها. قالت الحجازيّة لقراقوش إنّ هذه جاريتي قد أساءت الأدب عليّ.

فنظر قراقوش إلى بياض الجارية التركيّة وسواد الحجازيّة فقال للحجازيّة: ويلك! خلـق الله جاريـة تركـية لجاريـة سـوداء حجازية؟ ما أنا بأحمق أو مغفل، يا عثمان أرسلوا هذه الحجازية إلى الحجرة.

فمكثـت الحجازيّـة شـهراً، ومـا لبثت أن عادت إليه تقول! إنّني قد أعتقتها لوجه الله تعالى.

---

(١) أملين نسيب: نوادر قراقوش ٥١ – ٥٢.

فقال لها قراقوش: يا سبحان الله : إنّها هي التي تعتقُكِ، وإن أرادت عتقكِ فإنهّا تعتقكِ، فقالت الحجازيّة للتركيّة: اعملي معي مثلما عملتُ معكِ.

فقالت: التركيّة: وما تريدين منّي؟

فقالت الحجازية: إذهبي إلى قراقوش وقولي لهُ إنكِ تعتقيني لوجه الله تعالى.

فذهبت التركية إلى قراقوش وقالت له: قد اعتقت سيّدتي الحجازيّة لوجه الله تعالى.

فقال قراقوش: جزاكِ الله خيراً.

وخرجت الحجازية من السجن. [١]

هذه من الأحكام الظالمة التي ربما تحدث ولكنها الفت ولفقت للأمير بهاء الدين قراقوش.

(حكاية قراقوش مع الشيخ والصبيّ)

*وممّا زادته الأباطيل عن أميرنا العظيم، ما يحكى عنهُ أنه جاء لـهُ شيخ وصبيّ، كل منهما يدعي الدار ويقول: يا مولاي، داري. وعند ذلك نظر قراقوش إلى الصبي وقال: معك كتاب يشهد لك:

قال: لا

قال الأمير بهاء الدين: فالدار إذن للشيخ الكبير.

يا صبي: ادفع له داره، وإذا صرتَ في عُمر هذا الشيخ الكبير دفع لك هذه الدار. [٢]

ربما أدرك مؤلفها على قراقوش أن الصبي مدعياً لا مالكاً نظراً لصغر سنه لأنها غير مفصلة ولم يوضح مصدر الدار.

---

(١) ذكرها بسام عبد الوهاب الجابي: قراقوش ٦٢ نقلاً عن ابن مماتي: الفاشوش في حكم قراقوش، ٩٤.

(٢) املين نسيب: نوادر قراقوش ، ٥٨ – ٥٩.

(حكاية قراقوش مع الشاب المضروب)

• ومما يُلوثه أعداء الإسلام وأعداء رجاله، ما يحكى عن قراقوش أنه جاءه شاب مضروب، فبعث معهُ خمسة رجال من الشرطة. فبلغ ذلك خصمه الذي ضربه، فسبقه ووقف بجانب قراقوش.

فلّما أقبل الشاب قال الخصم: هذا الذي قتلني وضربني. فأقبل قراقوش على الشاب المظلوم ويطحه وضربه إلى أن أشرف على الموت وهو يقول: أنا مظلوم! أنا مظلوم!

فقال له قراقوش: سبقك.

فحلف الناسُ أنهم لا يقعدون ما دام قراقوش في البلد حاكماً. (1)

(حكاية قراقوش مع الغلام والديك)

* ومن الأباطيل أيضاً ما يحكى عن بهاء الدين قراقوش أنهم اتوه يوماً بغلام في يده ديك فقال: إنّ هذا الديك لو نقر عينك لكان قلعها! يا غلمان خذوا منهُ ديه عينهِ. فحلف الغلام ألاّ يسكن مدينة يكون قراقوش حاكمها بعد اليوم. (2)

---

(1) أملين نسيب: نوادر قراقوش ، ٥٩ — ٦٠.

(2) م . ن ، ٦٠.

الفصل الثالث
الغزو الثقافي

مفهوم الغزو الثقافي

• قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾.[2]

لقد حاول أعداء الإسلام مواجهته بالقوة العسكرية، إلا أنهم أدركوا أن مواجهة الإسلام بالقوة العنسكرية وأساليب القمع لن ولم تحقق لهم التخلص من الإسلام، أو حتى الحد من انتشاره، فكانت لهم محاولات عديدة فقد جربوا ذلك في الحروب الصليبية المتكررة في العصور الوسطى والعصر الحاضر، التي اجتاحت العالم الإسلامي، وكانت النتيجة أنهم لم يفلحوا في ذلك.

وكان إدراكهم كذلك أن الغزو العسكري لديار الإسلام غير مُجدٍ لأنه كثير التكاليف المادية والبشرية، فلا بد إذاً من طريقة أخرى يدخلون بها إلى ديار الإسلام، فتوجهوا إلى غزوه ثقافياً وفكرياً وعقلياً.

والاستعمار الغربي الذي هاجم العالم الإسلامي من بضعة قرون كانت له أهداف مزدوجة، فلقد كان طامع في خيرات الشرق الكثيرة حيث يراها ميراثاً لا صاحب له، ويضيف الدكتور عزمي طه السيد وزملائه في كتابهم الثقافة الإسلامية، وهو في الوقت نفسه مثقل بضغائن قديمة، حيث يكره الإسلام، وأهله كراهية شديدة، ويشتد كرههُ للعرب خاصة، فهم قوم محمد (ﷺ) وحملة رسالته وما تزال لغتهم مستودع كتابه وسنته.

---

(١) سورة البقرة ٢، آية ١٠- ١١.

(٢) سورة البقرة ٢ ، آية ١٥- ١٦.

وهم قوم لم تكن لهم دولة ولا حضارة، وكانوا يعيشون على أطلال ذكريات تربطهم بإبراهيم وإسماعيل، وهم نسب وصهر لهذين النبيين، جمعوا في أنفسهم وفطرتهم بين نقاء الأصل وكرم المعدن وعظمة الاستعداد من جهة، وبين ضياع الهدف وجاهلية السلوك والاعتقاد والتشريع من جهة أخرى. وكانوا يتحركون بين هذين النقيضين، فتارة يشهدهم كرم الأصل ونقاء الفطرة وطوراً يقعون في حمأة الجاهلية وأرجاسها، إلى أن جاء الإسلام فخلصهم من أرجاس الجاهلية، وكشف عن استعداداتهم الكامنة ومعادنهم الكريمة.

ويكمل حديثه فقد كان العرب أمّة أميّة قلّ فيهم الحاسب والكاتب، وكانوا بعيدين عن الحضارات العريقة في فارس والروم ومصر، فكانوا كالمادة التي لم تتناولها يد الصانع، فحافظت على أصلها ومعدنها، فالحضارة وإن كانت علماً واستنارة وقوة تنظيم، إلاّ أنها لا تخلو من تلّوث وتكاثر للألوان والأحوال يغيب معها اللون الأصيل والحال الأول.

والحضارة عطاء لا يخلو من استهلاك وتزيف وإنهاك، ولا سيما كلّما أمضت الشعوب في الحضارة (غير الربانية)، فإنها تجد نفسها أمام ركام من الأنماط والعادات، وتتوجه نحو الشهوات والملذات، ويقل في إبنائها عنصر الإقدام والجرأة والتضحية، ويضيف إن العرب لم يُصابوا بعيوب الحضارة، بل كانوا في جزيرتهم كالأرض البكر التي لم يجر عليها الحراث، ولم تزرع، حتّى جاء أوان الحرث والزرع، فكان الزراع نبياً رسولاً، علّمه ربه. كيف يحرث وكيف يزرع.

كما يضيف أيضاً، فيقول لقد التقى الإسلام بعقيدته الواضحة وشريعته الكاملة مع العرب، الذين لم يخوضوا تجارب حضارية معقدة قبل ذلك، فكان اللقاء لقاءً فجّر طاقات تلك الأمة الوليدة الجديدة.

ويكمل وبالرغم مما كان عليه العرب من فساد في التصوّر والخلق إلاّ أنهم كانوا يمتازون من بين سائر الأمم بصفات تؤهلّهم لحمل هذه الرسالة العظيمة، فقد كانوا

مشهورين بالصدق، لا يعرفون الكذب حتّى على خصومهم وأعدائهم. وكانوا يعتبرون الكذب معّره وعيباً.

وكانوا مشهورين بنصرة الجار وإغاثة اللهفان، وقد بلغ نصرتهم للجار أن وقعت فيهم حرب البسوس، واستمرت سنين طويلة ، وكان سببها أنّ ناقة وطئت فراخ قُبره كانت في أرض أحدهم، وكان يعتبر القُبّره مستجيره به، داخلة في عهده وحمايتهِ، فقتل الناقة فاستغاثت صاحبتها برجل آخر كانت في جواره، فقامت حرب يُدافع فيها كل طرف عن قيمة الجوار وإكرام الجار. وحريّ بهؤلاء أن يُحافظوا على جوارهم، إذا كان هذا الجوار مما يرعاه الله تعالى.

فلّما أسلموا وآمنوا كانوا خير جار لمن استجار بهم، فهم يضّحون بالمال والنفس، لا يعرفون شح البخل، ولا هلع الخوف، ولا يحسبون للموت حساباً، ولا يخشون الفقر. وكان كرمهم وتضحيتهم مما يضرب به المثل، فكيف إذا آمنوا بعقيدة تملأ قلوبهم بحبها والتسليم لها، ثم تدعوهم إلى نصرتها والبذل في سبيلها. (1)

كما يضيف لقد كانت أكثر الرذائل في حياتهم الاجتماعية فضائل تطرفوا فيها، ولم يتوسطوا، وبالغوا ولم يعتدلوا، فالإسراف تطرف في الكرم، والتهور تطرف في الشجاعة، والظُلم الذي هو تجاوز كل حدود الإعتدال. ثم همّ إلى جانب ذلك أهل الطاعة لزعمائهم وشيوخ قبائلهم، أشدّ عداء على غيرهم، رحماء بينهم. فلّما جاء الإسلام أعادهم إلى الوسطية والإعتدال ونقلهم إلى مركز الفضائل، فسخّروا فضائلهم للحق وأهل الحق. وأحبوا نبيهم (ﷺ) أكثر من أبنائهم، ووجهوا أنفسهم إلى الطاعة والعبادة، فكانوا أكثر الأمم تبعية وارتباطاً بالقيم الجديدة.

أمّا جاهليتهم فلم تكن جاهلية الكتاب والحساب، وإن قد قلّ فيهم الكاتب والحاسب، بل كانت جاهلية العقيدة والتصوّر، فهم مشركون بالله، إذ لم يكن حظهم من

---

(1) د. إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون – انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ١٣- ١٢.

الدين سوى أصنام يخترعونها، ثم سرعان ما يستبدلونها. ويجعلون لها من الهيبة والسلطان ما يشهد على فساد عقولهم وضياع أحلامهم. ولم يكلفوا أنفسهم أن يجعلوا آلهتهم من مادة معقدة، أو يبذلوا عناءً وجهداً في اختيارها. [1]

أما عن النقلة النوعية التي أحدثها الإسلام في العرب، فيقول الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني وزملائه، لقد جاء الإسلام فقلع العرب من جاهليتهم وأخذ بأيديهم إلى الهداية، فهذب طباعهم، ونقّى فطرتهم، وحمّلهم أسمى المقاصد وأعظم الأهداف وأبعد الغايات. فصان مادتهم من الضياع تحت أنواع الجاهلية، وخلّصهم من الشوائب التي غيّبت أصلهم وضيعت فطرتهم.

كما ينقل إلينا الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني وزملاؤه في كتابهم الفكر العربي الإسلامي ما يُبينه الأستاذ محمد المبارك من جوانب هذه النقلة النوعية في حياة العرب في بعض الأمور على النحو التالي:

١- نقل الإسلام العرب من مرحلة الضلال والحيرة إلى مرحلة المثل الأعلى، وأصبح الإسلام فلسفة وجودهم الفكري والنفسي وبيئتهم الثقافية والمعنوية. ولم يكن الإسلام بالنسبة لهم كالدين عند غيرهم مجرد معتقدات خاصة بالإله والشعائر، ولكنهُ كان نظاماً عاماً خضعوا لأحكامهِ، ونظموا حياتهم على أساسه، وصاغوا منهُ وجودهم الكلي في العقل والشعور والوجدان وشؤون الحياة.

٢- سلّم الإسلام العرب القيادة الفكرية، داعين مبلغين، والقيادة السياسية حُماة حاكمين.

٣- حال الإسلام بمفاهيمه ومبادئه دون ذوبان العرب في الحضارات الأخرى، حتّى في أسوأ الأوضاع وعصور الانحطاط.

---

(١) د. إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ١٣.

٤- نقل الإسلام العرب إلى الطور النهائي من أطوار الأمم،بأن حملهم المسؤولية العالمية، فنقلهم من مسؤولية القبيلة إلى مسؤولية العالم دفعةً واحدة، علماً بأن هذه النقلة تحتاج في الأحوال العادية إلى مئات السنين.(١)

أما عن النقلة التي أحدثها الفكر العربي الإسلامي في العالم: فيحدثنا عنها الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني وزملاؤه بقولهم. أمّا النقلة التي أحدثها هذا الفكر في الحياة الإنسانية فهي نقلة فريدة متميزه لم يحدث مثلها في تاريخ البشرية حتّى حُقّ لنا أن نقسم تاريخ العالم إلى عهدين: عهد ما قبل القرآن الكريم، وعهد ما بعد القرآن الكريم، أمّا جوانب هذه النقلة يذكر لنا الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني وزملائه على سبيل المثال، لا الحصر.

١- النقلة في المعرفة: كانت المعرفة الإنسانية قبل الإسلام تُستمد من الحواس والعقل، وتسيطر عليها الخرافات والأساطير وأقوال الكُهان والعرافين والضرب بالرمل، والنظر في النجوم. وأمّا دور العقل فكان يغلب عليه الجانب الفلسفي حيث يُرسل الفيلسوف عقله دونما ضوابط. فبدأ العقل يهرف بما لا يعرف ويقول ما لا يعقل.

لقد جاء الإسلام فقرر أن للمعرفة الإنسانية قنوات ثلاث: أولها: الوحي، وثانيها: العقل، وثالثها: الحس. وجعل الوحي مُهيمناً على الوسائل الأخرى، لأنه لا يُضل كما تضل، ولا يُخطئ كما تخطئ.

٢- النقلة في العقيدة: انتقلت الإنسانية بهذا الفكر من العقيدة السلبية والحياة والإنسان، فالفكر الإنساني عن الإله قبل الإسلام كان لا يعدو تصّور الإله حجراً أو حيواناً أو شجراً ، وإذا ارتقى جعله شمساً أو قمراً، وإذا ارتقى أكثر جعله ثلاثة في واحد، وأدخل الإلهية في الإنسان، والإنسان في الإلهية.

---

(١) د. إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون - دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ١٢٦.

والفـترات الـتي عرفـت فـيها البشرية التوحيد الخالص كانت فترات قصيرة، تنـتكس البشـرية بعدهـا في حمأة الشـرك والصـنمية، وبمجيء القرآن الكريم استمر التوحيد، واستقر إلى أن تأتي الساعة.

٣- الـنقلة في الأخـلاق: الأخـلاق قـبل الإسـلام كانت ميداناً للتفكير الفلسفي وكانـت الـنظرة إلـيها إمّا مُستمدة من النظرة القائلة بأن الحياة المادية هي كل شيء، ولا شيء بعدها. (١)

وبـناءً عـلى هـذه النظرة فعلى الإنسان أن يعبَّ من شهوات هذه الحياة، وأن يسـتخدم الأخـلاق مطية للإكثار من الملذات، وإما مستمدة من النظرة الثانية الـتي تـرى أن هـذه الحـياة لا شـيء يُذكـر ولـيس لهـا حقيقة، بل هي خيال، ولذلـك فإن على الإنسان أن يعتزل ما فيها من متع وشهوات ويقضي عمره في الحـرمان والآلام، حـتّى يصل إلى الحياة الأخرى التي قد تكون طوراً راقياً مـن أطـوار الدنـيا، أو حياة وراء هذه الدُّنيا. وهناك أخلاق تحكمها النزوات والتسـلط والجبروت، ومـا عـلى الإنسـان إلا أن يكـيِّف حياته وفق رغبات غـيره، ثـم جـاء الإسـلام بمنظومـته الأخلاقـية الـتي خلصـت البشـرية مـن شطحات الفلاسفة ونزوات الجبارين والمستهترين.

٤- الـنقلة في التشـريع: يقـول الدكـتور إبراهيم زيد الكيلاني وزملائه في كتابهم الفكـر العـربي الإسلامي، لم يعرف العالم قبل الإسلام نظاماً يتصف بالعموم والصـلاحية الدائمـة، وكـان أرقـى التشـريعات الـتي وصـل إلـيها الإنسـان التشـريع الـروماني، وهـو تشـريع غـير منطقي في كثير من نصوصه. ويكفي لإثبات سذاجته أنه كان يحاكم الجماد والحيوان، وينزل بهما العقوبة. وكانت المحـاكم تقـدم الحجـارة والأتربة للمحاكمة، ثم تأمر بابعادها وطردها خارج

(١) ما تزعمه الحضارة الغربية.

البلاد وغيرها من العقوبات. حتّى جاء الإسلام بتشريعه للفرد وللجماعة وللدولة، وهو تشريع يُلبي حاجة الإنسان أبد الدهر، لا يأتيهِ الباطل من بين يديهِ ولا من خلفهِ.

هذا وقد قلنا أن الاستعمار الغربي كان يكره الإسلام وأهله كراهية شديدة، فلّما واتته الفرصة ووضع يده على أقطارهم شرع بضرب الإسلام بقوة ومكر، ويقول الدكتور عزمي طه السيد وزملائه في كتابهم الثقافة الإسلامية، وانطلقت طلائع الغزو الثقافي تطارد الدين المغلوب أهلهِ على أمرهم، في جميع الميادين الثقافية والاجتماعية والإقتصادية والسياسية والتعليمية، وأفلحت في تكوين أجيال تنظر إلى ماضيها كلهُ على أنه أنقاض أو مخلفات ينبغي أن تختفي ليحل محلها البناء الجديد الذي وضع الغرب حقيقته وصورته، وذلك عن طريق الإشاعات الكاذبة حول هذا الدين الحنيف.

وقبل التطرق للحديث عن أهداف الغزو الثقافي، وأساليبه، وكيفية مواجهته، لا بد لنا من تعريفه.

الغزو الثقافي: عملية إقحام تراث وفكر وثقافة أمة من الأمم على أمة أخرى بعد عملية التشكيك ليحل مكان فكرها ومعتقداتها السائدة فيها.

أهداف الغزو الثقافي:

أولاً: القضاء على الإسلام وتمزيق المسلمين وعزلهم عن دينهم وتراثهم وثقافتهم:

أدرك أعداء الإسلام أن الإسلام خطر عليهم فهو يهدد الغزاة الطامعين في عقر دارهم فتوجسوا خيفة من القرآن العظيم، ومن وحدة المسلمين، ومن نظام الإسلام، وأدركوا أن القوة كامنة في مصادر ديننا العظيم.

ونتلمس ذلك من بعض أقوال الحاقدين على الإسلام. قال (البر مشادور): (من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرّة ثانيةً، وفي الوقت المناسب).

ويتابع: (لست متنبئاً، لكن الإمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها. إنَّ المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ: ها أنا ذا، إنني لم أمُت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداةً تسيِّرها العواصم الكبرى ومخابراتها).

وقد أقبل المستشرق والمبشر (لورانس براون): (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يُصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، وأمكن أن يُصبحوا نعمةً له أيضاً، أما إذا بقوا متفرِّقين، فإنهم يظلون حينئذٍ بلا وزنٍ ولا تأثير).

ويكمِّل حديثه فيقول: (يجب أن يبقى العربُ والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير).

هذا وقد قال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر : (إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم).

وقال المبشر (أتاكلي): (يجب أن نستخدم القرآن الكريم وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، حتَّى نقضي عليه تماماً: يجب أن نبيِّن للمسلمين أنّ الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأنَّ الجديد فيه ليس صحيحاً). ويكمل معنا الدكتور عزمي طه السيد وزملاؤه ومن هذا المنطلق كانت مخططاتهم لمحاربة الإسلام، ونزع القرآن العظيم من صدور أبنائهِ والقضاء على كل وحدة بين أبناء المسلمين . [1]

ثانياً: منع الإسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين:

من استراتيجية الأعداء محاولتهم محاصرة الإسلام داخل ديار المسلمين وأن يعملوا بكل الوسائل والطاقات لوقف انتشاره خارج دياره، حتَّى لا يتأثر النَّاس من غير المسلمين به.

---

(١) للمزيد من المعلومات عن الغزو الثقافي والاستشراق، عزمي طه السيد وزملاؤه: أنظر الثقافة الإسلامية ، ١٨٠ - ١٩٨

ثالثاً: التمهيد للاستعمار في صوره المختلفة:

الغـزو الـثقافي، وإن كان لا يعتمد على المواجهة، ولا يستخدم القوة المباشرة كما في حالـة الغـزو العسـكري لكـنهُ مع هذا أعظم خطراً وأجدى على الغزاة من نواحٍ كثيرة يذكر منها الدكتور عزمي طه السيد وزملاؤه: [1]

١- يفقد المستهدفين بالغزو حالة الانتباه إليه والاستعداد له.

٢- يتفادى جميع أسباب المقاومة التي يمكن أن يتعرض لها في حالة المواجهة .

٣- قلـيل التكلفة على الغزاة، بينما نتائجه وآثاره أبعد مدى من نتائج أي غزو عسكري، وتعلـيل ذلـك أن الغـزو العسـكري تنتهي آثاره بانسحاب قوات الاحتلال، أما الغزو الثقافي يبقى مع الناس لأنه يستعمر العقول والقلوب.

٤- وسـائل الغـزو العسـكري بشـعة ومـنفردة قوامهـا الدم والتضحيات والخراب، بينما وسـائل الغـزو الثقافي خادعة. ولقد كانت هناك طرق عدة اتخذوها في تحقيق أهدافهم يذكـر مـنها الدكـتور عزمي طه السيد وزملائه في كتابهم الثقافة الإسلامية، ومن أهم تلك الطرق:

أ- نشر الأباطيل حول شريعة الإسلام ومهاجمتها:

ومـن هـذه الأباطيل الزعم بأن القرآن الكريم لم ينزل على نبينا محمد (ﷺ) من عـند الله تعـالى، ولكـنه افـتراه وتقـولـه، وهـذه الفرية قديمة نطقت بها أفواه المشركين منذ صور الدعوة الأولى، ورد عليها القرآن الكريم.

كمـا زعمـوا كذلـك أن الإسـلام لـيس سـوى إقتـباس مـن كـثير مـن الشـرائع والديانات السابقة. [2]

---

(١) عزمي طه السيد وزملائه: الثقافة الإسلامية ، ١٨٤.

(٢)د. م . ن ، ١٨٤.

وللدكتور محمد سعيد رمضان البوطي مُداخلة، بما كانت عليه الأمم التي تعيش من حول الجزيرة العربيّة قبيل الإسلام. فيقول: (كان يتصدر العالم آن ذاك دولتان اثنتان، تتقاسمان العالم المتمدن هما: فارس والروم، ويأتي من ورائهما اليونان والهند).

أما فارس فقد كانت حقلاً لوساوس دينية فلسفية متصارعة مختلفة، كان فيها الزرادشتية التي اعتنقها ذوو السلطة الحاكمون، وكان من فلسفتها تفضيل زواج الرجل بأمه أو ابنته أو اخته، حتّى إن يزد جرد الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بابنته. هذا إلى جانب انحرافات خلقية مشينة مختلفة.

وكان فيها (المزدكية) التي قامت كما يقول الإمام الشهرستاني على فلسفة أخرى هي حلّ النساء وإباحة الأموال وجعل النّاس شراكة فيها كاشتراكهم في الماء والنّار والكلأ، وقد حظيت هذه الدعوة باستجابة عظيمة لدى أصحاب الرعونات والأهواء وصادفت لديهم قبولاً عظيماً). [1]

ويكمل الدكتور قوله، (وأما الرومان، فقد كانت تسيطر عليها الروح الاستعمارية، وكانت منهمكة في خلاف ديني بينها من جهة وبين نصارى الشام ومصر من جهة أخرى، وكانت تعتمد على قوتها العسكرية وطموحها الاستعماري في مُغامرة عجيبة من أجل تطويرها للمسيحية والتلاعب بها حسبما توحي به مطامعها وأهواؤها المستشرقية.

ولم تكن هذه الدولة في الوقت نفسه أقل انحلالاً من دولة الفرس، فقد كانت تسودها حياة التبذل والانحطاط والظلم الاقتصادي من جراء كثرة الاتاوات، ومضاعفة الضرائب)[2]، ويكمل قوله (أما اليونان فقد كانت غارقة في هوسات من خرافتها وأساطيرها الكلامية التي مُنيت بها دون أن ترقى منها إلى ثمرة أو نتيجة مُفيدة.

---

(١) د. محمد سعيد البوطي- انظر فقه السيرة النبوية، ٢٥- ٢٤ نقلاً عن الشهرستاني: الملل والنحل، ٢/ ٨٧ - ٨٦ .

(٢) د. م. ن، ٢٥.

وأمـا الهـند، فقد كانت غارقة كما ينقل لنا الدكتور محمد البوطي عن الأستاذ أبو الحسـن الـندوي: إنـه قـد اتفقـت كـلمة المؤلفـين في تاريخها أن أحط أدوارها ديانة وخلقاً واجـتماعا ذلـك العهـد الـذي يبتدئ مـن مُسـتهل القـرن السـادس عشـر الميلادي، فقد سـاهمت الهـند مع جاراتها وشقيقاتها في التدهور الأخلاقي والاجتماعي ويكمل حديثه، وينـبغي أن نعـلـم أن القـدر المشـترك الـذي أوقع هذه الأمم المختلفة فيما وقعت فيه. من انحـلال واضـطراب وشـقاء، إنما هو الحضارة والمدنية اللتان تقومان على أساس من القيم الماديـة وحدهـا دون أن يكـون ثمـة مـثل أعـلى بعقـود هذه الحضارة والمدنية في سبيلهما المسـتقيم الصـحيح، ذلـك أن الحضـارة بمخـتلف مقوماتها ومظاهرها ليست سوى وسيلة وسبب.

أمـا عـن الجزيـرة العربـية فقـد كانـت هادئـة، بعـيدة بـل منعزلة عن مظاهر هذه الاضـطرابات كـلها. فـلـم يكن لدى أهلها من الترف والمدنية الفارسية ما يجعلهم يتفننون في خلـق وسـائل الانحلال وفلسفة مظاهر الإباحية والانحطاط الخلقي ووضعها في قوالب مـن الدين، ولم يكن لديهم من الطغيان العسكري الروماني ما يسطون به أيديهم بالتسلط عـلى أي رقعـة مـن حولهـم، ولم يؤتـوا من ترف الفلسفة والجدل اليوناني ما يصبحون به فريسة للأساطير والخرافات). [1]

فـإذا كان هذا حال الأمم قبل الإسلام، فنقول لمن زعموا أن الإسلام هو اقتباس مـن كـثير مـن الشـرائع والديانـات السابقة، فكيف يكون هذا الدين الحنيف الذي أخرج الـنّاس مـن الظُـلمات إلى الـنور، وإخراجهم من ممات العقول والقلوب إلى أحياء العقول والقلـوب، هـذا وكمـا يقـول الدكـتور إبراهـيم زيـد الكيلاني وزملائه ، (لم يجد الإنسان كرامـته وسـعادته كمـا وجدهـا في الحضـارة الإسـلامية، حضـارة الإنسـان بحق، فليست حضـارة الشـعب المخـتار، ولا حضـارة الإنسـان الإلـه، ولا حضارة الكهنة، ولا حضارة الـرعاع، ولا حضـارة الإنسان الأبيض، ولا حضارة الدماء الزرقاء، ولقد عاشت البشرية

(١)م محمد سعيد البوطي، ٢٦- ٢٥.

قبل الحضارة الإسلامية في مأساة معقدة، فلم تعرف معنى الكرامة الإنسانية، ولا معنى المساواة. وجاء الإسلام لينقذ الإنسانية من قيود الطبقية والتمييز العنصري.

أما الهدف من زعمهم أن الإسلام ليس سوى اقتباس من كثير من الشرائع والديانات السابقة، فهناك أهداف من وراء ذلك، وهو محاولة صرف أنظار أتباعهم عن التأثير بهذا الدين، بدعوى أن ما جاء فيهِ موجود عندهم. كما آثاروا بأن الإسلام مصدر خطر، لأنه الدين الذي يقر العنف ويبيح رؤيه الدماء بدليل قطع يد السارق، ورجم الزاني المحصن، وضرب عنق القاتل) [1].

وفي مُداخلة الدكتور إبراهيم لهم، حول هذا الموضوع، (إذ تتمثل الغاية من العقوبة في الإسلام بأنها: (أولاً تردع الجريمة. فإذا رأى الإنسان في الجريمة نفعاً له وأراد ارتكابها، فإن شبح العقاب المرعب يردعه عنها، ثانياً: حماية مصالح النّاس وضرورات حياتهم، ثالثاً: إصلاح المجرم وتقويم اعوجاجه) [2]. أما عن الشبهات التي تثار حول نظام العقوبات في الإسلام فيقولون (رد عن البعض الذين يزعمون بأن أحكام الحدود في نظام العقوبات الإسلامي قاسية لا تساير روح العصر، ولا تتفق مع النظرة الجديدة في تحليل نفسية المجرم. ويقولون: هل يمكن أن تطبق اليوم تلك العقوبات الهمجية التي كانت تُطبق في الصحراء؟ وهل يجوزان تقطع يد في ربع دينار؟)[3] وكان ردهم على هذه الشبهة بالقول:

١- أن عنصر القسوة يمثل الركن الأساسي لمعنى العقوبة، فلو فقدت القسوة فقدت معها العقوبة بدون شك. وأن الذي يُحدد قسوة العقوبة فظاعة الجريمة وخطورتها. وهذه الحقيقة محل وفاق عند جميع عُلماء الشرائع والقوانين مهما اختلفوا في تحليل فلسفة العقاب.

---

(١) إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون: الفكر العربي الإسلامي، ٢٤٩.

(٢) م. ن، ٢٣٥ – ٢٣٩.

(٣) م. ن، ٢٣٦.

٢- إن إدعاء القسوة والشدة في حدود الشريعة الإسلامية مظهر من مظاهر السطحية في فهمها.

٣- إن الإسلام لا يقرر العقوبات جزافاً، ولا ينفذها كذلك بلا حساب، وله في ذلك نظرة ينفرد بها بين كل نظم الأرض، نظرة تلتقي حينا برأي الدول القائمة على الحرية الفردية التي ترى بأن الجرائم تنشأ من أسباب نفسية كالعقد النفسية والاضطرابات العصبية، وتلتقي حيناً آخر برأي الدول الاشتراكية التي ترى بأن الجرائم تنشأ من أسباب اقتصادية، فنظرة الإسلام تمسك بميزان العدالة من منصفه. فالإسلام يقرر قطع يد السارق، ولكنه لا يقطعها أبداً وهناك شبهة أن السرقه نشأت من الجوع. [1]

٤- إن الذين يخافون من تطبيق العقوبات الشرعية، ويرون فيها إهداراً لكيان الفرد واستهتاراً بشأنه، يتصورون خطأ أنّ هذه العقوبات كعقوباتهم المدنية ستبطق كل يوم. فالجرائم في ظل العقوبات الوضعية في إزدياد والمجرمون يكثرون ولا ينقصون، وبعد استعراض الشبهات التي تثار حول نظام العقوبات في الإسلام، فإن للعقوبات في الإسلام مزايا، تمتاز عن غيرها من القوانين الوضعية، إذ يستعرضها الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني وزملائه بقولهم: العقوبة في الإسلام لا تُصيب إلاّ من ارتكب الجريمة ،استثناءً أو تفريقاً بين حاكم أو محكوم أو غني أو فقير أو رجل أو إمرأة[2]، ولعل رفض الرسول (ﷺ) شفاعة أُسامة بن زيد في فاطمة المخزومية التي سرقت خير دليل على ذلك. أما العقوبة في القوانين الموضعية، ففي الغالب لا تطبق على جميع النّاس ولا سيما الأغنياء وأصحاب السلطة والنفوذ. وكذلك سعوا إلى الإنتقاص من التشريع الإسلامي وإبراز محاسنه في صورة وعيوب ونقائص.

---

(١) عمر بن الخطاب لم ينفذ حد السرقة في عام الرمادة. حيث كانت الشبهة قائمة في اضطرار النّاس للسرقة بسبب الجوع.

(٢) إبراهيم زيد الكيلاني وأخرون: الفكر العربي الإسلامي، ٢٣٢ .

فموضوع تعدد الزوجات، صورة إعداد الشريعة الإسلامية، بالرغم بكل ما يكتنفه من ضوابط ورحمه من الله تعالى، صوره هؤلاء لأتباعهم وللعالم كلّه على أنه ضرب من فوضى الجنس يبيحها هذا الدين للمسلمين. [1]

وكان ردنا على تصورهم بأن الإسلام اباح تعدد الزوجات بثلاثة شروط وهي:

أولاً: أنْ لا يجمع أكثر من أربع زوجات في وقتٍ واحدٍ.

ثانياً: العدل بين الزوجات، فمن شروط تعدد الزوجات، أنْ يعدل الزوج بين زوجاتـهِ في حقوقهن من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، وحسن المعاشرة والمعاملة والمبيت والنفقة وكلّ امرٍ مستطاعٍ.

ثالثاً: أنْ يكون قادراً على الإنفاق على زوجاتهِ.

يقـــول تعـــالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [2].

أما عن الحكمة من إباحة تعدد الزوجات، هناك عدة ظروف، ومن هذه الظروف:

١- المرض: فإذا كان مرض الزوجة معدياً أو منفرا، أو مرضاً لا يُرجى شفاؤهُ، الأمر الذي يجعل الحياة الزوجية، صعبة، فللزوج أن يتزوج بامرأةٍ أخرى تعينه على القيام بشؤون الحياة الزوجية، شريطة الإبقاء على زوجتهِ الأولى وإعطائها حقوقها، لأن الزوجة الأولى لا علاقة لها بالمرض.

---

(١)د. عزمي طه السيد وزملائه الثقافة الإسلامية.

(٢) سورة النساء ٤ ، آية ٣.

٢- العقُم: من الرأي الراجح لدينا، ولدى علماء النفس أن ..(الغرائز الإنسانية ثلاث، ... وهذه الغرائز هي: غريزة التدين، وغريزة البقاء، وغريزة حفظ النوع، وما يهمنا في هذا المقام، النوع الثالث؛ وهي غريزة حفظ النوع، من خلالها يُحاول الإنسان أن يُبقي على نوعهِ كإنسان، ومن مظاهرها: التواصل الجنسي والحرص على الولد، فإن يحرص الإنسان على أن يكون له ولد، أمر طبيعي، نراه في الإنسان ونلمسه عند بني البشر عامة، فجميع النّاس يملكون رغبات وتمنيات بالحصول على أولاد، ومن هذا نرى أن الأمومة والأبوة، أي طلب الحصول على ولد، أمرٌ فطري في الإنسان، وإن كان يستطيع الحياة بدون أولاد)[1]، (إلاّ أن حياته ستبقى قلقة باحثة عن الذرية، خاصة إذا أدرك أن العجز عن القدرة على الحصول على ذرية هو بسبب أمر عضوي كالعقم مثلاً.)[2]

ومما تقدم نستخلص ما يلي، إذا كانت الزوجةُ لا تنجب، والزوجُ يرغبُ في الولد، فلهُ أنْ يتزوج امرأةً أخرى لعلَّ الله يرزقُهُ منها الذرية، مع الإبقاء على زوجتهِ الأولى وإعطائها حقوقها، وهذا خيرٌ لها من الطلاق الذي تُعاقبُ على أمر لم تكن مسؤولة عنه.

وما دمنا في هذه الفقرة، وبما أن أعداء الشريعة الإسلامية سعوا للإنتقاص من هذا الدين السمح بتصوير كاذب، فلا بد من فضح العالم الغربي الذي يسعى لتشويه صورة الإسلام بإشاعاته، فعلى سبيل المثال.

(هناك شركات خاصة في العالم الغربي مهمتها البحث عن النساء الراغبات في تأجير أرحامهن، والحمل من غيرهن، منها شركة (ستوركس storkes) في الولايات

(١) زياد سلامه: أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، ٢٢.

(٢) م. ن، ٢٣.

المتحدة) [1]وفي مدينة لوس الجلوس في الولايات المتحدة تكوّنت جمعية تسمى جمعية الأمهات البديلات أو الأمهات المستعارات surrogate mothers يتوافد عليها عدد من الأزواج المصابين بنوع من العقم للبحث عن رحم مستعار. [2]

أما عن تأجير الأرحام، فتتلخص الفكرة بأن تتقدم امرأة تستطيع الحمل والولادة من أسرة لا تستطيع الزوجة فيها أن تحمل أو تلد، إما لغياب الرحم لديها نهائياً أو لعدم قدرتها على احتضان الجنين أو لعدم وجود الرغبة لدى هذه الزوجة بالحمل ترفهاً وتجنباً لمشاق الحمل والولادة، فتأتي هذه المرأة المستعدة للحمل وتتطوع بإتمام العملية. بأجر أو تبرعاً بدون أجر.

وفي الغالب يكون هناك عقد واتفاق ومحامون حتّى تأخذ العملية بُعداً قانونياً لا يستطيع أي طرف أن يفسخ العقد أو أن يتراجع دون سبب مذكور في العقد. فنرجع ونقول لأعداء الشريعة الإسلامية، الذي تعيبونه وتتقصون من إبراز محاسنة، إن الإسلام لا يسمح بما تسمحونه، فيكفيه شترفاً أنهُ إذا لم تكن الزوجة تنجب والزوج يرغب في الولد، انْ يتزوج إمراةً أخرى لعلْ الله يرزقهُ منها الذرية، مع الإبقاء على زوجتهِ الأولى وإعطائها حقوقها.

٣- الزيادة في عدد النساء: عندما يزداد عدد النساء على عدد الرجال، سواءُ أكانت الزيادة طبيعية بارتفاع عدد المواليد الإناث، وقلة المواليد الذكور، أمْ غير طبيعية أو اختلال التوازن بين عدد النساء والرجال، فالمهاجرون يكونون غالباً من الرجال، فهنا مشكلةٌ، فلا بدُ من حلها بمعالجة هذا الأمر، حتّى لا تؤدي الزيادة في عدد النساء إلى شيوع الفسادِ، لعدم وجود العدد الكافي من الرجال للزواج

---

(١) زياد احمد سلامه: أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة، ١٢٣.

(٢) م . ن ، ١٢٣

بهـنَّ، وحتَّى لا يبقينَ دون زواجٍ، فجاء الإسلام وأباح تعدد الزوجات، وفي هذا حمايةُ للمرأة من البؤس والشقاء، وإنقاذُ للمجتمع من الضلال.

هـذا ولم يتوقف أعداء الشريعة الإسلامية عند هذا الحد بل أنهم تجرؤوا ووصفوا موضـوع الطلاق أنه ضرب من الهمجية، ونرد عليهم فإذا استفحل الخلاف بين الزوجين، إلى درجـة تُصـبح معهـا الحـياة بـين الزوجين مُستحيلة، بل ينعكس استمرارها سلبياً على الأطفـال وإذا مـا فشـلت الحلول الممكنة جميعها لإعادة الحياة إلى مجاريها بينهما فلا بد من حل جاد، إلا وهو الطلاق.

والطـلاق أبغـض الحـلال إلى الله تعـالى، وقد شرعهُ الإسلام تخليصاً لزوجين من حياة أصبحت جحيم باستمرارها.

ويقـول الدكـتور عـزمي طـه السـيد وزملائـه، (ومـن الغريب في الأمر أن الغزاة الذيـن يعيـبون تعـدد الـزوجات أو الطـلاق تعـترف مجتمعاتهم علانـية بحق الرجل وهو متزوج بأن تكون له خليلة بل خليلات بالحرام وأن يكون له منهن أولاد وذرية). [1]

الشق الثاني (ب): تجسيم مظاهر الضعف في ديار المسلمين وحملها على الإسلام: يحـاول أعـداء الإسـلام بتخطـيط واعٍ ومـا كـر ، (أن يُلصـقوا بالإسـلام كـل الأخطـاء والانحـرافات الـتي يـتورط فيها بعض المسلمين) [2]. ويكملون حديثهم ويقولون (ما يزال عـند كـثير من الغربيين حتى اليوم، أن كلمة مُسلم تعني التخلف والعجز وعدم الصلاحية لممارسة أي دور حضاري، ولكن الإسلام إذا ما مارسه المسلمون على وجههِ الصحيح فإنه يصنع منهم العجائب أفراداً وجماعات، أما إذا تخلوا عنهُ تعرضوا للتخلف والانحدار). [3]

وهذا كله من إشاعات الحاقدين على الإسلام للعمل على تشويه صورته.

---

(١) د- عزمي طه السيد وزملائه: كتاب الثقافة الإسلامية، ١٨٥.

(٢) م . ن ، ١٨٥.

(٣) م . ن ، ١٨٦.

أساليب الغزو الثقافي

أولاً: التبشير: التبشير مؤسسة من مؤسسات الغزو الفكري الغربي الموجهة للعالم الإسلامي، التي عملت على إخراج المسلمين من الإسلام بإضعاف العقيدة في نفوسهم، وتقبل نمط الحياة الغربية، ويكون إطلاق لفظ التبشير على ما يقوم به المبشرون من نشر للدين المسيحي، وما يقومون به في خدمة المسيحية ودولها من واقع نظرتهم هم. وتعمل في الواقع على تسهيل الغزو الفكري الغربي للبلاد الإسلامية.

وقد أخذت أوروبا تغزو العالم الإسلامي في أواخر القرن السادس عشر الميلادي عن طريق التبشير، ورصدت لذلك الأموال الضخمة، وأقامت مركزاً لذلك في جزيرة مالطة، ومنها بدأ التبشير يمتد إلى بلاد الشام وسائر أنحاء العالم الإسلامي. على ما يُسهل لهم مهمتهم، فقد كان التبشير مُقدمة وتمهيداً لبسط المستعمرين نفوذهم على منطقة العالم الإسلامي.

واستخدمت الدول الأوروبية الاستعمارية بالتبشير وسيلة من وسائل الغزو الفكري والحضاري، باسم العَالم والإنسانية.

* وأما عن الطرق والوسائل التي اتخذتها حركة التبشير لتحقيق أهدافها في نشر ثقافة الغرب ما يلي:

أ- التعليم: أنشأ المبشرون المدارس على اختلاف مراحلها والمعاهد والكليات الجامعية في الدول الإسلامية.

والتعليم في رأي المبشرين، أثمن الوسائل لنشر الفكر الغربي بين أبناء المسلمين. وذلك بنشر أفكارهم العامة وثقافتهم من خلال المناهج الغربية التي يدرسونها لأبناء المسلمين. ويقول كبير المبشرين: (صموئيل زويمر) مُخاطباً المبشرين في مؤتمر خاص: (أن

مُهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليُصبح مخلوقاً لا صله له بالله وبالتالي لا صلة له بالأخلاق، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طلائع الفتح الإستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خير قيام.[1] وكما يقول أحد المبشرين عن أهداف هذه المدارس والكليات : (أن أهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الإرساليات في جميع البلاد كان دائماً متشابها، إن المدارس والكليات كانت تعتبر في الدرجة الأولى وسيلة لتحقيق أهداف التبشير حتى أن الموضوعات العلمية البحتة التي تعلم من كتب غربية وعلى أيدي مُدرسين غربيين تحمل من الآراء التبشيرية).[2]

وتقول المبشرة (أنا فيجان) (إن المدارس التبشيرية في بلاد العرب والمسلمين أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة أوطانهم)[3].

ب- إقامة المستشفيات والعيادات الطبية، التي تقدم للفقراء العلاج المجاني:

بعد استعراض الوسيلة التي اتخذها المبشرون لتحقيق أهدافهم ألا وهي التعليم، فلم يتوقفوا عند ذاك، بل كانت لهم وسائل مختلفة منها إقامة المستشفيات والعيادات الطبية، التي تقدم للفقراء العلاج المجاني، إذا استغل وكما يقول الدكتور عزمي طه السيد وزملائه في كتاب الثقافة الإسلامية، (وسخروا الطب في سبيل غاياتهم. وبذلك يكون المبشرون قد اتخذوا الطب يتقربون به من المريض). كل ذلك من أجل إشاعة عجز الإسلام والمسلمين في مجالات الخدمة الصحية.

---

(١) الثقافة الإسلامية: د. سعدي حسين وآخرون.

(٢) د. عزمي طه السيد وزملائه: الثقافة الإسلامية، ١٨٥.

(٣) م . ن ، ١٨٦

ج- استخدام وسائل الإعلام المتوافرة، وتأليف الكتب، واستخدام الصحف والمجلات، وإنشاء المكتبات ومراكز المعلومات:

لقد استخدم المبشرون في عدد من بلاد المسلمين وسائل الإعلام المتوافرة لنشر أفكارهم وآرائهم في أوساط النّاس فألفوا الكتب، واستخدموا الصحافة والنشرات وذلك لنقل صور الثقافة الغربية المختلفة وتزيينها عند أبناء المسلمين. كما أسسوا دور النشر لترويج الكتب التي تدعو إلى فكرهم وحضارتهم وتحقيق أهدافهم. كل ذلك إشاعات للعمل على تزييف الفكر الإسلامي.

د- إنتشار الجمعيات والنوادي:

أسس التبشير أيضاً النوادي والمراكز. إذ يُنظم المبشرون المخيمات الكشفية للذكور والإناث، واستخدموا الإحسان والبر والعطف على المحتاجين، ورعاية ذوي الحاجات الخاصة، وسيلة للإتصال بالمسلمين والعيش معهم. ويبثُّ ما يشاءون من اتجاهات الحياة الغربية وأفكارها لإشاعة أن الإسلام عاجز عن تأمين حاجات أبنائه ونجد نسي المسلمين حادثة رفع الجزية عن اليهودي وإعطائه من بيت مال المسلمين.

آثار التبشير:

للحركة التبشيرية آثاراً عميقة في الحياة الإسلامية منها:

١- تعظيم الحياة الغربية، واتباع أنماطها بوصفها سبباً للنهضة وإشاعة أن الإسلام عاجز عن مواكبة الحياة الحاضرة.

٢- إضعاف الروح الإسلامية لدى الناشئة، وقبول الأفكار الغربية والمبادئ الوافدة،فانتشرت بين المسلمين الأفكار المادية والشيوعية والإلحادية، وصار ابطال الغرب محط أنظار بعض أبناء المسلمين وقدوتهم. ونسوا أنهم من أمةٍ يزخر تاريخها بعظماء أمجاد قدموا للإنسانية الكرامة والسعادة. ونسوا أنهم من أمةٍ أعطت شعوب الدُّنيا دروساً عملية في إحترام كرامة الإنسان، تسودهم المحبة وينعمون بالحرية.

٣- تشويه التاريخ الإسلامي. وسير الخلفاء المسلمين، وإظهار حركة التاريخ الإسلامي بأنها حروب وخلافات وفتن وثورات وصراع على الحكم وظلم للرعية، ولجأ المبشرون في هذا الصدد إلى تضخيم الأخطاء التي وقعت، وتصدير بعض الخلفاء بأنهم غارقون في اللهو والعبث والمجون.

٤- الطعن في الإسلام ورسوله (ﷺ). وصدق نبوته، وإشاعة الأفكار المضللة، كقولهم: إن الإسلام انتشر بالسيف والإكراه.

وهذه كلها ليست أكثر من إشاعات تهدف لتشويه سمعة الإسلام في نظر وفكر أبنائه.

ثانياً: الاستشراق:

لقد أُطلقت كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها علماء من الغرب لعلوم الشرقيين، ولغاتهم، وأدبائهم، وتاريخهم، وأوضاعهم الاجتماعية ونحو ذلك. ولكن ليس لحباب عيون الإسلام وأهلِهِ، إنما للإطاحة بهِ شيئاً بشيئاً.

ويقول الدكتور عزمي طه السيد وزملاؤه، (والاستشراق، حركة ولدت منذ قرون وهي في ظاهرها، حركة علمية يراد منها دراسة التراث الشرقي. في معتقداته وآدابه، ولكنها تريد من وراء هذا التعرف على منابع هذا التراث ومحاولة صرف أهلِهِ عنه، ليولوا وجوههم شطر الغرب ويتعلقوا بركاب حضارته. والمستشرق، هو من درس لغة أو أكثر من لغات الشرق، ثم درس بهذه اللغة علوم تلك اللغة وفنونها وآدابها ومعتقدات أهلها). [١]

---

(١) د.عزمي السيد طه وزملاؤه ، ١٨٩.

دوافع الاستشراق:

أ- الدافع الديني التبشيري: يقول الدكتور عزمي طه السيد وزملاؤه: (قد بدأ الرهبان ثم استمروا، ومعظم المستشرقين من رجال الكهنوت الذين كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الإنتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص، وسفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي. ويزينوا لهم ما في المسيحية من تعاليم وأحكام، واستدراج المسلمين للأخذ بالحضارة المادية الحديثة، وما فيها من مُغريات للنفوس، لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي. [1]

ب- الدافع الإستعماري: يقول استاذنا الدكتور عزمي طه (لم ييأس الغربيون بعد هزائم الصليبيين في الحروب الصليبية من العودة إلى إحتلال البلاد العربية والإسلامية، فكان إتجاههم إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وأخلاق وتراث ولغات وتاريخ، من أجل أن يتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموها). [2]

كما شجعوا الصراع بين المسلمين والنصارى، وبين السنة والشيعة.

فالدعوة إلى الطائفية، تؤدي إلى تقسيم الشعب الواحد أو الأمة الواحدة إلى طوائف متعادية متباغضة، وذلك يهدف إلى تسهيل سيطرة المستعمرين على البلاد والشعوب في العالم الإسلامي.

ج- الدوافع الإقتصادية: يهدفون من ذلك الإستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة والإستيلاء على الثروات الطبيعية. وذلك بالحصول عليها

---

(١) عزمي طه السيد وزملاؤه: الثقافة الإسلامية ، ١٩٠.

(٢) م . ن ، ١٩١.

بـابخس الأثمـان، وأماتـه الصناعات المحلية، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تُصدره المصانع الآلية الغربية.

إذ أن الهـدف الأول مـن اسـتعمار الدول الغربية للعالم الإسلامي هو البحث عن مصـادر الثروة فيه، وتزويد المصانع الغربية بالمواد الأولية المتوافرة في العالم الإسلامي بأقل التكالـيف وحتى يثبتوا بـآلاتهم ويشـيعوا عجـز المسلمين عن صناعة مثل تلك المصانع والآلات.

د- الدافـع السياسـي: يقول الدكتور عزمي طه السيد وزملاؤه، في هذا المقام لقد أخـذ هـذا الدافـع يتجلى في العصر الحاضر وبعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية اسـتقلالاً شكلياً فقد رأت البلاد الإستعمارية حاجتها السياسية تقضي أن يكون لها في كل سـفارة مـن سـفارات الدول الغربية من لديهم زاد جيد من الدراسات الإستشراقية ليقوم لهـم هـؤلاء بمهمـات سياسـية مُتعددة في بـلاد المسـلمين. مـنها الإتصـال بـرجال الفكر والصـحافة والسياسـة للـتعرف عـلى أفكـارهم، وبـث الإتجاهـات السياسـية التي تُريدها الدول الاستعمارية فيهم). [1]

هـ- الدافع العلمي: يقول الاستاذ الدكتور عزمي طه السيد وآخرون، (هناك نفر قلـيل مـن المستشـرقين أقـبلوا عـلى الاستشـراق بدافع من حُب الاطلاع على حضارات الأمـم وأديانهـا وثقافـتها ولغـتها، وهـؤلاء كـانوا أقـل مـن غيرهـم حظاً في فهم الإسلام وتـراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتخريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المـنهج العـلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالية من المستشرقين، بل أن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالتهِ). [2]

(١) عزمي طه وزملاؤه: الثقافة الإسلامية ، ١٩٢.

(٢) م . ن ، ١٩٢.

ويكمل (على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجاً، لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، لذلك فهي لا تُدر عليهم ربحاً ومالاً، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين).[1]

يقول المستشرق الفرنسي الدكتور (غوستاف لوبون): (إن سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين ونسبته بالعقائد الباطلة، فإن الدين قوة أدبية لا يُستهان بها. ومن الواجب عليكم أن تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر، وأن تحافظوا على تقاليدكم الحسنة وعاداتكم المرضية، وعلى الطلاب الشرقيين،الذين يأتون أوروبا لاقتباس أنوار المعارف، أن ينتخبوا من العلوم والفنون والأفكار والعادات ما يُفيد وطنهم ويوافق أخلاقهم).[2]

أهداف الاستشراق:

للاستشراق أهداف تبدو واضحة للعيان وإن جهلها البعض ونوجز هذه الأهداف بالنقاط التالية والتي أجملها الدكتور عزمي طه السيد وزملائه، أهداف الاستشراق بالنقاط التالية:

أ- إنكار أن يكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً مُنزلاً من عند الله تعالى.

ب- التشكيك بصحة رسالة النبي (ﷺ)، فهم ينكرون أن يكون محمد (ﷺ) نبياً موحى إليه من عند الله تعالى.

ج- إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله ، وإنما هو مُلفق من الديانتين اليهودية والنصرانية.

---

(١) عزمي طه السيد وزملاؤه: الثقافة الإسلامية ، ١٩٢.

(٢) م . ن ، ١٩٢.

د- التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده عُلماء المسلمين المحققون.

هـ- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي، زعموا بأن هذا الفقه مُستمد من الغربيين وعلى الأخص الفقه الروماني.

و- التشكيك في قدرة اللغة العربية على مُسايرة التطور العلمي، لتظل الأمة العربية المسلمة عالة على مصطلحات الغربيين.

ز- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان واليونان. (١)

ومما سبق يبدو أهمية الإشاعة وتأثيرها على المسلمين حتى وإن كثيرٌ من الجهلة بالدين أخذوا ببعضٍ هذه الأفكار.

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم:

عمل المستشرقون بعدة وسائل من أجل تحقيق أهدافهم نجملها فيما يلي:

١- تأليف الكتب في موضوعات مُختلفة عن الإسلام والرسول محمد(ﷺ) والقرآن الكريم والتاريخ الإسلامي، وفي أكثرها التحري المتعمد في نقل النصوص.

٢- إصدار المجلات الخاصة لبحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وبلادهم.

٣- نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد الإسلامية، وقد استطاعوا أن يستأجروا عدداً من هذه الصحف لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم. (٢)

(١) د. عزمي طه السيد وزملائه: الثقافة الإسلامية ١٩٤ - ١٩٣.

(٢) م. ن، ١٩٥ - ١٩٤.

وغير ذلك من الوسائل التي حققت لهم أهدافهم. وجعلت الإنسان المسلم يتلقى ذلك بنهم ويقبل عليه بل ويناقش من أجل البرهنة على صحة تلك الافتراءات والإشاعات.

ثالثاً: التغريب:

والتغريب يعني إيجاد عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه. وهو: حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، وإذابتها فيم يُسمى بالثقافة العالمية.[1] ويقول الدكتور عزمي طه السيد وزملائه حركة كاملة البناء له نظمه ووسائله وأهدافه وقادته ودعاته، وهو يعتمد على وسائل الإعلام المختلفة من مذياع، وتلفاز، وصحافة، كما يعتمد على دور الثقافة والمدارس.[2]

إذ التغريب يعمل على نقل المسلم من فكر الإسلام إلى فكر الغرب، ويُعد هذا المخطط من أقسى ما يواجهه الفكر الإسلامي في العصور المختلفة لأنه وليد الاستعمار. وربيب الاستشراق، وابن التبشير.

أهداف التغريب :

ومن أهداف التغريب هي ما يجملها لنا الأستاذ الدكتور عزمي طه السيد وزملائه في كتابهم الثقافة الإسلامية على النحو التالي:

أ- تنشئة أجيال جديدة من العرب والمسلمين تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية بل الشرقية.

---

(١) عزمي طه السيد وزملاؤه: الثقافة الإسلامية ، ١٩٥.

(٢) م. ن ، ١٩٥.

ب-تدمير الشخصيات العربية الإسلامية الباهرة والتشكيك في عظمتها وفي مُقدمتها الرسول محمد (ﷺ) وصحابته الكرام وأبطال الإسلام، ومفكروه.

ج- إثارة الخلافات والخصومات بين العرب والمسلمين.

د- رد التراث الإسلامي إلى الفرس، والهنود، واليونان، والرومان وقد تكلمنا في الصفحات عن انحلال هذه الأمم وعيشها في الاضطراب والشقاء وبُعدها عن كل الأخلاق. لذا نجد أن التغريب يهتم بدراسة عالم ما قبل الإسلام وأحيائه في صور شتى، كصورة الفرعونية، والجاهلية والوثنية والفارسية والرومانية.

هـ- إثارة عالمية الثقافة والحضارة البشرية ووحدة الفكر البشري،إذ يقول الدكتور عزمي طه السيد وزملائه كلها دعوات دواخلها وغاياتها المريبة، والتي تتمثل في مفهوم واضح هو تذويب الفكر العربي الإسلامي. (١)

ويضيف ويلفت الإنتباه إلى إحدى الوسائل القوية في نشر التغريب في الوقت الحاضر، وهي استخدام وسائل الإتصالات الحديثة من سينما وتلفزيون ومحطات فضائية وكذلك الإنترنت، هذه التي تنقل إلى أبنائنا وفي داخل بيوتهم، صور الحياة الغربية وطرائق تعامل النّاس في الغرب مع أنفسهم وغيرهم ومع الكون بل ومع خالقهم، وهو ما يختلف كثيراً مع صور التعامل الموجودة في الثقافة الإسلامية. (٢)

ويكمل عن خطورة هذه الوسائل الإعلامية الحديثة في تلقي الأطفال ومن هم في مرحلة الشباب الأولى لها، حيث يكون هؤلاء في سن التلقي والتقليد، فيرسخ في نفوسهم أن يعرض عليهم من صور الحياة الغربية هو صواب وخير لا ضرر فيه، مع أن حقيقة الأمر أن فيه السم القاتل. (٣)

---

(١) عزمي طه السيد وزملائه: الثقافة الإسلامية ، ١٩٦.

(٢) م . ن ، ١٩٧.

(٣) م . ن ، ١٩٨ – ١٩٧.

مواجهة الغزو الثقافي:

إذا كـان الإنسـان قد وجد كرامته وسعادته في الحضارة الإسلامية، فالفكر العربي الإسـلامي قـيم لا تتغير مع تغير الأزمان والأشخاص كغيرها من الحضارات، فهذه القيم لا تخضـع للواقـع المـريض، ولا تحكمهـا المصـالح الهابطـة، وقيم الفكر العربي الإسلامي مسـتمدة مـن الإسلام، فالصدق والأمانة والمروءة والعدل والشجاعة والرحمة والحياء. قيم لا تتغير أبداً.

فأين هؤلاء الذين يزعمون أن الإسلام خليط من الأديان.

نقـول لهـؤلاء بـأن الإسـلام يستمد وجوده من الوحي الذي أنزله الله تعالى على عـبده ورسـوله محمـد (ﷺ) والوحي الإلهي يأتي بالمعرفة الصحيحة المعصومة من الخطأ البعيدة عن آفاق الجهل والنسيان.

والإسـلام قـدم للبشرية معنى الحياة والسعادة التي كان يفتقر إليه الإنسان بوجود الأمـم السابقة قبل الإسلام، فالقوي كان يأكل الضعيف، والظُلم قائم، والفواحش قائمة، حتّى جـاء الإسـلام. ووجدا لهم معنى الكرامة والسعادة بحق. ويتجلى ذلك بقول جعفر بـن أبـي طالـب (رضـي الله عـنه) للنجاشـي: (أيُهـا الملـك: كـنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصـنام، ونـأكل الميـتة، ونـأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي مـنّا الضـعيف، فكنا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافـه، فدعانـا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من عبادة الأصـنام وأمـرنا بصـلة الـرحم، ونهانا عن الفواحش، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جـاء به من الله، فعدا علينا قومنّا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلّما قهـرونا وظـلمونا وضـيقوا علـينا، خرجـنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جـوارك ورجونـا أن لا نظـلم عندك.[1]) نقول لأعداء الإسلام بأن المواجهة بيننا وبينكم

---

(١) د- محمد سعيد البوطي: فقه السيرة النبوية نقلاً عن ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٢٩٠- ٢٩١.

مُستمرة، على الرغم بأنها ليست بسيطة، إلا أننا نملك إيماننا من الله سبحانه وتعالى. إذ يقول تعالى في كتابهِ العزيز: ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (١).

وأنتم يا أعداء الإسلام في خسارة بما تعملون.

إذِ المعركة بيننا وبين أعداءنا، أعداء الإسلام قائمة وتزداد حماوة ولهياً يوماً بعد يوم، إلا أننا نقول لهم كلمة أخيره بأن الأمة الإسلامية، لها تاريخ، وليس كأي تاريخ، بل تاريخ يزخر بعظماء أمجاد، قدموا للإنسانية كافة المثل الأسمى والقدوة العُليا، ليفتخر كل مُسلم ومسلمة بهؤلاء العظماء، أجلهم وأكرمُهم للإنسانية كافة النبي الأمين محمد بن عبد الله (ﷺ) هؤلاء قدمهم الإسلام للعالم بعد أن صقل الإسلام نفوسهم، وجعل لهم نظرةً إلى الكون والحياة والإنسان.

ولنتذكر قوله تعالى في كتابهِ العزيز: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة المائدة ٥ ، آية ٦٤.

(٢) سورة البقرة ٢ ، آية ٢٨١.

إحراق المسجد الأقصى

يقول تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1].

والمسجد الأقصى بناه إبراهيم الخليل عليه السلام وقام بتجديده أحد الخلفاء الأمويين. [2] سنة ٩٠ هجري، والمسجد اليوم يختلف عن بناء الأمويين، فقد تعرض لعدة هزات وجدد إلى أن استولى الصليبيون على القدس فاتخذوا جزءاً منهُ كنيسة، وجزءاً للفرسان، وبعد أن حرر صلاح الدين القُدس أمر بإعادة المسجد كما كان. ووضع فيه المنبر الذي صُنع له في حلب. هذا ولم يقتصر الأمر إلى هذا الحد، بل تجاوز ليصل بالأنذال إحراق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م.

هذا ومن أخطر ما تتعرض لهُ المقدسات الإسلامية والمسيحية من قبل إسرائيل هو خطر الهدم بسبب الحفريات والتدنيس المستمر من قبل الصهاينة ومستوطنيهم من خلال محاولاتهم الصلاة في الحرم القدسي الشريف، ومحاولات هدمه، والعمل على بناء هيكل سليمان المزعوم، ومحاولة السلطات الإسرائيلية عزل الأماكن المقدسة عن بقية المدينة، وكذلك استيلاء اليهود على حائط البراق والإدعاء بأنه (حائط المبكى) حتّى يجدوا لهم مكاناً مقدساً يحتجون به على حقوقهم الدينية في المدينة، (قضية القدس ومستقبلها في القرن الحادي والعشرين) (لقد مرت الحفريات الإسرائيلية بتسع مراحل مُنذ ١٩٦٧-١٩٩٦ مثلت نموذجاً للاعتداء على الحضارة الإنسانية، ونموذجاً للتشويه والتزوير التاريخي لم تشهد له البشرية مثيلاً). [3]

---

(١) سورة الإسراء ١٧، آية ١.

(٢) عبد الملك بن مروان.

(٣) إبراهيم أبو جابر وزملاءه: قضية القدس ومستقبلها في القرن الحادي والعشرين، ٢٧١.

ما هو الهيكل المزعوم:

الهيكل المزعوم،هو أهم مبنى للعبادة اليهودية في فلسطين شيده سيدنا سليمان عليه السلام ولم يتمه ويقال أنه بنى مسجداً ولم يتمه لأنه مات[1] وكان حجمه لا يزيد عن كنيس صغير، فقد كان طوله ١١٣,٧٥ قدم وعرضه ٣٢,٥ قدم وبعد بنائه أصبح هو المكان الوحيد الذي تقدم فيه القرابين، وكان دخوله مقصوراً على الكهنة فقط. وقد هدمه البابليون عام ٥٨٦ ق.م، ثم أعيد بناؤه عام ٢٥١ ق.م، ثم قام ثيرود.[2] بتوسعته وبنى حوله سوراً عالياً، ثم حطمه الرومان و(المبكى) هو آخر ما تبقى من السور الذي بناه هيرود ومن الهيكل كلهُ. والبراق جزء من أجزاء الحرم المقدسي الشريف ويحيط به من الجهة الغربية، طوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً، يعرف عند المسلمين بالبراق لأنه المكان الذي ربط عنده النبي (ﷺ) براقه ليلة الإسراء، أما اليهود فيطلقون عليه حائط المبكى لاعتقادهم أنه من بقايا الهيكل المزعوم في هذا المكان.هذا ويضيف الأستاذ إبراهيم أبو جابر وزملائه، فيقول أعترفت عصبة الأمم المتحدة في عام ١٩٣٠ على أثر ثورة أعترفت عصبة الأمم المتحدة في عام ١٩٣٠ على أثر ثورة البراق عام ١٩٢٩ بعد المداولات والدراسات المطولة بأن حائط البراق جزء غير منفصل عن جدار المسجد الأقصى وهو بالتالي أملاك وقف إسلامي تماماً وبخصوص الهيكل, إذ تزعم السلطات الإسرائيلية وعصابات المستوطنين وجود هيكل سليمان تحت المسجد الأقصى المبارك، ومنذ احتلال مدينة القدس عام ١٩٦٧ والسلطات الإسرائيلية والمستوطنين يحاولون وضع يدهم والسيطرة على المسجد الأقصى تمهيداً لهدمه وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه.

---

(١) القضاعي: عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف (تحقيق) عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي، ٦٣ نقلاً عن الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١/ ٢٤٥ – ١٤٦. وفيمن بناه خلاف.

(٢) أحد ملوك اليهود.

لقد بدأت الحفريات لاكتشاف الهيكل عام ١٩٦٧م، فقد حفرت السلطات الإسرائيلية نفقاً عميقاً وطويلاً تحت الحرم أدخلت إليه سفر التوراة وأنشأت بداخله كنيساً يهودياً.

نعم أيها المسلمون لقد تعرض المسجد الأقصى قديماً وما زال يتعرض لدنس الاحتلال الغاشم، لقد حاولوا تدنيسة بشتى الطرق والوسائل، وقد وصل الأمر لظهور حركة الإحتلال السماح لليهود بأداء الصلاة في الحرم الإبراهيمي في الخليل، وتزعم هذه الحركة أن المسجد الأقصى يقوم فوق معبد سليمان، ويؤمن أعضاء هذه الحركة بضرورة إزالة المسجد لبناء ما يسمونه (بالهيكل الثالث) لليهود. وسعياً منهم لتحقيق هذا الهدف نجدهم يدعون علانية إلى هدم المسجد الأقصى إضافة إلى دعوتهم لطرد جميع السكان العرب مسلمين ومسيحيين على حدٍ سواء، ليس من القدس وحدها، بل من كل ما يسمونه (أرض اسرائيل) لتبقى هذه الأرض وحسب إعتقادهم، وقفاً على اليهود وحدهم دون غيرهم من البشر. وفيما يلي بعض الاعتداءات الصهيونية على المسجد الأقصى.

- بتاريخ١٥/ ٨/ ١٩٦٧م الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي شلو موغوزن وخمسون من أتباعه يقيمون الصلاة في ساحة الحرم الشريف.
- ٨/ ٨/ ١٩٧٣م الحاخام لويس رابينوفتش وعضو الكنيست بنيامين حليف أقاما الصلاة داخل الحرم.
- ٨/ ١/ ١٩٧٦ القاضية روث أود من المحكمة المركزية الإسرائيلية تقرر أن لليهود الحق في الصلاة داخل الحرم.
- ٣/ ١/ ١٩٨١ اقتحم أفراد حركة أمناء جبل الهيكل الحرم القدسي يرافقهم الحاخام موشي شيغل وبعض قادة حركة هاتحيا، وأرادوا الصلاة وهم يرفعون العلم الإسرائيلي ويحملون كتب التوراة.

وغيرها من الإعتداءات الصهيونية على المسجد الأقصى، هذا ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تجاوز ليصل بالأنذال ويتجرئ أحد السفلى بإحراق الأقصى بتاريخ ١٢/٨/١٩٦٩م

لقد تم إحراق المسجد الأقصى بطريقة لا يمكن للسلطات الإسرائيلية أن تكون بعيدة عنها، فقد قامت بقطع المياه عن منطقة الحرم فور ظهور الحريق وحاولت منع المواطنين العرب من الإقتراب، ولكنها باءت بالفشل، وقد ادعت الحكومة الإسرائيلية أن شاباً استرالياً يُدعى (جينيس مايكل) وعمره ٢٨ عاماً هو الذي ارتكت الجريمة وزعمت أنها قبضت عليه وستحاكمه، ولم يمضِ وقت طويل حتى أعلنت السلطات الإسرائيلية أنه معتوه وأطلقت سراحه.

وكل هذه المحاولات الإسرائيلية يقصد منها هدم المسجد الأقصى الذي هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، من أجل إشاعة أنه بني على هيكلهم المزعوم ويجعل العالم يصدق هذه الإشاعة وإبطال حقيقة أن المسجد الأقصى قديم قد بناه أولاً إبراهيم عليه السلام.

الفصل الرابع

الإشاعة وثورة المعلومات

الإشاعة وثورة المعلومات والاتصالات

تطورت الأساليب العلمية في طرح الإشاعة بحيث أصبحت أخطر سلاح غير منظور على العدو، وفي الحروب، وقد أفرزت الدول ميزانيات هائلة، وأجهزة، وتجهيزات عملاقة لهذا الغرض.

الإشاعة وأدواتها:

لقد تطورت الإشاعة، وتطورت أساليبها.منذ خلق الله الإنسان وحتى يومنا هذا.وأبدع الإنسان في صنع الخراب والدمار، أو رفع المعنويات في ظروف ما من خلال الإشاعة سواء كانت مغرضة أو إشاعة نافعة ترفع معنويات الناس، وتخرجهم من كوارث طبيعية أو بشرية من حروب، أو دمار اقتصادي، أو اجتماعي، أو سياسي.

الأدوات القديمة للإشاعة:

١. الطابور الخامس

ذلك الذي تتغلغل خلال الشعب في أماكن مختلفة وتبث سموماً مختلفة كثيرة البلبلة أو سماً واحداً يفتك بالناس (السم هنا هو الإشاعة).

كذلك كما اتفقنا قد تكون إشاعة مغرضة، ولكن الهدف منها رفع معنويات المواطنين.

٢. الحمام الزاجل وتوزيع المنشورات عبر الرسائل التي لا تمس مع الحقيقة.

٣. المنادين في الأزقة والمدن.

٤. الجواسيس .

٥. البيارق المخادعة (الإعلام).

كان يكون علم النصر بدل الهزيمة، أو علم الموت بدل الحياة. حيث كان لكل علم معنى في التاريخ الغابر.

الأدوات الحديثة للإشاعة:

يعجز الإنسان عن إحصاء الإبداعات التي وصلها الإنسان في هذا المجال وعليه فإننا ننوه هنا ببعضها فقط.

١. أنظمة المخابرات والإستخبارات.

٢. أجهزة التوجيه المعنوي في القوات.

٣. طائرات التجسس بأنواعها المختلفة وأهمها: (Awax) و (U٢) الطائرة SR-٧١. سواء بطيار أم بدون.

٤. أقمار التجسس الصناعية الفضائية بمهماتها المختلفة، وأجيالها المختلفة ومنها:

Bigburd-Keyhole-Discoverers-Sames-KH-LL

٥. المركبات الفضائية المسكونة والتي تدور وبها رواد فضاء للتجسس سواء من السوفيات، أم الأمريكان مثل: Mol-Halo-TealRuby-Meer

٦. الإشاعات عبر الهاتف سواء النقال، أو المحمول (الخلوي).

٧. الإشاعات عبر البريد الإلكتروني(Email).

٨. أجهزة الإرسال اللاسلكي والشيفرة المضللة.

٩. أجهزة التصنت الهائلة الإمكانات والفعالية وبدقتها.

١٠. الاتصالات السرية، والأخبار السرية، والكتابة الخفية، والتصوير المايكروفيلمي.

١١. تكنولوجيا وكالات الأمن القومي للدول بأسمائها المختلفة في كل دولة.

١٢. ولا يفوتنا ما عرفناه منذ العصور الوسطى وتطور ليصلنا في القرن الواحد والعشرين فيما نرى من إبداعات وخيالات مثل:

- الصحف والمجلات.
- الإذاعة المسموعة.
- التلفزيون والأبيض والأسود.
- أشرطة الفيديو.
- أشرطة الكسيت.
- الفضائيات بأنواعها.
- النشرات الدورية والهادفة.
- مجلات الأبحاث الإستراتيجية.
- الإعلانات التجارية.
- الوسائل المسموعة والمكتوبة.
- أنظمة الاستبيانات وقراءة وقياس الرأي العام.

الفصل الخامس

الأمة والآثار المدمرة للإشاعة فيها

آثار الإشاعة المدمرة في الأمة

إننا نعيش في الوطن العربي حالة من حرب ثقافية، وسياسية، وعسكرية، واقتصادية، واجتماعية تستهدف وجودنا وحاضرنا ومستقبلنا،وتدمير أخلاقيتنا ومثلنا، وتغريبنا عن هويتنا وتراثنا، وقطع كافة الجذور والأواصر التي تربط بعضنا ببعض، وتشدنا جميعاً إلى أمة حضارية معطاء. إنها حرب هادئة لا يرافقها دوي المدافع،ولكنها لا تقل ضراوة عن حرب الدبابات والطائرات..إنها آيدز يصيب الأمة أفراداً وجماعات وحكومات-إذا ما استفحل حالها- بفقدان المناعة، فيسهل على الطامعين بها، تفكيكها، وتذويبها، وإبتلاعها، والتمدد في أرضها، ونهب ثرواتها..وإذ نتناول هذه الحرب الشائكة والمعقدة، والتي تشكل الإشاعة إحدى مفرزاتها، وأخطر أسلحتها،كما استطعنا كشفها وتبيانها من موقع الغيرية الوطنية، ومن خلال ثوابت وأحداث ووقائع نعيشها معاً في أرجاء الوطن العربي الكبير، مما نضعه بين يديك،موثقاً فما ذلك بغرض التهويل والترهيب،بل من أجل الإرتقاء إلى مستوى المسؤولية،وتحصين أنفسنا وناشئتنا في مواجهة وباء فتاك،قبل أن يستشري في أوصال الجسد العربي، وجلاء الشك باليقين. وكلنا ثقة بأن إنساننا العربي، الذي ما زال يعيش على أرضه العربية، ويتشبث بترابها كما بأمجادها، ويتنفس عبق عروبتها، وشذى تراثها، قادر على مواجهة كافة التحديات والإنتصار على كافة المحن، لأنه يمتلك من الأصالة والصلابة التي تجذرت عبر تاريخ موغل في القدم، كما يملك من بعد النظر، ووضوح الرؤيا السليمة،ما يمكنه من تمييز الخبيث من الطيب من القول، والعمل.

لأننا نشعر بأنه ليس من السهولة بمكان السير في هذا الجانب المبهر المظلم في آن واحد، وسط سيل من الأحداث والوقائع والمتغيرات التي تتبدل لسرعة منهلة، قبل أن يجف مداد كتابتها على الورق، وإيصالها إلى القارئ العربي.وما الكمال إلا لله وحده، عليه توكلت وإليه أنيب وبه المستعان،والله من وراء القصد.

ولكل ذلك فلا بد من تحليل الأمور النفسية والمعنوية للأمة.

الأساليب العلمية لمحاربة ومقاومة الإشاعة

لماذا أمتنا مستهدفة بالإشاعات المفرطة

لإنها الإنتماء القومي، وهي الإنتماء للأرض..للوطن العربي الكبير، وهي في كل ما يعبر عن هذا الإنتماء..إنها في التاريخ والجغرافيا معاً.

والثقافة هي في كل ما تعبر به الهوية عن ذاتها في العادات والتقاليد والتراث إنها في النمط الاجتماعي العربي. الثقافة ترسم ملامح الهوية وترتبط بها إرتباط الروح بالجسد..إنها في الوصول والقيم والمفاهيم والمثل والتي تتعرض اليوم لهزة،بل لهزات عنيفة..والثقافة هي السلاح الإستراتيجي وهي الأمن الإستراتيجي الذي تتسور به كافة الأمم لصون ديمومتها الإنسانية والحضارية في مواجهة الأخطار المصيرية المحدقة بها.

والإشاعة ليست حصراً بجانب من جوانب حياة الأمة..إنها تشمل كافة جوانب الحياة من قومية وسياسية واجتماعية واقتصادية وفنية ورياضية وغيرها.والإعلام-هو الإخبار الموضوعي عما يجري بيننا وحولنا، ويوجد تلازم وتكامل بين الثقافة والإعلام. والإعلام يأخذ من الثقافة الحدث فيكتسبه في مقال،أو قصة أو كتاب أو عمل مسرحي أو في مسلسل أو فيلم أو (قصة معبرة..أو إعلان أو خبر)وهو بذلك يعود فيرفد الثقافة ويغذيها.. وهكذا الإعلام والثقافة كل منهما يرفد الآخر،يغذي الآخر،ويتغذى به ومنه. ويؤثر بدوره على المواطن والاسرة والشعب ثم الأمة سواء كان ذلك سلباً أو إيجاباً ويشكل مواقف إما ثابتة أو متخاذلة تجاه ثوابت الأمة وقضاياها.

أمتنا العربية كانت منذ القدم بمثابة الأم لكافة الأمم ولا تتوافق كلمة "أم" وكلمة "أمة" لفظاً ومضموناً سوى في اللغة العربية دون سواها؛ لأنها فعلاً بمثابة الأم لكافة الشعوب والأمم التي تفرعت منها حيث أن الحياة على الأرض عندما وجدت الأول كانت في هذه الأرض التي تشكل الوطن العربي،لأن الجليديات كانت تشغل مساحة

كبيرة من العالم في الشمال والجنوب مما آثاره باقية حتى اليوم في القطبين المتجمدين الشمالي والجنوبي.

لذلك كانت ثقافتنا وما زالت ذات مضمون حضاري إنساني،لم تعرف شيئاً من تلك المذاهب العنصرية والإستعمارية التي نشأت في الغرب من فاشية ونازية وصهيونية إجرامية حاقدة.

ثقافتنا تفاعلت مع كافة ثقافات الأمم والشعوب تفاعلاً حضارياً خلاقاً..أخذنا من غيرنا ولكن أعطينا لغيرنا أكثر مما أخذنا بكثير والثقافة العربية في العصور الوسطى كانت هي السائدة وكانت هي الأساس التي بنيت عليها الحضارة والمدنية الإنسانية المعاصرة بما فيها من علم وفكر وتراث وإبداع.

لقد كتب الكثيرون حول اكتشاف العرب لأمريكا قبل كولومبس بكثير.وجاء مؤخراً الباحث الأمريكي في اللغويات، وهو ليو وينز من جامعة هارفارد ليضيف إلى هذه الحقيقة دليلاً جديداً،عندما أثبت وجود كلمات عربية الأصل في اللغات الهندية القديمة (الأميرند) تعود إلى أكثر من مائتي عام قبل كولومبس.

والباحثة العربية المصرية تحية عبد العزيز إسماعيل وبعد جهود مكثفة من البحث والمتابعة امتدت زهاء عشر سنوات،نشرت بحثها بالإنجليزية في لندن هذا العام ١٩٩٤م بعنوان [اللغة العربية-أم اللغا ت] لتخلص إلى حقيقة راسخة وهي أن اللغة العربية بمفرداتها تشكل العمود الفقري لكافة اللغات العالمية هذا وإن ٧٥- إلى ٨٠% من مفردات اللغات اللاتينية والسكسونية هي من أصل عربي.

القرآن الكريم وهو فخر ثقافتنا العربية،والإنسانية،تميز بطابعه الإنساني وشموليته لكافة بني البشر دون تمييز- مما لم تعرف أية ثقافة أممية أخرى كما يبدو في الآيات التالية.

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا * إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُم ﴾.(1)

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بني آدَمَ وَحَمَلْنَاهُم فِي البَرِ والبَحْرِ، وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضلْنَاهُم عَلَىَ كَثِيرٍ مِمَن خَلَقْنَا تَفضيلاً ﴾ (2) صدق الله العظيم.

فتكريم بني آدم جاء شاملاً لكافة بني البشر دون تمييز.

لكل ما تقدم فإن أمتنا مهددة ومستهدفة، ومطلوب وضع شرخ بين أركانها حكومات وشعوباً.

خطر الإشاعة وسلاحها الفتاك

الإشاعة تكاد تكون أخطر الأسلحة الإستراتيجية والفتاكة في هذا العصر لفداحة الخسائر ولتوفر ثورة المعلومات والاتصالات .

وإذا كانت الرصاصة تقتل رجلاً- فإن الإشاعة قد تقتل جيلاً بكامله وقد تفتت أمة بأسرها.وكلنا نذكر تجربة الاتحاد السوفيتي – تلك الدولة العملاقة التي سقطت وطوي علمها مع مطلع عام ١٩٩٢، وكانت تحمل على ظهرها من الأسلحة المدمرة ما كان يكفي لتدمير الحياة على الأرض مائة مرة حسب تقدير خبراء السلاح في العالم..ولكنها سقطت بفعل نخر سرطاني من داخل الدولة السوفيتية، ودون أن تطلق عليها رصاصة واحدة من الخارج.من خلال الإشاعات القاتلة عن الفساد، والانهيار الاقتصادي، وغير ذلك وطابور خامس يروج الإشاعات ويبشر بمطاعن الماكدونالز، والجينز الأمريكيين..

---

(1) سورة الحجرات ٤٩ ، آية ١٣.

(2) سورة الإسراء ١٧، آية ٧٠.

فرنسا تقود حملة إعلامية واسعة للمحافظة على الثقافة الوطنية الفرنسية، وحمايتها من حرب الإشاعة الأمريكية ضدها، ويتخذ مجلس الشيوخ الفرنسي قانوناً بفرض عقوبة الحبس لمدة ستة أشهر مع الغرامة بمقدار خمسين ألف فرنك فرنسي لكل من ينتهك الإعلام الفرنسي باستخدام كلمات أجنبية غير فرنسية في الإعلانات التجارية أو المعاملات الحكومية، أو العقود وغيرها، وقد تصل إلى حد الخيانة لأي طرف يروج إشاعات أو أفكار الهدف منها الإساءة إلى الأمن أو الاقتصاد أو الشعب الفرنسي عامة عادات وتقاليد وتراث وثقافة.

ويقود جاك لانغ وزير الثقافة الفرنسي السابق بنفسه حملة إعلامية واسعة في مواجهة ما أطلقوا عليه بالغزو الثقافي الأمريكي وحرب الإشاعة المضللة ضد فرنسا.

فمن باب أولى أن تتسور الأمة العربية بهويتها القومية، وثقافتها الحضارية الإنسانية، وتتحصن بهذا الحصن الاستراتيجي، ويأمنها القومي لمواجهة هذا الاجتياح القادم إليها من كل صوب عبر موجات الأثير كما عبر موجات التطبيع السرطاني..كما عبر سيل من وسائط الإعلام الغربية والصهيونية.وعندما نتكلم عن الغزو الثقافي والإشاعات الموجهة إلى الوطن العربي يجب أن نميز بين الثقافة، والإشاعة، والغزو الثقافي، إذ ليس كل ما يرد إلينا من الغرب يشكل غزواً ثقافياً فلدى الغرب الكثير من العلوم مما يمكن الاستفادة منها خاصة في العلوم الكونية والتقنية والطب والهندسة والكمبيوتر مع أن أجدادنا العرب كانوا في يوم من الأيام سادة العلوم الفلكية والطبية قاطبة.

والإشاعة هي التلقي العشوائي، والاستيراد الآلي في اتجاه واحد..إنه التأثير الدعائي المركز والمتعمد في المتلقى العربي عبر الضخ اليومي لأطنان من المعلومات والإعلانات الفاسدة، مع غرس وتعميم الطفرة الاستهلاكية، ووضعها على رأس بيكار وتدويرها على مجمل الوطن العربي بغرض اختراق العقل العربي، والوجدان العربي، وخلق استجابة فكرية، ونمطية سلوكية تنأى بالعرب كأفراد وجماعات عن متابعة مشروعهم الحضاري القومي والإنساني في بعث دولتهم الموحدة في وطنهم العربي الكبير.

الإشاعة- الغزو الثقافي- إنه في الإعلان التجاري الفاسد الذي يخرب الذوق ويخدش الحياء، وينقل الإنسان العربي من عليائه كبانٍ للسدود والإنشاءات العملاقة، والشواهد الحضارية الأبدية التي ما تزال ماثلة في أهرمات مصر، والسد العالي وبابل وغيرها كثير..إلى إنسان آخر مجرد أداة للاستهلاك، وآلة عرض للإعلان نفسه.

إنه في تسويق المفاهيم الغربية والصهيونية عبر شبكة واسعة من أجهزة الإعلام التي تقوم بالإنتاج والتصدير معاً وفي آن واحد، وتنخر جسم الأمة وتجرها نحو أهداف هدامة.

إنها في الاغتيال البارد،والتدمير البطيء للعقل والروح معاً،مع شل الوعي والإدراك والإحساس الوطني إنه في الانبهار الأعمى بأضواء المادية الغربية.إنه في كتل ملتهبة من المثيرات التي تنصب على مخازن العواطف والغرائز للإنسان العربي بغرض إلهائه وتغريبه عن وجوده، وتفتيت هويته.

الإشاعة- الغزو الثقافي- هو ذلك الذي يطرق عقل الإنسان العربي وعاطفته اليوم أكثر منه بالأمس من أجل إعادة صياغة وعيه وتشكيل ذهنيته وقولبة شخصيته بالتدريج وبهدوء وبخبث وخداع ومكر بطريقة تبدو وكأنها بريئة في أكثر الأحيان.

وباختصار الإشاعة- الغزو الثقافي- هو في ثقافة الترفيه والضياع والإمتاع،هو في الثرثرة الفارغة التي تقوم بتخدير الإنسان العربي وشل دوره الحضاري والإنساني وسط خضم الأحداث العالمية، وتحويل فكره إلى أداة مسلوبة الإرادة للعمل ضد نفسه وأمته.

إنه في ثقافة الكلمات المتقاطعة،ونجوم الفن وسباقات السيارات.. وباب الحظ، وماريا مرسيدس والعرس الكروي،ومباريات كأس العالم،وشامبو شانتو، وعلكة المحبة.. وعلكة السيارة العجيبة..إنه في المعجبين والمعجبات بمادونا، ومارادونا.. وجهاز لها.. وله.. إنه في أطنان من المخدرات التي تصدر إلى الوطن العربي من تلك العواصم من وراء المحيطات ممن يرفعون راية مكافحة المخدرات وحقوق الإنسان كذباً وخداعاً!.إنه في

أطنان من التبغ الأمريكي اليهودي المسرطن والذي يصنع من قبل شركات ذات أهداف تدميرية للشباب والأمة خصيصاً للمواطن العربي، ويعلب في عبوات فاخرة معطرة تصيب العرب ذكوراً وإناثاً بالسرطانات الرئوية، والعقم وتقتل القدرة على الإنجاب، مما هو ثابت ومعروف في معلبات ل إم والتي أعيد تصنيعها في عبوات من طراز بوند، بعد افتضاح أمرها..فضلاً عن غرس الإشاعات السامة عن الأفراد والأسر والأمة فهذا عميل وذلك خائن وذلك حريص وهذا من أصل كذا وهذا من فصل كذا وهذا أسود وهذا فاسد وذلك وطني وذلك مأجور الخ من الإشاعات التي تغرس الفرقة والشك في النفوس حتى يصل بنا إلى حروب أهلية.

إنه في أفواج السائحات من طبقة الخمس نجوم، حاملات الأيدز، وقد وصلن بعيداً إلى ما تصل إليه قاذفات الفانتوم والدبابة مير كافا، إنه في أطنان من العطورات ومستحضرات التجميل، لك يا سيدتي الجميلة كي تبقى بشرتك أكثر طراوة، وشعرك أكثر جاذبية..ولكن في المدى المنظور ستصابين بتجعدات في الوجه والجلد، وتساقط الشعر، والصلع وسرطانات الثدي وغيرها،..كما بالعقم المبكر.

إن العلاقة بين الثقافات الغازية- التي تشكل محور الغزو الثقافي، وبين الثقافة الوطنية، هي أشبه ما يكون بالعلاقة بين منطقة جغرافية ذات ضغط مرتفع، ومنطقة أخرى ذات ضغط منخفض، مما ينجم عنه تحرك كتل هوائية-أو قل ثقافات غازية-من المناطق الجغرافية ذات الضغط المرتفع إلى المناطق المقابلة لها ذات الضغط المنخفض وهكذا.

العوامل الخارجية:

إن تطلع الغرب عامة بحكوماته وشركاته الاحتكارية إلى السيطرة على منابع الثروات النفطية والمعدنية، في الوطن العربي والاستفادة من السوق العربية كمصدر واسع كبير لتصريف منتجاته الصناعية والغذائية والكمالية.. بالإضافة إلى الأهمية

الإستراتيجية الخاصة والمميزة لموقع الوطن العربي في قلب العالم، وإحتوائه على مفاصل الاتصالات والمواصلات الدولية من جوية وبرية وبحرية..كل ذلك يشكل أهم عوامل الضغط المرتفع للأمة الغازية..هذا ناهيك عن عوامل تاريخية، وأحقاد دفينة ما زال الغرب يأخذ بها للثأر من المشرق العربي- باعتبار العرب- من الوجهة الغربية – هم المسؤولون عن انهيار امبراطوريتي روما وفارس اللتين كانتا تبسطان نفوذهما على العالم القديم..بل يوجد في فرنسا وحتى يومنا هذا، من يحتفل كل عام بذكرى انطلاقه الحملات الصليبية وسط أعراسٍ مهرجانية، وخطب لاهبة، تعيد إلى الذاكرة تلك الأحقاد الدفينة التي عاشتها أوروبا تجاه المشرق العربي..وفي برنامج الاحتفالات السنوية بذكرى الحروب الصليبية من كل عام يتم استعراض وحدات رمزية بالزي الصليبي في مجمع كلر بمونت في فرنسا،وهو المكان الذي انطلقت منه الحملات الأولى.

العوامل الداخلية:

إن أداة الإشاعة بالرغم من التخطيط لها خارج الحدود إلا أن الأداة هي من الداخل في الغالب بفعل الطابور الخامس، والخونة، ومرضى النفوس، والمأجورين والساقطين الذين يبحثون عن المال والجنس والمتعة والشهرة، فيبيعون أوطانهم وأهلهم بأرخص الأثمان، ثم بعد ذلك لا يجنون إلا اللعنة أو الموت ممن وظفهم لخيانة أبناء بلدتهم وبذلك يخسرون الدنيا، وبالتأكيد سيخسرون الآخرة وبئس المصير.

الإنسان العربي ذاته الذي أصبح يحمل من الآلام ما جعله مستودعاً لهموم الماضي والحاضر على حد سواء.فمن نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، إلى نكسة حزيران ١٩٦٧م إلى نكبة حرب الخليج وبسط الهيمنة الغربية على الوطن العربي عموماً.

إنساننا العربي يقبع اليوم جريحاً في ظلال تمزق سياسي مريع وتنعكس عليه وحده دون غيره الخلافات العربية،وهو مع تراكم هذه الصفعات اكتسب صفة البرود واللامبالاة، وأصبحت ردود فعله إزاء الأحداث الجارية فوق الساحة العربية باهتة

هزيلة، وانسحب هذا الموقف العدمي على بقية تفاعلاته، واهتماماته الاجتماعية والثقافية الأخرى.لقد بلغ حالة من الركود يكاد فيها لا يكترث ولا يبالي بايدولوجية النظم السياسية التي تحكمه، ذلك أن طاقاته الجسدية والعقلية مسخرة لمواجهة أزماته الاقتصادية، ولإبقاء رغيف الخبز متواجداً على مائدة أطفاله.هذه الحالة النفسية المؤلمة للإنسان العربي-إن دلت على شيء فإنما على أن صاحبها كان في وقت سابق يتفاعل بحرارة وصدق مع الأحداث الوطنية..كان يخرج في الشوارع، ويحمل البندقية للتصدي للغزو الأجنبي لمصر إثر تعرضها للعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م، ولسورية إثر إعلان إيزنهاور وفرض الحصار والتهديد عليها من قبل حلف الأطلسي عام ١٩٥٧م، وللبنان والأردن إثر نزول القوات الأمريكية والبريطانية عام ١٩٥٨م.كان الإنسان العربي يتأجج وطنية في مساندته لثورة الجزائر..في تنديده بالفرنسيين الغزاة لاعتقالهم أحمد بن بيلا ورفاقه.. وتعذيبهم المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد.. وكان ذا إحساس مرهف وشعور وطني لاهب، وتفهم لطبيعة ما يجري في وطنه العربي الكبير..وفجأة،إثر توالي النكبات يتحول إلى إنسان آخر غير مكترث!.تسري الإشاعة في جسده سريان النار في الهشيم لتنخر في جسم الأمة فتزيد الفرقة والخلاف، وتوسع الهوة بين أبناء الأمة.

هذه الحالة من الركود واللامبالاة وعدم الإكتراث التي يعيشها المواطن العربي اليوم عموماً، هي التي دفعت قول أحد قادة الفكر العربي حيث اعتزل الكتابة والفن ".. إنه سبب محزن ومؤلم .لقد تعاملت في أعمالي مع قضايا كبيرة وهامة كانت تحرك المواطن العربي في كل مكان بعاصفة من التصفيق والإثارة..أما الآن فإن الحديث عن الوحدة العربية، مثل الحديث عن القضية الفلسطينية يدعو قليلاً إلى السخرية..القضايا الكبيرة القومية التي كانت تستثير حماسة الجماهير،أصبحت اليوم هامشية في حياة المواطن، ولم يعد لها ذلك التأثير، والإنفعالات السابقة بل على العكس تماماً الإستهجان والفتور والشفقة على من يتمسك بثوابته وطناً وديناً.

وبدلاً من قيام الحكومات العربية بالسعي إلى إعادة التوازن للشخصية العربية – التي أصبحت تعاني من الحتُّ والتآكل والتصدع ودعمها الثقافي والمعنوي أمام مرجة التخلخل والإنهيار، نجد الكثيرين من تجار الإعلام العربي ومروجي الإعلانات التجارية الفاسدة قد أطلقوا العنان للثقافات الغربية الغازية في عملة لإمتاع وترفيه أجوف للإنسان العربي، وجعله صوراً حالمة عن الرفاهية الغربية الفارغة، وتستهدف إلهاء المواطن العربي عن واقعه وشل دوره الحضاري وسط خضم الأحداث العالمية، وإغراقه وسط حمى الإستهلاك الرخيص لكل شيء، والتعلق بكل ما هو براق قادم من الغرب..من عطورات، وأزياء، وسيارات فارهة، وعادات وتقاليد تتنافى مع تراثه، وقيمه وأخلاقيته التي تربى عليها هو وأسلافه وأجداده.. أين تقف من كل هذا الرقابة الإعلامية العربية التي يفترض فيها أن تكون مركز تفتيش حدودي تصادر السموم الإعلامية المهربة والإشاعة المحبوكة الهادفة لتدميره العقل والجسد، وبالأخص تلك التي تعبر في وضح النهار، ومن على شاشات التلفزة العربية ذاتها، عبر الافلام والمسلسلات والأعمال الفنية التي تروج للحياة المادية الغربية الرخيصة، والتي تقتل الروح والعقل وتفسد العاطفة..كما عبر الإعلانات التجارية الفاسدة التي تغري المواطن العربي إلى مزيد من الإستهلاك، وكأنه ما خلق إلا ليأكل، ويشرب، ويتلذذ بكل ما هو مستورد وغريب؛مع أن الشريحة الكبرى من الشارع العربي أصبحت تعاني من الفقر والحرمان.

إن تشخيص الحالة النفسية الراهنة لرجل الشارع العربي قد أغرت الغرب بثقافاته الغازية، كما أغرت في الوقت نفسه تجار الإعلام والإعلان ودور النشر من العرب، وفتحت أمامهم أبواب أرباح هائلة من المتاجرة بتسميم الإنسان العربي عبر أطنان من السموم الإعلامية وكتب وقصص المغامرات العاطفية البوليسية..وكذلك الفضائيات الهابطة ذات الأهداف الخبيثة.

القصور الإعلامي العربي – أو قل الفراغ الإعلامي العربي في وقت نعيش فيه هذا الطغيان والطوفان من الثقافات الغازية عبر شركات إعلامية غربية عملاقة..لماذا ابتعد القارىء العربي عن الكتاب الجيد المفيد بثقافته القومية إلى الكتب الغربية ومغامراتها البوليسية، أو إلى أشرطة الفيديو والكاسيت الخلاعية؟ أو إلى الفضائيات ذات الأهداف الهابطة تماماً مثل المجلات والصحف الصفراء.

لماذا أصبح التلفاز – بأقنيته ومحطاته الغربية خصوصاً –على تفاهته وسخافاته هو الجليس المحبب من الصباح الباكر وإلى ما بعد منتصف الليل،وفي دوائر العمل وأمكنة الوظيفة الرسمية وليس في المنـزل فحسب،ولدى كافة الأعمار من الأطفال والرجال والنساء دون تمييز؟!.

من هو المسؤول عن عملية الإغتيال البارد والتدمير البطيء للعقل والروح معاً،خلال تخدير الإنسان العربي وشل حسه الوطني، وإلهائه بعيداً عن الوعي والإدراك لما يجري حوله؟!.

الشارع العربي بسبب فراغ إعلامي عربي كبير، هادف وبناء أصبح مغزواً هذه الأيام وعبر جميع وسائل الإعلام الغازية والمسرحية والسينمائية..جلها متردٍ في مستواه، عقيم بمحتواه، أصحابها يتسابقون للوصول إلى الهاوية لا إلى القمة بعرض العملات الأشد رداءة لأنها الأكثر رواجاً وإستهلاكاً..والقمة لديهم هي في بلوغ الأرباح الهائلة.

ومظاهر الفراغ الإعلامي العربي – أو قصوره عن أداء مهامه الوطنية كثيرة ومتعددة الجوانب نذكر منها:

- انتشار الأمية والجهل لدى الشارع العربي عموماً،مع اختلاف النسبة من بلد عربي لآخر وحسب تبعيته لهذا البلد أو ذاك!.

* عدم كفاية الإنتاج الثقافي والإعلامي العربي على مستوى الوطن العربي، ناهيك عن عدم وجود تضافر إعلامي عربي وتعاون مشترك؛وهذا نابع من الوضع العربي المفكك عموماً، ومن واقع الإنقسامات والخلافات العربية، وآثارها البغيضة.ففي الوقت الذي يشكل فيه العرب بمجموعهم السكاني أكثر من مائتي مليون نسمة أي ما يعادل ٥,٣% من سكان العالم،نجد أن الكتاب العربي لا يشكل أكثر من ١,١ %من حجم الإنتاج العالمي للكتاب. وفي الوقت الذي نجد فيه أوروبا وأمريكا نحو ٣٣٠ جريدة ودورية لكل ألف مواطن،فإن هذه النسبة لدينا في الوطن العربي تنخفض إلى ٣٣ نسخة من الصحف العربية لكل ألف مواطن..ناهيك عن أن وكالات الأنباء العربية يكاد يقتصر دورها على بث وتكرار ما تنقله عن وكالات الأنباء الأجنبية مثل رويتر، وأسوشيتد برس، وفرانس برس، وأف ب الفرنسية وغيرها.. تلك الوكالات الأجنبية التي تنظر إلى الأحداث العربية والعالمية من زاوية مصالحها الإستراتيجية، وتلونها وفق أهدافها، وتبرز ما ترغب بإبراز مثل مقتل الأميرة ديانا أو الأميرة الإنجليزية آنا عن ظهر حصان، هذا وإن ٨٠% من حجم المعلومات عن الأقطار العربية وأحداث الوطن العربي تنقله وسائل الإعلام العربية عن تلك الوكالات الأجنبية المغرضة،وبشكل يخدم فيه تلك الثقافات الغازية عن قصد أو غير قصد.. بل إن الصحافة العربية تكرر نفس التعابير والتراكيب الإعلامية الغربية والصهيونية مثل'الأصولية؛والأصوليين الإسلاميين؛ الإسلامية والمتطرفين الإسلاميين .. ونحو ذلك تلك التراكيب اللغوية الغريبة أصلاً عن الثقافة العربية والشارع العربي، والتي صنعتها المؤسسة الإعلامية الصهيونية بغرض تشويه الإنسان العربي والإسلامي ومسح هويته واستعداء شعوب وأمم الغرب عموماً على العرب وتراثهم القومي والإسلامي معاً.

هذا الفراغ الإعلامي العربي جعل الإنسان العربي نهباً للغزو الثقافي وتقبل الإشاعة المغرضة بكل مظاهرها، كما زعزع ثقة المواطن العربي بأجهزته الإعلامية

الوطنية فراح يبحث عن نشرات الأخبار في الإذاعات الأجنبية،مثل راديو لندن أو مونتي كارلو أو صوت أمريكا..ونحو ذلك في محطات التلفزة الأجنبية مع ما يعني كل ذلك من ضياع الإنسان العربي وإنجرافه وراء الحملات الإعلامية الغازية التي تستهدف غسل دماغه وإعادة قولبة ذهنيته وتشكيل شخصيته ليصبح إنساناً آخر عديم الإنتماء، عديم الجذور، مبهوراً بكل ما هو آتٍ من الغرب ولو بالسموم التي تفتك به!.

- **تزايد مساحة الفقر المادي والمعنوي في الوطن العربي:** إن نهب ثروات الوطن العربي وإفقار الاقتصاد الوطن، وجعله تابعاً استهلاكياً للدول الغربية، يشكل الغرض الرئيسي للثقافات الغازية. وهذا بدوره يؤدي إلى إتساع مساحة الفقر المادي لدى الشارع العربي في شريحته الغالبة. وإن افقار الإنسان العربي وحرمانه وتجويعه يشكل في الوقت ذاته ثابتاً استراتيجياً لتلك الدول التي تتطلع إلى الهيمنة والسيطرة على الوطن العربي وثرواته..ذلك أن إلهاء المواطن العربي برغيف خبزه وقوته اليومي، وحاجاته الضرورية..سيؤدي إلى صرفه بعيداً عن الثقافة الوطنية أو التفكير بتلك الثقافات والقوى الغازية. فجل اهتمام الإنسان العربي يصبح منصباً على تأمين رغيف خبزه، وهو لا يقوى بهذه الحالة على شراء الكتاب أو الجريدة ليتسلح بالثقافة الوطنية المفيدة – التي تشكل الأمن الإستراتيجي والحصن الحصين في مواجهة أغراض الغزو الثقافي والإستعماري معاً..وهكذا فإن القوى الأجنبية والطبقات الطفيلية المرتبطة معها تعمل على زيادة مساحة الفقر والحرمان لدى الاقطار العربية..وهذا بدوره يخلق الشروط المواتية لتقبل الإشاعة والثقافات الغازية، والقوى الإستعمارية الغازية في نفس الوقت لعدم وجود من يقف في مواجهتها..فغالبية المواطنين العرب منهمكون وراء الرغيف، ولا يعرفون ماذا يدور حولهم، وماذا يحاك ضدهم في الخفاء، بل قل لا يريدون أن يعرفوا وهذا هو المطلوب!وهناك الفقر المعنوي، وهو أشد خطراً من الفقر المادي. ويعاني منه أولئك الأثرياء الذين بلغت بهم التخمة حداً، أصبحوا فيه لا يشعرون بالإنتماء سوى

لثرواتهم وقصورهم، وأنديتهم الليلية..أين سيقضون سهراتهم على الموائد المفتوحة وعلى أنغام الموسيقى الصاخبة؟ أين سيقضون إجازتهم الصيفية في جزر هاواي، أم جزر كاناري؟..أم في ولاية ميامي الأمريكية؟ أم في شارع الشانزي ليزه في باريس..أم في شوارع لندن، التي كتبوا عنها – بأنها تبدو عربية تماماً في الصيف؟! حتى شوارع لندن تستقبلك صيفاً – وشتاءً – بأجوائها العربية – حسب زعمهم – لا فتات بالعربية؛ شارات على الطرقات والساحات كتب عليها بالعربية مثل عبارات:

[الزم اليسار– ممنوع المرور– لندن ترحب بكم – أهلاً وسهلاً بكم بعد منتصف الليل– ..وهكذا] .

وفي حانات أوروبا وأمريكا،وفي ملاهيها وقصورها وأندية قمارها– فإن صفة العروبة، وكلمة [عرب] لا تطلق إلا على أولئك الذين يعيشون بعيداً عن مشاعر الغالبية العظمى من العرب؛ممن يطلق عليهم الغرب عن سابق تصور بـ [الإرهابيين] .المثقفون والوطنيون والمناضلون من أجل إستعادة حقوقهم ووحدة أمتهم – هم في نظر الغرب بـ [إرهابيين سوريين، أو فلسطينيين، أو متطرفين إسلاميين، أو أصوليين، أو جماعات إسلامية] وهكذا!. وهؤلاء الأثرياء الذين يشكلون طبقة مخملية وشريحة مميزة في الاقطار العربية، يعيشون في بلادهم العربية – إن وجدوا فيها لبعض الوقت – خارج مشاعر الإنتماء العربي، وخارج االثقافة القومية؛ وثقافتهم لا تتعدى معرفة كيفية الحجز بالفنادق الأوروبية عبر المكاتب السياحية الأوروبية العديدة المنتشرة في حواضر بلادهم،والتي أنشئت خصيصاً لهم،أم كيف يمكنهم إستقبال محطات التلفزة الأمريكية والأوروبية عبر الأقمار الصناعية وبواسطة أجهزة خاصة معقدة،وبعد تركيب هوائيات تلفاز ضخمة – مثل الصحون الطائرة – على أسطح منازلهم،بل قل على أسطح قصورهم لتميزها عن مساكن عامة الشعب!.

هؤلاء الأثرياء المتخمون – يشكلون الطبقة الطفيلية في الوطن العربي،التي نمت بسرعة وانتشرت بسرعة، والتي ربطت مصالحها بمصالح خارج أوطانهم وبعض هؤلاء يشكلون اليوم في أوطانهم رأس جسر عبور كافة الطامعين بالأرض العربية؛ وتجمعاتهم التي يعيشون بداخلها أشبه ما يقال عنها بأنها "مستوطنات" مثلها مثل مستوطنات الصهاينة..هؤلاء هم صهاينة الداخل من المجتمع العربي،وهم أشد خطراً وفتكاً على العرب من صهاينة الخارج؛وهم أكثر فقراً بحسهم الثقافي والقومي بكثير من أولئك الفقراء المحرومين من عامة الشعب!وهم أداة صهاينة الخارج وأملهم وغايتهم في نفس الوقت، وهم الذين ترتفع أصواتهم اليوم في حواضر العرب – دون حياء أو خجل – بقبول كل إفرازات الغرب بغثّه وسمينه وربط مصيرنا بمصيرهم إلى الأبد والإنسلاخ إلى حضارتنا وتاريخنا.

ومع تزايد مساحة الفقر المادي والمعنوي في الوطن العربي، تزداد فرص الغزو الثقافي والهيمنة الثقافية والسياسية والإقتصادية على الوطن العربي عموماً، وتتفشى الإشاعة كما في النار في الحطب الجاف.

وبين هؤلاء الفقراء والمحرومين من عامة الشعب من العرب والذين يشكلون شريحة واسعة، وهؤلاء الطفيليين من الأثرياء المتخمين..توجد طبقة،بل قل شريحة من المثقفين العرب الذي يتململون من أجل إنقاذ أمتهم والحفاظ على تراثهم وكيانهم الثقافي الحضاري..هؤلاء يقتطعون ثمن الورق وثمن الكتاب من ثمن الرغيف؛لأن الثقافة وهمومها، لديهم لا تقل أهمية عن تأمين الرغيف والغذاء.

وإذا عدنا إلى ما كتبه الصهاينة بأنفسهم في بروتوكولات حكمائهم – بل قل خبائثهم منذ نحو مائة عام،نجد أن ما يجري في الوطن العربي اليوم ليس محض صدفة،بل عملاً مدبراً مبرمجاً بدقة فائقة من تلك القوى، والأبالسة التي تتطلع إلى إبتلاع الوطن العربي وشعوب أخرى في العالم.

لنقرأ معاً ما ورد في البروتوكول الثالث عشر من بروتوكولات خبثاء صهيون – التي عرفتها أوروبا لأول مرة عام ١٩٠٣م وبالطبعة الروسية لناشرها الروسي سيرغي نيلوف – حيث ورد بحرفية النص: الحاجة اليومية إلى الرغيف تلزم الغويم – أي غير اليهود من الأمم والشعوب – أن يخلدوا إلى السكينة،ويكونوا خدماً طائعين لنا.والعملاء الذين نختارهم منهم لخدمتنا سيقومون بصرف أذهان الجمهور عن مناقشة الأمور السياسية بما ندعيه بأنه الجديد المختار في باب الإبتكار، وندع الجمهور من الغويم يخوض في هذا ويسبح ما شاء في ذاك..ولكي تبقى الجماهير في ضلال لا تدري ما وراءها وما أمامها ولا ما يراد بها،فإننا سنعمل على صرف أذهانها بوسائل المباهج والمسليات والألعاب واللهو وأشكال الرياضة،والإكثار من القصور، ومفاخر الطعام والملذات والشهوات،ثم نجعل الصحف والمجلات توجه عقولهم إلى إنتحال كل تافه من العقائد يرونه جديداً ومقبولاً.. أما رؤية الصحيح بجلاء ما خلقت إلا لنا – نحن شعب الله المختار.

وبرغم ما ذكرنا عن المترفين إلا أننا لا نقول ذلك حداً وحقداً لغناهم بل لأن تاريخنا يخبرنا أن الأثرياء يجب أن يكونوا أتقياء الأمة والأكثر بذلاً لخدمتها ولنا في قدوتنا من الصحابة والصالحين أمثال الخليفة عثمان بن عفان الذي جهز جيش المسلمين بكل ماله وعبد الرحمن بن عوف الذي ما بخل في تجهيز المجاهدين. أفلا نكون مثل هؤلاء الذين خرجوا من صحراء قاحلة حاملين رسالة ربهم ونشروها عبر العالم وفي كل الدنيا.

الأهداف الاستراتيجية للإشاعة

١ - الاجتياح العسكري والغزو الثقافي

كما تعرضت أمتنا العربية والإسلامية عبر تاريخها الطويل لغزوات وهزات وحملات، استهدفت استلاب أرضها، وإركاع شعبها ومصادرة هويتها بدءاً من الفرس والروم إلى المغول والتتار والصليبيين. إلى الأتراك العثمانيين؛ إلى الأوروبيين من المستعمرين وإنتهاءً بالغزاة من الصهاينة والصليبيين الجدد.. وحملاتهم المدججة بكافة أسلحة العصر ما تزال ماثلة أمام أعيننا اليوم.. كذلك أيضاً فإن الثقافة العربية والإسلامية- التي هي عنوان هويتنا القومية – كانت بدورها وجهة سهام الغزاة جميعهم بغية تذويب الشخصية العربية ومصادره الإنتماء العربي، وتجزأة العروبة وتفكيكها إلى عناصر قُطرية ضيقة بشكل يسهل فيه على الغزاة إبتلاع الأرض العربية وقضمها وهضمها على مراحل، وإقتلاع الوجود العربي ونسف الإنتماء إليه من الجذور مع تغيير كافة ملامح ومعالم الشخصية العربية والتراث العربي الإسلامي.. وإذا كان الإجتياح العسكري يهدف إلى الإستيلاء على الأرض والثروات، فإن الإجتياح الثقافي يهدف إلى الإستيلاء على الروح والعقل.. وفي المحصلة اغتصاب الهوية القومية والإسلامية، جنباً إلى جنب مع اغتصاب الأرض والأجساد.على أن الاجتياح الثقافي قد يسبق الإجتياح العسكري.

ومن خلال التجارب التاريخية لأمتنا العربية،التي حافظت على هويتها المتميزة رغم كافة محاولات الإستلاب والتذويب، يمكن إبراز الغزوات الثقافية والعسكرية التالية:

١. الغزو الصليبي وحملة الفرنسة للثقافة العربية ومع أن الحملات الصليبية ضمت في صفوفها قطعان الغزاة من الاوروبيين كافة، إلا أن الفرنسية كانت الصفة الغالبة

بسبب دور الامراء والكهنة الفرنسيين في قيادة الحملات الصليبية التي انطلقت لأول مرة من أراضيهم – من كلريمونت في فرنسا.

لقد ترافق الإحتلال الصليبي الإستيطاني للأرض العربية مع فرنسة الثقافة العربية بغرض قطع كافة الجذور التي تربط الأرض العربية بأصحابها الشرعيين.

١- الغزو الصليبي والحملة الفرنسية:

ومع أن لفظ "الغزو الثقافي" لم يكن مستخدماً بصريح العبارة لتلك الحقبة من الزمن، ولكنه كان يمارس بمضمونه جنباً إلى جنب مع الفعل العسكري. وهنا يمكن الإستدلال بما ورد على لسان ملك فرنسا لويس التاسع الذي قاد الحملة الصليبية السابعة في تشرين الثاني ١٢٤٩م والتي تحطمت في مياه النيل وعلى مشارف القاهرة وقتل عدد كبير من أفرادها وقادتها غرقاً،وأسر آخرون ومنهم قائد الحملة القديس لويس التاسع،كما كانوا يلقبونه..ولما تم تحريره من الأسر بفدية من قبل أمراء الصليبية في عكا،مع الإشتراط عليه بعدم العودة إلى حمل السلاح..قال كلمته الشهيرة إثر خروجه من سجنه في المنصورة في القاهرة وهو في طريقه إلى عكا:

"لقد تكسرت الرماح والسيوف..فلنبدأ حرب الكلمة"

ومن الملفت للنظر في هذا السياق أن حملة نابليون العسكرية على مصر عام ١٧٩٨م ضمت بالإضافة إلى جيش المقاتلين الفرنسيين، جيشاً آخر من المثقفين والمختصين والباحثين في كافة مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والإنسانية مما عرف باسم "إرسالية مصر" والتي شكلت على أرض الواقع أولى حملات الغزو الثقافي المنظم للوطن العربي في العصر الحديث.. وليس من قبيل المصادفة آنذاك قيام نابليون بتقربه من علماء الأزهر الشريف والتظاهر بإسلامه، وإصدار بياناته مسبوقة بعبارة "بسم الله الرحمن الرحيم" بغرض اختراق الجدار الديني لجماهير مصر.

٢. حملة التتريك التي قادها الإستعمار العثماني بغرض تثبيت استيلائه على الأرض العربية والإنسان العربي معاً،وتذويب الشخصية العربية وتفتيت هويتها..هذا وإن تلك الحملة الأبشع في تاريخ الغزو الثقافي، وإن فشلت في تحقيق أغراضها على مستوى الوطن العربي، فإنها ما تزال جاثمة قائمة في تلك الأراضي العربية الرازحة تحت الإحتلال التركي ليومنا هذا..ما زال نحو عشرة ملايين عربي يعيشون في ديار بكر ومرسين ولواء الإسكندرون السليب تحت وطأة الإحتلال العسكري والثقافي معاً يحظر عليهم التكلم بالعربية أو التنفس بها..بل إن أسماءهم العربية قد أخضعت لحملة التتريك قسراً عن إرادتهم، فمنحتهم السلطات التركية أسماء غيرها فرضتها عليهم.

٣. الغزو الإستعماري الأوروبي:

لقد ترافق الإحتلال الأوروبي للوطن العربي مع احتلال ثقافي لكافة مرافق الحياة، وما تزال الثقافة العربية في دول المغرب العربي خصوصاً، تعاني من تبعية ثقافية واضحة المعالم، حيث نجد عامة الناس في دول المغرب العربي يتخاطبون بالفرنسية ليومنا هذا رغم التوجه الرسمي، وحملة التعريب لحكومات تلك الأقطار العربية..بل إن هذه التبعية الثقافية تحمل معها تبعية اقتصادية وسياسية.

وإنه لأمر ملفت للنظر أن الطلبة العرب من دول المغرب العربي يتبعون دورات خاصة في اللغة العربية كي يتمكنوا من متابعة الدراسة في الدول العربية في المشرق.

٤. الغزو الإستيطاني الصهيوني..والإجتياح الثقافي الجديد ومع الحملة الصهيونية الإستعمارية التي أسفرت عن غرس الكيان الإستيطاني الصليبي الجديد عام١٩٤٨م، وما تلا ذلك من حملات توسع متلاحقة، شهدت الثقافة العربية هجمة ثقافية متعددة الجوانب من نوع جديد، استهدفت هذه المرة إيجاد غطاء شرعي لكيان يخالف كل

شرعية عرفها التاريخ، مع عملية تسويق وتمرير خرافات ومزاعم في ملكية هذه الارض العربية بالإستناد إلى أسناد إرثية توراتية تتناقض مع التاريخ والقانون والدين والمنطق ولا تتفق سوى مع الأطماع الإستعمارية للإمبرياليين كافة.

إن الغزو الثقافي الصهيونئي اتسع إلى غزو ديني من نمط خاص، إلى كل من المسيحية والإسلام عبر فبركة المزاعم والإدعاءات بأن الصهاينة هم أصحاب دين سماوي مقدس هي اليهودية، وأنها آم ديانات التوحيد وأقدمها، وأنهم يحكمون إسرائيل باسمها وأنهم شعب الله المختار، وهم وكلاؤه وأبناؤه الخاصين، وأن تلك الإدعاءات موجودة وثابتة في الإسلام كما في المسيحية حسب زعمهم على الأخرين وما عليهم إلا التسليم بها والإنصياع لها. لذلك أطلقوا العنان لحملة إعلامية مركزة وعبر سنوات طوال وبجهد مكثف إلى تهويد المسيحية والإسلام من الداخل وإنشاء المذاهب الدينية والطائفية وما أكثرها بشكل تبدو فيه مزاعمهم وكأنها اكتسبت شرعية السماء، وشرعية القانون، إن الفكرة التي روجت لها الصهيونية إن إسرائيل لا تأبه بأية قوانين أو أعراف أو مواثيق دولية، وتنظر لأعمالها هذه ولأطماعها في التوسع بمقولات باطلة حيناً وخرافية أحياناً، ورغم ذلك تصبح هذه المقولات مع الوقت وبفعل الجهد الصهيوني المخطط والمكثف، ويدعم من القوى الإمبريالية والقوى الحاقدة على الأمة العربية والإسلامية وكأنها مقولات صحيحة يطالبنا الكثيرون بالأخذ بها، ويتحدثون عنها وكأنها اكتسبت كل عناصر الشرعية المنطقية، وتتحول من مقولات باطلة أو خرافية إلى مقولات منطقية عادلة في نظر الكثيرين في أنحاء العالم، ويتطاير الكثير من شرر هذه المقولات إلى الساحة العربية، ويتلف بعض خلايا الدماغ العربي، ولكن أصالة الأمة ووجدان الجماهير العربية والإسلامية يعوضان هذا التلف، وقد برهنت التجربة أن هذا التعويض يفوق كثيراً ذلك التلف ويتجاوزه إلى حد يصبح فيه التلف مع الزمن أثراً بعد عين وضمن المذاهب المتهورة يمكن أن نذكر البهائية والقاديانية، وشهود يهوه، والمجيئين، والسبتين والمورمن.. ومذاهب مسيحية عديدة تم صنعها في أحضان الطغمة المالية الإستعمارية المرابية بغرض

ملاءمة المسيحية الدينية مع أغراض الإستعمار الجديد تحت ثوب الإصلاح الكنسي المسيحي الذي تزامن مع تطلع الغرب إلى الغزو والإستعمار..وجوهر المذاهب الدينية المتهورة في تفضيل بني إسرائيل، وأنهم شعب الله المختار وأن المسيح عيسى عليه السلام جاء لإنقاذهم وبشّر بعودتهم، وأنه سيعود اليهود إلى ارضهم ومنها سيحكمون العالم الف سنة قبل مجيء السيد المسيح عليه السلام وأن قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م جاء تحقيقاً لنبوءات الكتاب المقدس، وعلى المؤمنين كافة أن يساعدوا اليهود في العودة إلى ارض إبراهيم من الفرات إلى النيل كي يسرعوا من مجيء السيد المسيح وعودته في يوم الخلاص.

وضمن هذا الإطار تم إنتاج عشرات الافلام السينمائية وبثها عبر محطات التلفزة الأجنبية والعربية حول السيد المسيح عيسى عليه السلام، صهيونية المضمون إستعمارية التوجه، تظهر السيد المسيح داعية يهودية، يدعو العالم إلى مساعدة بني إسرائيل وأنه جاء يبشر بخلاصهم وأنهم سيعودون ويحكمون العالم.

إن الغزو اليهودي للمسيحية والإسلام وإن بلغ ذروته في الآونة الأخيرة،ولكنه في سياقه التاريخي قد بدأ مع ظهور السيد المسيح عيسى عليه السلام ودعوته الفاضلة السمحاء للخلاص من المادية اليهودية الطاغية، وبهذا الصدد يمكن الإستدلال بما جاء على لسان المسيح عليه السلام محذراً من مكر اليهود ونفاق كهنتهم بقوله: (إياكم والأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحملان، وهم من داخلهم ذئاب خاطفة..من ثمارهم تعرفونهم).

كذلك فإن اليهودية قد أعلنت الحرب على الإسلام مع بدء دعوته النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم، ولما فشلت اليهودية في وقف إنتشار الإسلام وتعاظمه لجأ دهاقنتهم وخبثاؤهم إلى النفاق والمكر والخديعة بغرض إختراق الإسلام من الداخل، فأظهروا الإسلام، وأبطنوا الشر به وبتعاليمه، ومزقوه إلى فرق دينية ومذاهب سياسية بغرض تفريغه من مضمونه الثوري والحضاري الإنساني، مما ترك آثاره السلبية ليومنا

هذا. وبهذا الصدد يمكن الإشارة إلى أحد الكهنة اليهود البارزين في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم- وهو كعب الأحبار الذي اعتنق الإسلام نفاقاً ومكراً، وتقرب من الخليفة عثمان بن عفان، ووشا بالصحابي الجليل أبا ذر الغفاري وقام في مجلس الخليفة عثمان بتكفير الصحابي الجليل واتهامه بالإنحراف عن الإسلام لأنه يحرض فقراء المسلمين على أغنيائهم، فما كان من الصحابي الجليل أبا ذر إلا أن صرخ في وجهه قائلاً قولته الشهيرة: "أتعلمننا ديننا يا بن اليهودية".وقال له مرة بعد أن ضربه بعصا بين أذنيه (يا أبن اليهودية تزعم أن ليس عليه حق في ماله، وقال وما تدري يا أبن اليهودية ... [1]) وكان ذلك إثر تقسيم ميراث أحد الصحابة.

على هامش الغزو اليهودي الديني:

حول دور اليهود في تمزيق وحدة المسلمين وتفريقهم إلى فرق متناحرة ومذاهب شتى يمكن العودة إلى ما عرف في الفقه الإسلامي بـ"الإسرائيليات" وهو ما وضعه دهاقنة اليهودية ممن أظهروا إسلامهم من شروحات وتفاسير القرآن الكريم، ومن أحاديث ملفقة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في خدمتهم.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤ / ٦٨.

التشويه الثقافي وسط حملة العداء للعرب والمسلمين

إن الثقافة العربية هي تعبير عن الهوية العربية.وإن تشويه الهوية العربية وصورة الإنسان العربي لدى الإنسان الغربي، قد إرتبط بشكل مباشر بعملية الغزو والإجتياح بشقيها العسكري، والثقافي.

فالإجتياح الصليبي للمشرق العربي قام به الغزاة الأوروبيون تحت حملة إعلامية مركزة، لتحرير بيت المقدس من "الكفرة المسلمين العرب" ويمكن بهذا الصدد الرجوع إلى تاريخ الحروب الصليبية،وما كتبه المؤرخون الاوروبيون بأنفسهم عن ذلك.

بل إن هذا الغطاء الحضاري للإنسان الأوروبي الذي يقابله في الوقت ذاته تشويه حضاري للإنسان العربي، قد تم إدراجه علانية دون حياء في نص صك الإنتداب الذي فرضته الدول الإستعمارية في ميثاق عصبة الأمم المتحدة حيث جاء [1] بحرفية النص (يشكل رفاه هذه الشعوب ونموها، رسالة حضارية مقدسة، وينبغي أن تحتوي الشرعية الحاضرة للعصبة – أي الميثاق – ضمانات كافية لتحقيق هذه الرسالة)...وقد ركز تيودور هرتزل في مؤلفه[الدولة اليهودية] الذي صدر له في أوروبا عام ١٩٠٢م على توظيف تلك الصورة الهمجية التي استقرت لدى الإنسان الغربي عموماً عن الإنسان العربي بغية استدرار العطف الأوروبي على مشروعه الاستعماري بقوله:

(سنكون جزءاً من السور الاوروبي المرفوع وسط المشرق العربي..سنكون بناة الحضارة المدنية في مواجهة التخلف والبربرية) [2]. وبعد إنحسار الإحتلال العسكري الأوروبي للوطن العربي في معظم أقطاره،لم تتغير تلك الصورة المرسومة عن العرب لدى الغرب عما كانت عليه..بل إنتقلت الحملة الإعلامية إلى مزيد من التشويه والتزوير،

---

(١) المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم المتحدة.

(٢) ترجمة عن النص الروسي.

وذلك لأن المطامع الإستعمارية لم تنحسر بعد زوال الإحتلال بل شهدت مداً جديداً إرتبط بشكل مباشر مع المد الغربي الصهيوني المشترك في المشرق العربي. لذلك قامت المؤسسة الصهيونية بما تملكه من مؤسسة إعلامية ضخمة في أوروبا وأمريكا بترسيخ تلك الصورة القاتمة عن الإنسان العربي، وتعميمها وتعميقها عبر كافة وسائط الإعلام والمناهج التعليمية الغربية حتى إذا ما ذكر إسم العربي أمام الطفل الأوروبي والمثقف الأوروبي عموماً، فإن صورته ترتسم أمامهم "بذلك البدوي الذي يقف إلى جانب الجمل والخيمة والعقال..وله ذنب.. أو يفترس إمرأة". والآن تحولت هذه الصورة إلى صورة "الإرهابي الأصولي".

ومع اكتشاف النفط العربي وظهور طبقة من الأثرياء العرب – مشايخ النفط – انتقلت المؤسسة الإعلامية الصهيونية إلى نوع جديد من التشويه بأن ركزت على جانب الترف والبذخ لدى حفنه من أولئك، ارتسمت صورة قاتمة أخرى عن العربي أمام الإنسان الغربي عموماً يظهر فيها العرب، وكأنه لا شغل لهم في الحياة سوى مضاجعة النساء،وشرب الخمور وسط الراقصات وبناء القصور والعبث بأموال طائلة من الدولارات لا يعرفون عدها أو تمييزها بل يحملونها رزماً وأكياساً على ظهورهم..وقد أنتجت المؤسسة الصهيونية الأمريكية عشرات..بل مئات الأفلام السينمائية بهذا الصدد وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر منها:

فيلم القوة – عام ١٩٨٦م حيث يقدم صورة فاجرة عن مشايخ النفط الذين يتدخلون في حملة الإنتخابية لصالح فوز رجل مال أمريكي بعضوية الكونجرس "لأنه يعارض استخدام الطاقة الشمسية".

فيلم "الحياة والموت في لوس أنجلوس – عام ١٩٨٥م" الذي يتعرض في جوهره لمحاولة أحد العرب – حسب زعمهم- إغتيال رونالد ريغان أثناء مرور موكبه، وهو يلقي بنفسه من أسطح إحدى العمارات المطلة على الموكب وهو يصرخ بالعربية – مع دبلجة بالإنجليزية –الموت لأمريكا وإسرائيل .. الله أكبر".

فيلم "نحو الليل –١٩٨٥م" ويتحدث حول مجموعة من قطاع الطرق العرب وقد اقتحموا مخيماً ثم اغتصبوا الفتيات فيه.. وتلذذهم بقتل العصافير داخل أقفاصها..وذبح الكلاب وشيِّها..

فيلم [يا إلهي أيها الشيطان –١٩٨٤] يفخر فيه بطل الفيلم بأنه عربي، مع إبراز دوره الوحشي.

فيلم "مسألة ليست صغيرة – ١٩٨٥م" ويظهر مشايخ النفط في مطاردة الفتيات وأن بطلة الفيلم تقول لصديقها: "لقد أصبح رقم هاتفي معروفاً لدى كل شخص يمارس الشذوذ الجنسي على ساحل أمريكا الغربي بسبب ذلك الشيخ الشاذ" (أنظر مجلة العربي – رقم ٣٥٦ ص ١٠٧ تموز ١٩٨٨م بقلم دكتور جاك شاهين من الولايات المتحدة الأمريكية حول الفيلم الأمريكي).

لقد بلغ هذا التشويه الإعلامي المركز لصورة الإنسان العربي إلى حد أصبح بها الإنسان العربي في دول المهجر يشعر بالخجل من إنتمائه العربي، وفي كثير من الأحيان يلجأ إلى التستر بجنسيات أمم أخرى، وهذا ما أشار إليه الكاتب الأمريكي من أصل عربي قيس قاسم الذي يشارك في البرامج الإعلامية الأمريكية،فكتب في مجلة [برايد] التي تصدر عن جريدة الواشنطن بوست، مقالة اعترف فيها أن ابنه عبر له عن كراهيته للعرب وهو العربي اللبناني بسبب ما يراه ويسمعه ويقرأه عنهم في الإعلام الأمريكي.ويضيف قيس قاسم.. "هكذا هو واقع الإعلام العربي الأمريكي وإن كان يريد من إبنه أن يكون فخوراً بأصله العربي" وقد كتب في مقالته المذكورة عن دور العرب الأمريكيين في الإبداع والعطاء الحضاري للمجتمع الأمريكي ذاكراً سيلاً من أسماء المشاهير العرب لدى الوسط الأمريكي في كافة مجالات الحياة.

وفي سويسرا صدر في العاصمة جنيف في خريف عام ١٩٩٣ دليل هاتفي للأعوام ١٩٩٣–١٩٩٥م مزيناً بغلاف أنيق مع صورة لرجلين بالزي العربي التقليدي(مع العقال) يقفان أمام نافورة بحيرة أ.ليمان الشهيرة ويقول أحدهما

لصاحبه: (أنظر.. إنه البترول يخرج من النافورة) بلغة فرنسية لا تخلو من الاستهزاء والسخرية على العرب عموماً.. مع العلم أنه وزع من هذا الدليل نصف مليون نسخة في سويسرا والمراكز الهاتفية في عواصم العالم،وفي ميلانو في إيطاليا أثناء إنعقاد جلسة المحكمة بتهمة الفساد اقتحم القاعة رجل إيطالي بالزي العربي وبيده خنجر وبأخرى كرباج في محاولة ساخرة لإلقاء تهمة الفساد في إيطاليا على العرب فيها.

الإشاعة أداة حرب على الإسلام

لقد إنتهت فترة ما سمي بـ " الحرب الباردة" بتلاشي مقولة " الخطر الشيوعي". ويزوال معزوفة الخطر الشيوعي، سقطت ذريعة كبرى كانت الإمبريالية تستخدمها بحذق ومهارة للتدخل في أمكنة عديدة من العالم – خاصة في الوطن العربي.لكن الهيمنة العالمية الجديدة لم تفقد الوسيلة، وسرعان ما وجدتها –حسب زعمهم– في " الخطر الإسلامي.. والأصولية الإسلامية"، مع أن الإسلام لم يشكل يوماً خطراً على أية من المجتمعات الإنسانية.

فالإسلام عنوانه سلام، وتحيته سلام وربه الملك القدوس السلام، وأرضه دار السلام، ونجد ذلك دون عناء في كافة سور القرآن الكريم " والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم" صدق الله العظيم.

ومع أن تشويه الإسلام ليس بجديد على الغرب، ولكنه اليوم أصبح هدفاً معلناً وكأنه هو الخطر الأول الذي بات يهدد العالم– حسب إستراتيجية قادة النظام العالمي الجديد.ويستفيد الغرب من ذلك من توظيف وإستثمار الأحقاد اليهودية الدفينة على العرب والمسلمين بغية تفتيت هويتهم القومية، ونسف جذورهم، لأن الإسلام شكل منذ أن عرفه العرب إحدى مكونات القومية العربية، وكان مبعث وحدتهم وتحررهم، انطلقوا به من توحيد الله إلى توحيد صفوفهم في أمة واحدة.

لقد انتقل الغرب في حربه على الإسلام إلى مرحلة العلانية.

فعلى الصعيد الرسمي أعلنت مرغريت تاتشر، وكانت آنذاك على رأس الحكومة في بريطانيا " كان أمام الغرب عدوان اثنان هما الشيوعية والإسلام، وقد تم القضاء على العدو الأول، دون خسائر تذكر.وعلى الغرب أن يقف اليوم في خندق واحد للقضاء على العدو الثاني. الإسلام".

وعلى الصعيد الإعلامي نجد سيلاً من الكتب والمقالات والنشرات الغربية التي تفيض حقداً وتشهيراً بالإسلام والمسلمين عامة.ومن ذلك ما كتبه المستشرق الفرنسي اليهودي مكسم رودنسون في صحيفة لوموند الفرنسية في عددها في الأول من كانون أول ١٩٨٩م حول الخطر الإسلامي بعنوان "الإسلام.. هذا الوباء الاجتماعي الخطير الذي يهدد فرنسا. "إن الحرب مع الشيوعية استغرقت سبعين عاماً، بينما حروب الغرب مع الإسلام بدأت منذ ١٣٠٠ عام – أي من ٩٢٠ عام من إنطلاق دعوة رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم ٦٢٠م – وما زالت مستمرة".

وفي منتصف حزيران ١٩٩٢م خرجت مجلة التايم الأمريكية وعلى غلافها صورة لمئذنة مع يد تحمل رشاشاً مع عبارة:"ألا يجب على الغرب أن يخاف الإسلام؟".

والمؤرخ الأمريكي فرانسيس فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ،والإنسان الأخير" كتب يقول:

"يشكل الإسلام الأصولي أحد فروع الفاشية وأخطرها".

والكاتبة الإنجليزية روز لند ملز في كتابها "تاريخ نساء العالم" كتبت عن الكعبة في مكة المكرمة، تقول:

"في الكعبة، أعظم معبد للمسلمين تجد الحجر الأسود، وعلى سطحه علامة بارزة لعضو المرأة التناسلي" في إفتراء فاضح من وحي الخيال للتشهير بمقدسات المسلمين.

ومن خلال تلك الحملة الساخرة من العداء على العرب والمسلمين، يجب أن ننظر إلى رواية "سلمان رشدي وإفتراءاته الشيطانية" التي جند لها الغرب أجهزة إعلامية ضخمة لترويجها والدفاع عنها..ولم يفت الغرب في حربه الثقافية المعلنة من استئجار أقلام رخيصة من وسط الشارع العربي والإسلامي وتجنيدها في خدمة أغراضه العدائية.. بشكل تبدو فيه تلك الأقلام وكأنها رائدة في التجديد والإبداع الأدبي والفكري، يحدو أصحابها الأمل في نيل جائزة نوبل – التي تتحكم بها لجنة أكاديمية في السويد تعمل تحت

المؤثرات الصهيونية، وقد أصبحت غير خافية على أحد.وضمن هذا السياق يمكن ذكر: توفيق الحكيم في مسرحيته [محمد] التي شهر فيها بشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنه رجل مزواج.

ويذكر الطاهر بن جلون المغربي في روايته [1] التي يصور بها رجل مسلم يغتصب فتاة على تراتيل القرآن الكريم..وقد منحته فرنسا جائزة غونكور الأدبية على روايته هذه.اللبناني أبو موسى الحريري في سلسلة من مؤلفاته عن دار نشر [لأجل المعرفة][2] في نفي النبوة عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.الشاعر أحمد سعيد (أدونيس)الذي زعم أن التوراة المترجمة إلى العربية أجمل من عربية القرآن بما لا يقاس،فأغدقت عليه أجهزة الإعلام الغربية بفائض من الألقاب السحرية الفاخرة! وليس آخراً نجيب محفوظ في روايته الفاجرة [3] التي أوصلته إلى جائزة نوبل صيف عام ١٩٨٨م..وكان وزير خارجية العدو شمعون بيرينز أول المهنئين له بها .وعدد آخر غيرهم.

إن مدخل هذه الحملة تعبئة ضد روح مقاومة الإحتلال ومقاومة الهيمنة ليسهل على أعداء هذه الأمة تحقيق أهدافهم.بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي وسقوط ذريعة الخطر الشيوعي عملت الصهيونية من أجل خلق عدو جديد للعالم الغربي بقصد مجابهة بين العالم الإسلامي والعرب في قلبه من جهة وبين الغرب من جهة أخرى مما يتيح الفرصة لإسرائيل لإبتزاز الغرب تحت ذريعة مواجهة العدو المشترك وهو العروبة والإسلام.

إن الذين يحاولون أن يجعلوا مقاومة الإحتلال تهمة عليهم أن يدركوا أننا نرى في أولئك المقاومين الذين يدافعون عن الكرامة وتحرير الأرض مناضلين يستحقون كل التقدير،إننا نقول للذين سقطوا في الشرك الإسرائيلي في حملتهم ضد الإسلام والمسلمين:

---

(١) الطاهر بن جلون المغربي: ليلة القدر رواية.

(٢) أبو موسى الحريري: لأجله المعرفة سلسلة (قيس ونبي).

(٣) نجيب محفوظ: أولاد حارتنا.

سيبقى الإسلام دين العدل والأخوة والرحمة والمساواة والحرية؛ كما كان في الماضي، وهو اليوم كذلك في المستقبل. إن الإسلام دعوة للحرية والمساواة والعدل وليس دين شقاق. لن يكون الإسلام كما يريده الغرب ستاراً للعورات أو دين مذلة وخنوع.إن العروبة والإسلام هما هويتنا، وإنتماؤنا، ولن ينجح المشككون في إنتمائنا وبقدرة هذه الأمة على النهوض.إن من أهداف الغرب إسقاط العربية وتفكيك العلاقات بين العرب، وإزالة مؤسسة العمل العربي المشترك لتزيل من أذهان الناس إنتماءهم، لأنها تدرك إستمرار تدفق المشاعر العربية وإستمرار الشعور بالإنتماء لن يحقق لإسرائيل أهدافها. إن دعوة الغرب لإقامة ما أسموه شرق أوسط جديد يشكل مدخلاً للإستراتيجية الصهيونية في الوطن العربي بهدف دمج إسرائيل وغيرها في بنية المنطقة لتقوم بنية جديدة يكون العامل الإسرائيلي فيها هو الأقوى.

إن الإسرائيليين يرون الجانب العربي مسالماً، محباً للسلام فقط عندما يستسلم لمتطلباتهم، ويخور بعيداً عن أمته وحقوقها.

وشهد شاهد من أهلها.فالأمين العام لحلف الأطلسي الجنرال ويلي كلامس أعلن في مؤتمر صحفي في لندن بقوله ' (إن الخطر الإسلامي،والأصولية الإسلامية يشكلان أكبر تحد يواجهه الحلف بعد سقوط الحرب الباردة) [١].

ومثل ذلك أعلنه مراراً وزير الدفاع الفرنسي فرانسوا ليتوار [٢] في أكثر من مناسبة. (بالصوت والصورة والنشرة المسائية الساعة الثامنة لتلفزيون لبنان محطة l.b.c لنفس اليوم المذكور، أيضاً عن يوم الثلاثاء في ٢٨/ ٢/ ١٩٩٥م).على أن مثل التصريحات

---

(١) ويلي كلامس: مؤتمر صحفي في لندن ، ٨ شباط ١٩٩٥.

(٢) نشرة أخبار راديو لندن بالعربية الثامنة مساءً عن يوم الجمعة في ٣٠ أيلول ١٩٩٤م،حول إعلان وزير الدفاع الفرنسي فرانسوا ليتوار في مؤتمر وزراء دفاع حلف الأطلسي اشبيليا في أسبانيا حول موقف الحلف من الخطر الإسلامي.

أصبحت أمراً مألوفاً صباح مساء من إذاعة العدو وصحفه،وفي الغرب عموماً حيث تنشط وسائل الإعلام الصهيونية..وفي ندوة جامعة (جورج تاون) في العاصمة الأمريكية في واشنطن التي انعقدت في الاسبوع الأخير من أيلول لعام ١٩٩٤م حول (الإسلام السياسي) والتي شارك فيها عدد كبير من الباحثين والمختصين الأمريكيين، تحدث الدكتور ريموند بيكر، أستاذ العلاقات الدولية من كلية وليامز، بمرارة بالغة بقوله:

"إننا في الولايات المتحدة الأمريكية نتكلم كثيراً عن عنف وخطر وإرهاب المسلمين، ونغفل عن إثراء الإسلام الحضاري والثقافي والإنساني.إننا نخلط بين النظرة إلى الإسلام بحكم مصالحنا السياسية الخاصة، وبين النظرة الإنسانية الشاملة.يجب أن لا ننسى أن الإسلام ظل سليماً وحضارياً ولمئات من السنين أغنى الثقافة الإنسانية".

أن هذه الحملات الإعلامية تدل على مقدار حجم الإشاعات المغرضة ضد العرب والسلمين وان تصويرهم بالصور البشعة لتدل دلالة واضحة على إجتهاد أصحابها في تشويه الصورة عن طريق الإشاعة.

الغزو الثقافي الاجتماعي

١- الغزو الثقافي عبر شاشة التلفاز:

إن الأسرة هي الدعامة الأولى في المجتمع العربي، وإن تفكيكها في المحصلة سينسف البناء الاجتماعي والقومي من الجذور.

ومن هنا يجب أن ننظر إلى تلك الحملة المركزة التي تشنها وسائط الإعلام الغربية بغرض تفتيت وتقويض الأسرة العربية من خلال ترويج المخدرات، والمشروبات وإفساد الأخلاق وترويج الرذيلة والدعارة عبر ما يسمونه بـ " ممارسة الحريات الشخصية" في إباحية فاضحة تأنف عن مثلها البهائم.

ومع التقدم العلمي واستخدام الأقمار الصناعية استطاع الغرب من وراء البحار والمحيطات القيام بحملة واسعة في غزوه الثقافي، وعلى اقنية بث أصبحت تغزو كافة بيوتات المجتمعات العربية بشكل لا تستطيع فيه أجهزة الشرطة أو الرقابة من منع ولوجها، ولا يقف أمامها حائل سوى حاجز فولاذي من التمسك بالفضيلة، والهوية العربية، والأصالة والقيم. وكان الصهاينة في مقدمة أولئك الذين يستخدمون محطات التلفزة عبر الاقمار الصناعية لغزو المجتمع العربي من الداخل، فأسسوا لهذا الغرض شبكة واسعة على أراضي دول عديدة مثل تركيا وإيطاليا وقبرص ومالطا وفرنسا وأسبانيا..والولايات المتحدة الأمريكية ذاتها..وضمن هذا السياق تبرز أسماء كل من الملياردير اليهودي روبرت مردوخ الذي يملك محطات بث في العديد من دول الغرب تبث أفلاماً خلاعية طيلة ٢٤ ساعة كاملة، ورجل الأعمال اليهودي التركي جاك قمحي الذي يملك شركة بروفيلد للبث التلفزيوني الموجه لحو شمال سورية، والماسوني بيرلسكوني في إيطاليا الذي يملك كبرى محطات التلفزة الإيطالية الخاصة والأولى في القذارة والإباحية في العالم. وتجدر الإشارة هنا إلى وجود محطات بث خاصة تعمل في عدد من الأقطار العربية، في خدمة أغراض تجارية غربية تقع تحت التأثير الغربي في خدمة أغراضه كافة.

٢- تدمير الذوق الجمالي العربي وتعميم السلوكية الغربية:

وفي هذا القطاع من الغزو الثقافي نجد إنتشار الإعلانات التجارية ذات المسميات والتراكيب الأجنبية الغربية على الذوق العربي مثل "صالون مادونا للتجميل". و"حذاء لافي" و ملمع الأحذية "شولا بتلمع لحالها" وشامبو شانتو، وشوكولا لولو، وعلكة لولا وسيل لا يتوقف من الإعلانات التجارية الفاسدة عبر مختلف وسائط الإعلام الأجنبية والعربية والتي تهدف إلى تحويل الإنسان العربي إلى أداة إستهلاكية للبضائع الأجنبية والثقافة الغربية مع إكتسائه ثوباً زائفاً من المدنية والعادات الدخيلة على تقاليد ومثل واخلاقية البيئة العربية..مع الإشارة أن عدداً غير قليل من المسميات التجارية الأجنبية ينحدر من تسميات يهودية توراتية مغرضة مثل ملمع الحذاء، شولا..أو كولا" وكذلك الحذاء "لافي".. ومنظفات لافي" ولا أدل على ذلك من وجود الإنتاج الحربي الصهيوني باسم (طائرة لافي)، ووجود اسم بارز في عالم الجاسوسية لدى العدو يعرف باسم شولا كوهين التي تشغل حتى هذا التاريخ عضواً في كينيست العدو،وقد ألقى القبض عليها لأكثر من مرة منذ عام ١٩٤٨ و١٩٥٢ و١٩٦٠ في اكثر من قطر عربي لقيامها بالتجسس وممارسة الدعارة.

إن الترويج الإعلامي لنمط من الحياة الإستهلاكية، وعلى حساب المواطن العربي ذاته – لأن قيمة الإعلانات تضاف إلى سعر تكلفة البضاعة المعلن عنها – يعتبر عاملاً مؤثراً في تدمير الذوق الجمالي وتخريب معايير الثقافة العربية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن دولة غربية مثل فرنسا اتخذت من إجراءات الحماية الثقافية لمواجهة ما سماه جاك لانغ وزير الثقافة الفرنسي بـ "الغزو الثقافي الأمريكي" ومنع استخدام المسميات والإعلانات التجارية الغربية عن الثقافة الفرنسية.. فمن باب أولى أن يحرص وزراء الثقافة العرب على حماية المواطن العربي وتحصينه من هذا الطوفان والطغيان للغزو الثقافي الغربي عموماً والصهيوني خصوصاً.

مع العرض أن العدو الصهيوني يحرص كل الحرص على ما اطلقوا عليه بـ "عملية التطبيع الثقافي" والتغلغل في أعماق الإنسان العربي بغية تغريبه عن عروبته و"غسل دماغه" ليكون إنساناً آخر عديم الإنتماء، عديم الجذور،عديم الهوية. ومن الممكن هنا التذكير بما قام به وفد من الإعلاميين الصهاينة الذين دخلوا مصر خريف عام ١٩٩٣م، على أنهم يمثلون دولة خليجية عربية وعلى إحدى طائراتها، وأجروا لقاءات متلفزة مع كبار الفنانين المصريين ممن عرفوا بعدائهم للتطبيع مع العدو الصهيوني مثل فاروق لجيب، والمخرج أحمد ضياء الدين، وحلمي بكر، ومريم فخر الدين وأمينة رزق وغيرهم ثم قام الصهاينة ببث هذه اللقاءات عبر أقنيته بغية التأثير على الشارع المصري وإظهار وطنيته وأحراره بأنهم أصبحوا أعوان العدو الصهيوني ودعاة التطبيع معه.

– إن إكساء الإنسان العربي غطاءاً جديداً من العادات والتقاليد الغربية، وإلهائه وإفساد ذوقه بكل ما هو جديد من عالم الموضة والأزياء والعطورات وضوضاء الموسيقى الغربية الصاخبة يشكل أحد أهداف الغزو الثقافي، وإن كان هذا الغزو يستهدف إجتياح طبقة المترفين من المجتمعات العربية، بشكل يتم فيه ربطها بالأزياء الغربية، واستخدام الحديث المحشو بالكلمات الأجنبية – مثل بنجور، مرسي- أتوكار.. – ناهيك عن إبتزاز الثروة الطائلة وتجفيفها لدى أولئك من المترفين، إضافة إلى تجفيف وتفتيت حسها القومي والاجتماعي، بشكل يصبح فيه ذلك الإنسان شخصاً آخر فارغ المضمون مهووس بكل ما هو جديد من الغرب.

إن تعميم الترف الأرستقراطي لدى أثرياء المجتمعات العربية أصبح يشكل أحد محاور الغزو الثقافي والتبعية الثقافية الغربية..ففي الوقت الذي نجد فيه آلاف العائلات الفقيرة في عاصمة عربية كبرى مثل القاهرة تفترش الساحات والحدائق، بل والمقابر والمدافن بغرض السكنى..نجد في هذا الوقت ذاته طبقة من الباشوات الجدد تصطحب كلابها معها إلى العواصم الغربية بغرض إجراء عملية جراحية لها، أو استجمام..وأنه يوجد لها في القاهرة والإسكندرية أنديتها الخاصة، ومقابرها الخاصة،وعيادتها الخاصة،

وأن الإعتناء بـ(الكلاب) والبذخ عليها لدرجة إقتناء مربين مختصين للإشراف والسهر على تلك الكلاب برواتب عالية..في الوقت الذي لا تجد فيه شيئاً من العطف من أولئك المتخمين على أبناء جلدتهم وعرويتهم من البشر الفقراء الذين يعيشون حولهم، وأحياناً على فتات موائدهم ويتكرر ذلك في أكثر المجتمعات العربية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

الإشاعة تخترق النظام الاقتصادي والثقافي للأمم

إنه آيدز يصيب الوطن والأمة بفقدان المناعة،ويؤدي إلى نخر شامل في كافة البنى التحتية والقومية للمجتمع؛ إنه حرب شاملة،ولكنها باردة،هادئة، لا يرافقها دوي المدافع.حرب تعمل وفق خطة منظمة وعلى كافة الأصعدة والمسارات في آن واحد،مما استعرضنا في متن هذا البحث بعضاً منها.

والغزو الثقافي الاقتصادي هو محور هام من محاور الإجتياح الثقافي الذي تتعرض له أمتنا العربية اليوم..إنه بوابة العبور إلى الغزو الاقتصادي وفرض الهيمنة الاقتصادية والسياسية معاً، مم أصبح واقعاً مؤلماً مجمل الوطن العربي في عدد كبير من أقطاره، بشكل أو بآخر.

والغزو الثقافي الاقتصادي ينصب أولاً بأول على قولبة ذهنية الإنسان العربي، وإعادة صياغته وتشكيلها بشكل يجعلها تتفق مع متطلبات الغزو الاقتصادي، وتنسجم معه، وتتكيف وفق معطياته الجديدة؛ دون معارضة أو مقاومة؛ وتطلبه بحماس؛ بشكل يصبح فيه الإنسان العربي،أفراداً وجماعات وحكومات إحدى مفردات، ومكونات، وشروط الغزو الاقتصادي الذي لا يتم بدونها، وصفاً من الصفوف المتقدمة التي تشكل اليوم هيكلية (النظام العالمي الجديد)، وبوابته الخلفية في آن واحد.

إنه يبدأ في المدرسة، وعلى مقاعد الدراسة ومن خلال مناهج تربوية وتعليمية تغلغلت أصابع خفية في صياغة بعض فصولها،تارةً تحت عملية تطوير المناهج التعليمية، وتارة أخرى في جعلها أكثر عصرية ومواكبة للتقدم الحضاري الذي يعيشه العالم..وهكذا يتم تلقين الطفل العربي بأن الوطن العربي – يعيش على الزراعة؛ وأننا بلاد زراعية..لا نصلح إلا للزراعة أو السياحة..وهكذا. وحتى في هذا المضمار فقد أصبحت البلاد العربية، في جانب كبير منها تعيش التخلف الزراعي، والتبعية الزراعية للقوى والدول والشركات الغربية، وتستورد من المنتجات الزراعية والمشتقات الحيوانية المصنعة أكثر

بكثير وبعشرات المرات مما تصدر من إنتاجها الزراعي والحيواني..أما في الشارع العربي، وفي خضم المجتمع العربي المفكك، والمبعثر كمربعات شطرنج،متلاصقة،ولكنها متباينة؛ فإن آلة الغزو الثقافي الاقتصادي تعمل بوتيرة عالية، وبشكل مركز..تبدو عفوية،ولكنها في حقيقتها غير ذلك، وهي مغرضة تنفث السموم القاتلة.في المخزن؛في السوق،في المحلات والأمكنة العامة؛ عبر وسائل الإعلام وشاشات التلفزة العربية والأجنبية يقال للمواطن العربي، بل ويغرس في ذهنيته غرساً صباح مساء: 'هذه بضاعة ألمانية جبارة..وهذه معكرونة راقية.. وهذه أقمشة إنجليزية خالية من الغش..وهذه معكرونة إيطالية لذيذة.. وحتى الملعقة والسكين وصحون المائدة،والأدوات المنـزلية وكل مستلزماتنا وما يدور حولنا؛ يقال لك بشكل أو بآخر..هذه بضاعة فرنجية مستوردة خصيصاً لك أيها العربي..حتى زوجتك تقول لك: 'أريد ثوباً فرنسياً وهكذا.

وفي نهاية المطاف رواج وطوفان للصناعة الغربية، وللبضائع المستوردة،جنباً إلى جنب مع تعميم السلوكية الغربية والنمط الغربي للحياة؛ جنباً إلى جنب مع الإنسلاخ من الجلود العربية، والمحيط العربي، وما يرافق كل ذلك من إنحطاط وتدهور وإنحدار اجتماعي وفكري واقتصادي في آن واحد..والصناعة الوطنية العربية في كساد وتقهقر؛ لماذا ؟فقط لأنها في ثوب عربي، والمواطن العربي عموماً- بفعل الآلة الدعائية الغربية، التى تعمل ليل نهار قد تبدل ذوقه وثوبه فأصبح لايرضيه إلا كل ماهو اجنبي مستورد، ولو كان يحمل السموم القاتلة كتلك التي تحملها المعلبات الفاسدة الملوثة بالإشعاعات النووية، والشحوم المهدرجة المصنعة في معظمها من نفايات حيوانية تقدم في الاسواق العربية في عبوات فاخرة على انها أجود أنواع السمن الهولندي أو التركي الفاخر؛ ناهيك عن السجاير والتبغ الامريكي المسرطن، والذي تصنعه شركات أمريكية يهودية عن سابق تصور جنباً إلى جنب مع تصنيع آلة الحرب الصهيونية..ولكل منهما دوره في قتل الإنسان العربي، وإحتلال أرضه وعقله معاً!.

أما الجانب الإستهلاكي، والكماليات خصوصاً،فقد أصبحت تشكل حيزاً كبيراً من إهتمامات الآلة الدعائية للغزو الثقافي الاقتصادي،ومصدراً من مصادر ثراء الغرب وأرباحه الهائلة وبمئات المليارات من الدولارات وعلى حساب تدمير الإنسان العربي وتخريب ذوقه وشل وعيه وعقله وإدراكه، وتحويله إلى مجرد أداة للإستهلاك فقط، وورقة مالية تخضع لأعمال المزاحمة بين كبرى الشركات الإحتكارية وبورصات المال والأعمال لعواصم الغرب بدون إستثناء.

بل إن عدداً كبيراً من بيوت الأزياء في أوروبا، ودور العطورات الباريسية لمختلف الفصول والأوقات وللأعوام القادمة يعملون على إرضاء ذوق المرأة العربية تحديداً، بإعتبار أنها المستهلك الأهم بين مستهلكي إنتاجهم من هذا الصنف أو ذاك،من هذا التصميم أو ذاك.وفي إعتقادهم أن السوق العربية هي السوق الحقيقية الأكثر إستهلاكاً وتصريفاً للأزياء والعطورات، كما للسيارات الفارهة والجوهرات الباهظة الثمن.[١]

وفي الوقت ذاته تصدح الأجهزة الدعائية الغربية،في أرجاء الوطن العربي وعلى مختلف درجات الطول والعرض،عبر الأثير كما عبر محطات البث الفضائي المتلفزة في حملة محمولة للإستهلاك والترويج لكل تافه..أنواع لا تحصى من العلكة والسجاير إلى الشوكولا والبسكويت، وأصناف المشروبات، مع استخدام شتى فنون المثيرات لإستقدام الزبائن من العرب إلى الأندية الليلية والملاهي، والمنتجعات السياحية؛ وكأن العرب ما خلقوا إلا لتناول الطعام، ولا همٌّ لهم سوى التمتع بملذات الغرب، والعبث بالأموال الطائلة التي بين أيديهم.. في الوقت الذي توجد فيه ملايين من العرب مشردة خارج أوطانهم المغتصبة، ومثلهم ممن يلفهم البؤس والشقاء والحرمان في وطنهم وعلى مرأى

---

(١) أنظر جريدة (الإعتدال) من نيوجرسي في عددها رقم ٢٧٦،ص٣ يوم الجمعة في ٩ أيلول ١٩٩٤م، بقلم الدكتور اسكندر لوقا.

من أعينهم تهدر الثروات، وتنتهك الحرمات، وترتفع القصور الشامخات. لقد قدمت مجلة روز اليوسف المصرية وصفاً حياً لشريحة من الأثرياء العرب ممن يشكلون مرتعاً خصباً للغزو الثقافي بكافة جوانبه؛ وهم غايته وأداته في آن واحد؛ فكتبت في إفتتاحيتها تقول:

(العرب يستأجرون بريطانيا في الصيف. مطار هيثرو في لندن يتحول إلى حي عربي كبير للسائحين العرب الأثرياء الذين يدفعون بسخاء..في لندن تشعر المحلات كأن الجميع أصبحوا عرباً. واجهات المحلات التجارية مكتوب عليها بالعربية، مع الإعلانات الباهرة أن لديها من يتكلم بالعربية،وأن هناك شوارع فاخرة خاصة بالسائحين العرب.ومن المألوف أن ترى فيها العرب يركبون أفخر أنواع السيارات مع سماع تسجيلات أم كلثوم ووردة وشادي جميل وجورج وسوف..والهوى سلطان..ويا عاشقين الهوى سلطان..مع إشارات ضوئية على مفارق الطرق ولافتات مرور بالعربية أيضاً..إلزم اليسار..لندن ترحب بكم). [1]

هكذا تم تجفيف الثروات العربية، وتبديد الأموال العربية، وتعطيل الأدمغة العربية، وتهميش الإنسان العربي، وتغريبه بعيداً عن وطنه وعروبته، إلى منتجعات لندن، وباريس وروما وفيينا ليصبح إنساناً آخر،ولكنه هو العربي والأنموذج المطلوب في الغرب لديهم.. أما أولئك الملايين من العرب الذين لا تروقهم لندن صيفاً ولاشتاءً فإنهم إرهابيون؛ أصوليون في التسميات الغربية المألوفة صباح مساء..وهكذا بالقدر ذاته يدور الإعلام العربي في معظمه كتابع، ومذنب للإعلام الغربي يدور حوله وفي فلكه..وبالقدر ذاته يتحول الاقتصاد العربي إلى اقتصاد سلعي استهلاكي رخيص يدور بين الصناعة السياحية، وصناعة آلاف الأصناف من العلكة والشوكولاه والمسليات ..على أنها مغذية ومفيدة، وأنها أصبحت من الكثرة في طوفان إعلاني يطغى على الأحداث السياسية العربية والدولية، مما يبعث على الإشمئزاز في كثير من الأحيان. وبالقدر ذاته يتحول

(١) روزا اليوسف عدد يوم الإثنين ٢٩ آب ١٩٩٤.

الوطن العربي إلى مصدر لإمداد الصناعة الغربية بالنفط والثروات والخامات، وإلى سوق إستهلاكية لمنتجات الغرب وآلته .. وهكذا من غزو الثقافي الى الغزو اقتصادي.

النفط هو عصب الصناعة، وبالقدر ذاته فإن المال هو العصب الإقتصاد والنفط العربي في معظمه يعمل على تدوير الالة الغربية، أكثر بكثير منه في تشغيل الصناعة العربية. أما المال العربي، فبالإضافة إلى ما ذكرت أعلاه، من هدر وتبذير في عواصم الغرب، فإنه هو الآخر لا يستثمر في تطوير الاقتصاد القومي، بقدر ما يستثمر في البنوك الغربية ولحساب المشاريع الإستثمارية للدول الغربية؛ وبالقدر ذاته في إفقار الوطن العربي وتخلف اقتصاده الوطني. ففي الوقت الذي نحن فيه بأحوج ما نكون إلى توظيف المال العربي لإعمار الوطن العربي،واستصلاح الصحاري، وبناء مشاريع الري وإرساء القاعدة المادية التي لأ غنى عنها للصناعة الثقيلة والاقتصاد العربي..نجد أن عدداً من الدول العربية تقوم بتوظيف أموالها في بنوك الغرب، ومشاريعه، حيث بلغ حجم المال العربي المستثمر خارج الوطن العربية ثمانمائة مليار دولار عن عام ١٩٩١م، في الوقت ذاته بلغت المديونية الخارجية للدول العربية مئتان وخمسون مليار دولاراً،وذلك طبقاً لتقرير مجلس الوحدة الاقتصادية العربية عن الجامعة العربية في القاهرة.وأن فوائد الأموال العربية المستثمرة في الخارج تكفي بحد ذاتها لإطفاء القسم الأكبر من المديونية العربية،فيما لو تمت استعادتها إلى أصحابها العرب؛ ولكنهم لا يملكون حتى حق استثمار فوائد أموالهم التي تذهب هي الأخرى لتساهم في إنماء الغرب ومشاريعه وبنوكه،وبالقدر ذاته في إفقار الوطن العربي وبنيته.

إن عمليات الغزو والنهب الاقتصادي الغربي للوطن العربي بلغت في الآونة الأخيرة أوجها عبر استثمار خبيث للخلافات العربية التي رافقت أزمة الخليج، والتي ساهم الغرب بقدر كبير في إيجادها وتأجيجها، خصوصاً وأن سياسة تصدير "التوتر" وإيجاد "البؤر الساخنة" وإيقاف الحروب..كل ذلك يشكل ثابتاً استراتيجياً في سياسة قادة النظام (العالمي الجديد).هذا مع حرص التحالف الإمبريالي الصهيوني على الظهور أمام

العرب بمظهر من يقدم لهم المساعدات الإنسانية والحلول الناجعة لمصاعبهم الاقتصادية، ومشاكلهم الاجتماعية، وأزماتهم السياسية عبر ما أطلقوا عليه بمشاريع التنمية الاقتصادية ومفاوضة السلام، والسوق الشرق أوسطية، ومؤتمرات التعاون الاقتصادي، وبرامج السكان والتنمية..والبيئة وغير ذلك مما أصبح أمراً مألوفاً في السوق الإعلامية الغربية.

الفصل السادس

الحرب على صدام حسين

الحرب النفسية

على صدام حسين

تطورت الدعاية والحرب النفسية ولكنهما اخذتا في العصر الحديث طابع التخصص بما جعلهما تبرزان في الأضواء كموضوعين منفصلين.

إن التاريخ مليء بالحوادث المثيرة التي يمكن أن تروي أو تنقل.. لإيضاح تطبيقات الحرب النفسية.. ومن أولى صور هذه الحرب تلك القصة الطريفة التي تحكى عن "تحوتمس الثالث" عندما هم بفتح يافا في فلسطين.. واستعصى عليه أمر فتحها فلجأ إلى الحيلة.. والخديعة.. والمفاجأة.. حتى استولى على المدينة.

وهناك نوع آخر من الدعاية العسكرية في التاريخ القديم..وهو التشهير السياسي. ويكون عادة قبل الحرب بقصد تبرير قانونية موقف أحد الجانبين أو إبرازها. والتاريخ الإسلامي مليء بعشرات الأمثلة الحية والقوية.

ففي أثناء أزمة مرحلة التفتيش والإعداد لضرب العراق.. قادت أمريكا حرباً نفسية شرسة ضد صدام.. استخدمت فيها وسائل بث الدعاية المؤثرة من الخصم، وإبقائه في حالة متواصلة من التوتر قد تؤدي في النهاية إلى الاستسلام.. أو إرتكاب أخطاء تؤثر سلبياً على تصرفاته وأفعاله..أو اغتياله بواسطة أحد ضباطه.

وكانت نبرة الحرب النفسية عالية جداً..استخدمت فيها شتى الوسائل الدعائية عن استعدادات الحرب.. وتفاصيل التدريبات.. وأنواع الأسلحة والطائرات والصواريخ والقنابل والدبابات.. وأعداد الجنود القوات الأمريكية والبريطانية التي تتجمع في الخليج.. وبثت الفضائيات صوراً لكل تلك المظاهر العسكرية.. مع تصريحات القيادة في واشنطن وفي الخليج.. فضلاً عن استخدام المعارضين العراقيين في أوروبا كإحدى وسائل

الحرب النفسية.. وذلك بالاهتمام بتصريحاتهم وتحركاتهم.. واجتماعاتهم لإقامة حكومة عراقية في المنفى.. بما يدل على مدى الإصرار على الحرب والإطاحة بنظام صدام.

استخدمت الولايات المتحدة أيضاً سلاح المنشورات التي تلقيها طائراتها من الجو..وما تحويه هذه المنشورات من نداءات.. وتهديدات ووعود:

"إن صدام يدفعكم إلى الموت..ولأجل ذلك..لا تخضعوا لأوامره.. إن أي خلل في عجلات شاحنتك.. فاعلم أنها سوف لا تتحرك.. وأن انجرار دبابتك إلى الوحل..فاعلم أنك لا تستطيع دخول المعركة..وأن عدم إمكانية سلاحك فتح النار..فاعلم أنك لن تجبر إلى القتال.. وإن أصيب جهاز إرسالك بعطب.. فاعلم أنك لا تستطيع سماع أوامر قادتك. لا تموتوا من أجل صدام..بل عيشوا لأجل السلام.."

"أيها الجنود..أيها الضباط..إن صدام يرمي بكم إلى الجحيم..سلاحكم العتيق لن يحميكم من الموت أمام قوتنا وقواتنا..نحن نعرف أنكم عقلاء..وشجعان..وأبطال مغاوير..فعدم الضغط على الزناد ينجيكم من القصف.. ومن يلجأ إلينا يلقى الترحاب والاعتناء.. ومن يعاند يهلك بلا ثمن..لكن فداء لمن..؟ ولأجل أي هدف أو مبدأ..؟ فكونوا عقلاء كما نعرف عنكم..إنكم ستخسرون أرواحكم هباء..أما قائدكم صدام.. فقد أحاط نفسه بأقاربه..وقلدهم أعلى المناصب ليضمن السلطة المطلقة.. والهيمنة.. وإذلالكم بتصرفاته التي دأب عليها دون مراعاة لمشاعركم.. وخبراتكم.. ونفسيتكم."

"أيها الضباط والجنود الأحرار..ليس بيننا وبينكم عداء..وما جئنا إلى منطقة الخليج لمحاربتكم..إنما لتطهير العراق الحر من النظام الديكتاتوري وسلطة الفرد..وتحكم حزب البعث في مصير وطنكم..وخيراته..واستقراره..ومستقبله..انظروا إلى الأمم المتقدمة التي تعيش الديمقراطية السليمة..فأين أنتم منا..؟ هل تظنون أن صدام قد يقودكم إلى نهضة حقيقية..؟ أو تهون لأجله أرواحكم..؟ إن صدام وولديه وحاشيته يقودون العراق إلى الدمار"

يجيء هذا في الوقت الذي استخدمت فيه الولايات المتحدة المعارضة العراقية في الخارج لتلطيخ وجه الحكم في بغداد..والمناداة بتطبيق قرار مجلس الأمن رقم "٦٨٨" المتعلق بوقف انتهاكات حقوق الإنسان في العراق..حيث طالبت المعارضة بالقضاء على صدام حسين الذي يمثل بذاته خطراً على الأمن الإقليمي والسلم العالمي.

وفي إطار الحرب النفسية أيضاً نشرت الصحف الإيرانية تصريحاً لرئيس البرلمان الإيطالي "بيير فرديناندو" قبيل مغادرته طهران يقول فيه: إن صدام حسين خطر على المنطقة والعالم ولا بد من الوقوف في وجه هذا الخطر. أما ريتشارد بيرل أحد صقور الإدارة الأمريكية الأكثر تشدداً فقد أكد على أن أمريكا ستعمل على إقامة نظام ديمقراطي في بغداد بعد الإطاحة بالنظام العراقي الحاكم..معرباً عن أمله في أن تنجح أمريكا بعد إنتهاء مهمتها في العراق من تغيير النظام في إيران أيضاً..(!!)

وفي قاعدة ميسوري الأمريكية ترددت عن الطائرة الشبح بي٢ التي تبدو غريبة عن هذا العالم.. وكذلك هو شأن تكلفتها العالية جداً حيث بلغ ثمنها مليار دولار أمريكي.

هذه الطائرة المثيرة روجت أمريكا الأقاويل حولها لإرهاب العراقيين..فهي بجناحيها الشبيهين بالخفاش وشكلها المخادع لأجهزة الرادار.. يمكنان من تفادى رصدها لقدرتها الفائقة على التخفي على الأرض وفي السماء..وتمتلك الولايات المتحدة ٢١ طائرة فقط من هذا النوع جرى تخبئتها بقاعدة وايتمن السرية الضخمة في ميسوري.

هذه الطائرة كانت قد قادت عمليات القصف في كوسوفو وأفغانستان..وأحدثت ثورة في القدرات القتالية للقوات الجوية الأمريكية..حيث يمكن للطائرة حمل ١٦ قنبلة – تزن كل واحدة منها ٩٥٠ رطلاً –موجهة عبر الأقمار الصناعية، ويمكن إطلاق كل واحدة منها على هدف بمعزل عن أهداف نظيراتها.. ويمكن الاعتماد عليها في ضرب الدفاعات الثقيلة في بداية الحرب.. لتسهيل عمل بقية الطائرات من الأنواع الأخرى..

هـذا إلى جانـب قدرة الطائرات "بي٢" على الطيران لمسافات طويلة حيث قطعت في ضرب أفغانستان آلاف الكيلو مترات التي تطلبت أربعة وأربعين ساعة طيران..

الترويـج الإعلامـي لقـدرات الطائـرة – ذات الإطـار الخـارجي المقـاوم لموجات الـرادار– كـان الهـدف مـن وراثـه معروفاً.. ومفهوماً.. ومقروءاً للمحللين العسكريين في العالم أجمع.. ما عدا العراق.

وفي الخلـيج كانـت الحرب النفسية أكثر صخباً..إذا نشرت وكالات الأنباء العالمية أن طـياري البحرية الأمريكـية الموجودين في الخليج،يتدربون على شن غارات وهجمات وهمـية، عـلى مطارات وأبراج ومواقع عسكرية عراقية ليألفوا الأهداف الحقيقية عند بدء الحـرب.. وذكرت الأنباء على لسان الكابتن "كيفين البرايت" أحد كبار الضباط على حاملة الطائـرات "إبـراهام لينكولن" قولـه: "أن هـذه التدريبات تعطينا القدرة على تفهم عمليات القصـف في البيـئة نفسـها الـتي سـنخوض فـيها الحـرب ضـد العراق.. وأن هذه الغارات الوهمـية إحـدى سلسـلة الخطـوات التكتيكـية المعقـدة، اللازمـة لإطـلاق القـنابل الذكية الموجهـة بدقـة متناهـية.. بحيـث لا يتضـرر منها المدنيون في محيط الهدف المقصود .. حيث تسـجل الطلعات التدريبية، ويقوم الطيارون بمشاهدة شرائط هجماتهم بعد هبوطهم على الحاملة".

وعـلى صـعيد آخـر ذكرت المفوضية العليا للاجئين بالأمم المتحدة أن ٢٠٢ ألف عـراقي لجـأوا عـام ٢٠٠١ إلى إيـران.. وأن هـذا العـدد سيتضـاعف عدة مرات مع بداية الحرب.

وأعلـن في طهـران رئـيس جمعـية الهـلال الأحمـر الإيـراني "أحمد نوربالا" أن مدينة "كرمانشـاه" القريـبة مـع الحـدود العراقـية، سـتكون هدفـاً لعشـرات الآلاف مـن اللاجئين العراقـيين، وأن فـرق الإغاثـة والطـوارىء شـرعت بتنظـيم مخـيمات إيواء مؤقتة في مدن جـنوب ووسـط إيـران..بينما أعلنت الحكومة الإيرانية أن طهران ستقف على الحياد ولن تتعاون مع أمريكا ولا مع النظام العراقي.

وفي إطار "تسخين" الأجواء..صرح آرئيل شارون" رئيس الوزراء العدو الإسرائيلي في حديث نشرته صحيفة "كوريرى ديللا سيرا" أن علماء عراقيين يساعدون ليبيا على تطوير قنبلة نووية..(!!).. بينما صرح في طوكيو رئيس الوزراء الياباني "جونيتشيرو كويزومى" أن اليابان تساند الولايات المتحدة في حربها ضد "الإرهاب".. وأنه سيبحث إرسال فرق معاونة فنية وتسليحية إلى الخليج للمساعدة في حال ضرب العراق.

لكن في باريس التي يعتبرها العراق أحد أهم حلفائه..صرح وزير الخارجية الفرنسي السابق "هوبير فيدرين" في حديث نشرته صحيفة "شارنت لير" اليومية أن الإدارة الأمريكية مصممة على الإطاحة بنظام صدام حسين.. وهذا يعني الانتهاء من حرب الخليج في ١٩٩١م والانتقام لوالد الرئيس "بوش" الذي تعرض لمحاولة اغتيال..وأيضاً السيطرة على السياسة النفطية للعراق عبر نظام موال.

وقال "فيدرين" (إن أمريكا تفرض قانون القوة منذ أحداث ١١ سبتمبر، وهو تصرف أحادي الجانب ومخالف لدستور الأمم المتحدة ويشكل "ضربة قاصمة" للمنظمة الدولية.." فما كنا نحاول بناءه منذ قرن يتم التنكر له..حيث اتبعت أمريكا الآن قانون الأقوى الذي تعتبر الحرب الوقائية أحد جوانبه)... !!

ومرة أخرى عاد "عز الدين محمد حسن المجيد" ابن عم صدام حسين ليصرح بأن "(النظام العراقي لا يقر بحقوق الإنسان..ويمارس أبشع وسائل التعذيب والتنكيل والقتل ضد الشعب..وارتكب مذابح جماعية بحق الأكراد في الشمال والشيعة في الجنوب..وأن صدام حسين من الصعب أن يقر بالهزيمة أو الاستسلام..حيث تعود أن يكون معانداً في أحلك المواقف..ولا يستمع إلا لرأيه هو..لأن لا أحد يستطيع إعلان رأيه الشخصي فيما يمس نظام الدولة..أو في سياسة صدام وقراراته).

وأضاف عز الدين:لقد أخطأ صدام باجتياحه الكويت.. وأن الاجتياح كان البداية الحقيقية لانهيار العراق ونظام صدام.. فقبل إعلان الحرب مع إيران كان صدام حسين يعتبر نفسه ابن أمريكا المدلل.. ورأت فيه أمريكا الأمل في تحطيم النظام الجديد في

طهران.. وكعادته لم يستشر الرئيس الجنرالات أو السياسيين.. إنما اعتمد على رأيه فقط..في تحديد خطة الحرب مع إيران.. وكان حوله وقتها بضعة حراس غير متعلمين..حيث لم يكن أقاربه – وأنا منهم – قد بلغوا من العمر ما يجعلهم على مقربة منه.ولما فكر في اجتياح الكويت..تصرف وحده أيضاً..ولم يخبر الشعب، أو الوزراء، أو أعضاء مجلس قيادة الثورة، أو وزير الدفاع،أو رئيس أركان الجيش، أو مدير طيران الجيش، أو الطيارين، أو مستشاريه، بل اتخذ القرار المصيري دون معرفة مدير جهاز مخابراته..حيث خص صدام حسين ثلاثة أفراد فقط باطلاعهم على قرار غزو الكويت..وهو حسين كامل زوج ابنته الكبرى الذي انشق بعد ذلك وتم إعدامه بعد استدراجه من الأردن وكان وقتها يشغل منصب رئيس هيئة التصنيع العسكري، وإياد فتيح الراوي رئيس الحرس الجمهوري، وصابر الدوري مدير الاستخبارات العسكرية. وقبيل الغزو بساعات قليلة اطلع صدام حسين ابن عمه على حسين المجيد بالقرار).

وأفاض عز الدين محمد حسن المجيد في سرد تفاصيل مثيرة عن ابن عمه صدام حسين..وكيف ترك سيارات المرسيدس الرئاسية واستبدلها بعدد كبير من سيارات الأجرة "التاكسي" و "البيك أب" ذات الموديلات القديمة.. حيث يقود السيارة بنفسه متنقلاً خفية داخل بغداد أو خارجها.

وهذا ما جاء أيضاً في سياق عرض "سعد البزاز" لحياة صدام حسين منذ انسحب من الكويت:

صار الرئيس العراقي يلود بخلواته.. فيذهب إلى أكواخ بنيت من الطين في مزارع معزولة..أو تراه يركن في مسكن عادي لا يستجلب الأنظار من مساكن بغداد وضواحيها.. كما كان الخوميني يفعل بين الحين والحين خلال الحرب مع العراق..وهي العادة التي طالما تندر عليها الرئيس صدام نفسه.. واتهم خصمه بأنه كان يلوذ إليها في كل مرة تمنى فيها القوات الإيرانية بهزيمة أمام القوات العراقية.

لقد تخلى صدام حسين عن قصوره الرئاسية، وسيارات المرسيدس المصفحة وصار يتنقل بسيارات "النقل" الصغيرة التي اعتاد الفلاحون على استخدامها لنقل محاصيلهم الزراعية من الأرياف إلى المدن..كما طلب مجموعة من سيارات التاكسي لتكون هي الأخرى وسيلة في التنقل خفية، واعتاد أن يلثم وجهه بـ"يشماغ" أحمر كما يفعل البدو عادة..فلا يظهر من ملامحهم غير العينين.

ولطالما طرق أبواب منازل صغيرة ليبيت عند أصحابها في الساعات الأخيرة من الليل ليغادرها في ساعات الفجر الأولي..بعد أن يكون الحراس قد قطعوا الاتصالات بين أهل الدار والعالم الخارجي طوال ساعات مبيته لديهم..حتى أن عدد هؤلاء الحراس لم يعد كبيراً كما كان في السابق..إذ بات من المعتاد أن يصرف الرئيس حراسه على دفعات وهو يتوجه أحد أماكن اختفائه..أو حتى وهو يبحث عن مبيت له في أماكن مختلفة بما فيها "مقابر" تكريت التي أغلقت جميع منافذها ولم يبق منها غير باب رئيسي واحد.. حيث أودع فيها سرير خشبي متنقل (كارافان) ليكون.. مهجعاً لرئيس الدولة.

لطالما تحدث صدام حسين عن أولئك الذين ينهزمون في داخلهم وعرّضهم للنقد والتجريح.. لكن هذه المرة لا يشعر بالاطمئنان داخل قصوره ومنازله وفي مسقط رأسه.. ولا يأمن إلى سيارته ومساعديه.. فكأنه ارتضى لنفسه التخفي الذي كان يراه عند الآخرين مؤشراً على الانحسار والعزلة والضعف.

وليس أمراً عابراً أن يضيق على رئيس الدولة فيه..فلا يجد مهجعاً يبيت فيه غير مقبرة..!!

الحرب الإعلامية
على صدام حسين

ذكرت صحيفة "لوموند" الفرنسية..أن الصحفيين الأمريكيين هم أكثر الصحفيين انتقاداً وتشكيكاً في المعلومات التي تعلنها هيئة الأركان في قاعدة السيلية عن الحرب في العراق..للدرجة أنهم بدأوا يسخرون من المتحدث باسم القيادة..الذي اعتاد أن يؤكد دائماً بالصور غير الواضحة أن كل الضربات أصابت أهدافها..ويسألونه: ألا توجد صور تظهر فشل القصف الأمريكي عن إصابة أهداف..؟ ولماذا يقتل الأمريكيون إذن على أيدي الأمريكيين إذا كانت الاسلحة تتمتع بدقة التصويب إلى هذا الحد..؟ ولماذا إذن تضربون الأحياء السكنية في بغداد..؟

وتضيف الصحيفة بأن عدداً كبيراً من الصحفيين الأمريكيين يشعرون بالسخط المتزايد..لشعورهم بأن المعلومات التي يزودون بها عبارة عن نوع من الدعاية.. وليست لها صلة بالحقيقة في حرب يشارك فيها نحو "٣٠٠" ألف جندي أمريكي وبريطاني.

لقد كانت الحرب الإعلامية.. وحتى قبل قيام الحرب..حرباً شرسة أدارتها وسائل الإعلام الأمريكية بما يخدم مصالح أمريكا.. ويبرر تحديها للشرعية الدولية في ضرب العراق.

المثير حقاً أنه وقبل الحرب بأيام قليلة، صدر بأمريكا كتاب يفضح الإعلام الأمريكي وأكاذيبه ويكشف جانباً من الوجه الأمريكي القبيح، ويفجر داخل أجهزة الإعلام الأمريكية "قنبلة ذكية" وهي الأجهزة التي تدعي الشفافية والتطهر، وتقدس حرية الرأي وحق جماهير المشاهدين والقراء في معرفة الحقيقة والخبر الصحيح.

لقد تبين من كتاب "الانحياز" أن الحقيقة هي غائبة تماماً في الإعلام الأمريكي ليس في أوقات الحرب فقط، بل وفي أوقات السلام أيضاً، وأن "الصحاف" بكل تجاوزاته

وألفاظه الغربية على لغتنا العربية، هو مجرد تلميذ في مؤسسات ومراكز الكذب والتضليل الإعلامي الأمريكية التي يملكها ويديرها أباطرة الصحافة المرئية والمقروءة والمسموعة.

لقد كان هناك ما يبرر للصحاف مبالغاته وأكاذيبه.. ووزير الإعلام العراقي The Minister of Misin –Formation.. كما أطلقت عليه صحيفة "ديلي ميرور" البريطانية، كانت بلاده تتعرض لعدوان ظالم وغزو لا يستند إلى أية شرعية دولية أو أخلاقية، وفي مواجهة كافة أسلحة التدمير الشامل التي أطلقتها الولايات المتحدة، اضطر "الصحاف" إلى أن يستخدم الإعلام كسلاح لرفع معنويات الجنود العراقيين ودفع الثقة إلى الشعب.

لكن "الصحاف" الذي انبرى حملة الأقلام بالهجوم عليه وفضح حملته الإعلامية، لم يكن الكاذب الوحيد في معركة العدوان.فالتلفزيون الأمريكي، وبيانات القيادة العسكرية الأمريكية في "قطر" كانت كاذبة ومضللة، وفرضت القيادة الأمريكية على الصحفيين المرافقين للجنرال "تومي فرانكس" حظراً شاملاً على أخبار الغزو، ومنعتهم من إرسال أخبار أو صور أو أفلام قبل عرضها على "الرقيب العسكري"..!!

أيضاً صدرت الأوامر بإعادة صحفيين أمريكيين نشروا أخباراً تتعارض مع خطة الغزو، وأهدافه، وفصلت شبكة تلفزيون NBC مراسلها في بغداد الصحفي اللامع "بيتر ارنيت" لأنه أدلى بحديث للتلفزيون العراقي انتقد فيه العدوان الذي رأى مثل كثيرين من الشرفاء أنه "لا مبرر له على الإطلاق.."

فوسط هذا الجو المشوب بالشك والريب والتوتر.. لم يعد قادة البنتاجون والقوات الأمريكية النقد وفضح وضعهم العسكري فوق أرض العراق.. وظهر هذا الخوف في قرار الجيش الأمريكي ترحيل الصحفي "جيرالدو ريفيرا" مراسل شبكة تلفزيون "فوكس نيوز" من العراق، لإفشائه تحركات القوات الغربية في الحرب.

كما أثارت مقابلة أجراها التلفزيون العراقي مع مقدم البرامج "بيتر أرنيت" الذي غطى أحداث حرب الخليج السابقة من بغداد لصالح شبكة CNN الأمريكية بعرضه: (إن خطة الحرب الأمريكية الأولى في العراق آلت إلى الفشل، وأن الخطط الأمريكية فشلت في تقديراتها المتعلقة بهزيمة القوات العراقية).. وكان أرنيت أثار أثناء تغطيته لحرب الخليج عام ١٩٩١ غضب الإدارة الأمريكية واتهموه بأنه تحول إلى بوق دعاية للعراقيين.

لقد اعتاد المشاهد العربي متابعة ما يجري من أحداث عالمية في نشرات الاخبار والبرامج السياسية والاقتصادية التي تبثها شبكة تلفزيون CNNفي أكثر من مائة دولة، لكن CNN ليس التلفزيون الأمريكي، فهناك ثلاث شبكات تلفزيون أمريكية أخرى تتنافس على الخبر مع CNN ويشاهدها الملايين في شمال وجنوب القارة الأمريكية وهي NBC,ABC,CBS.

هناك أيضاً شبكة تلفزيون أمريكية خامسة جذبت في السنوات الأخيرة أعداداً كبيرة من المشاهدين وهي Fox التي بدأ إرسالها عام ١٩٩٦م، ويمتلكها المليونير "روبرت ميردوخ" والغريب أنها خلال العدوان الأمريكي الاستعماري على العراق تفوقت على جميع شبكات التلفزيون بما فيها CNN، من حيث عدد المشاهدين الذين تابعوا سمومها ورسائلها من مواقع العدوان. وكانت معظمها مبالغات وأكاذيب تتفق مع ميول صاحبها الصهيونية ومع غالبية العاملين فيها، وكانت أخبار وبرامج هذه الشبكة أكبر دليل على الانحياز والتضليل الإعلامي العنصري ضد العرب.

دفع سلوك Fox المنحاز ضد العرب، شبكة NBC التي جاءت الثالثة في الترتيب بعد فوكس وCNN، إلى التعاقد خلال فترة العدوان على العراق مع معلقين من أصل اليمين، ليعرضوا آراءهم حول العدوان، حتى يحدثوا قدراً من التوازن مع سموم وأكاذيب Fox، وقد وصف "ميشيل سافاج" المذيع اليميني مظاهرات المعارضين للحرب في عاصمة السينما هوليوود، بأن المتظاهرين يرتكبون عصياناً وخيانة ضد الوطن، أما مراسل Fox المتابع للعمليات العدوانية العسكرية ضد العراق فقد وصف مظاهرة من العراقيين تدين العدوان بأنها "قذارة هائلة"!

وبالرغم من التعتيم الإعلامي الذي يحاول التلفزيون الأمريكي ممارسته، من خلال عدم عرض مشاهد القتل والدماء والأسرى الأمريكان في حرب العراق..فإن هذه الصور تسربت عبر شاشة قناة "الجزيرة" والقنوات العربية والأوروبية..لتقلب الرأي العام الأمريكي ورجل الشارع العادي من مؤيد للحرب والحملة الشرسة ضد صدام، إلى رافض ومشكك في كل ما يقال ويطرح عليه عبر شاشات التلفزيون الأمريكي.

وهكذا بدأ الشعب الأمريكي لأول مرة يدير مؤشر التلفزيون بحثاً عن قنوات أخرى غير أمريكية ليعرف الحقيقة كاملة دون تشويش أو تزييف..بدلاً من تلك الصور الوردية عن الجنود الهادئين في الكويت والعراق، والذين يظهرون عبر شاشات التلفزيون كأنهم في نزهة قصيرة في بلاد الشرق..تلك الصور التي غرق فيها المشاهد الأمريكي طوال الأيام الأولى من الحرب، والجنود الأمريكيين.. ولم يفيقوا إلا على صرخة والد أحد الجنود الذين قتلوا في الحرب وهو يصرخ عبر شاشات التلفزيون: استرحت يا بوش.. بعدما أخذت ابني الوحيد!!

حالة من عدم الاطمئنان بدأت تتسرب إلى نفوس الشعب الأمريكي، بعد أن تسرب الشك إليهم في صدق وصحة ما يذيعه الإعلام الأمريكي عن الحرب وعدد الأسرى والقتلى.. انعكس هذا الأمر على استطلاعات الرأي العام.. حيث أعلن استطلاع معهد "جالوب" أن الذين يعتبرون أن الحرب تسير على ما يرام تراجعت إلى ٤٤ ٪ بعد أن كانت ٦٢٪ في بداية الحرب.. وبدأت تزيد نسبة المعارضين للحرب في أوساط الناس العاديين الذين كانوا يرون في البداية أنها مجرد حرب هادئة ستنتهي سريعاً بدون خسائر في الأرواح.. ولن تأخذ وقتاً أو جهداً وربما لن يشعروا بها كما حدث في حرب أفغانستان قبل عام واحد فقط.. لكنهم فوجئوا بواقع أن العراق ليس أفغانستان، وأن الشعب العراقي لم يستقبل الجنود الامريكيين بالورد كما قيل لهم دائماً..أو كما صور لهم الإعلام الامريكي.

لذلك فإن أكبر صدمة للشعب الأمريكي كانت هذه الأكذوبة التي صورت العراق فريسة سهلة المنال.. ولن يسامح الشعب الأمريكي إعلامه وقادته وعسكرييه على الأخطاء التي ارتكبوها في هذه الحرب، والخطأ الأكبر في عدم تقدير القوة الحقيقية للشعب العرقي ولصدام حسين.. ما عرض أبناءهم للقتل والأسر.

بوادر الصدمة ظهرت واضحة في خروج الشعب الامريكي عن حالة السلبية التي اصابته في حرب أفغانستان وقبل أيام من بداية الحرب على العراق باعتبارها حرباً عادية سريعة .. حيث بدأت تشهد شوارع المدن الكبرى في امريكا مظاهرات يومية تعترض على ما يحدث داخل العراق ، وتطالب الإدارة الأمريكية بضرورة التراجع عن الاستمرار في هذه الحرب ..كما أن أعدادا ليست قليلة قررت بالفعل التوجه إلى العراق ، للانضمام إلى مجموعة الدروع البشرية من المتطوعين للتصدى للهجوم الأمريكي .. ويقال إن هناك عددا من أبناء المسئولين الغربيين قد تطوعوا كدروع بشرية في العراق ومن بينهم ابن رئيس الوزراء الكندي.

جاء ذلك رد فعل لسعي الإعلام الأمريكي، إلى تهيئة الناس إلى ضرورة صحة ومشروعية الحرب من أجل سلامة العالم، مؤكداً أن العراق المحاصر منذ أكثر من عشر سنوات غير قادرة على مواجهة آلة الحرب الأمريكية، وأن الشعب العراقي نفسه يريد وينتظر الأمريكان لتحريره، وصدق الشعب الامريكي الساذج هذا الزعم.

ورغم سماح وزارة الدفاع الأمريكية لحوالي "٥٠٠" صحفي بمصاحبة القوات الأمريكية لتغطية أخبار الحرب، فإنها قيدتهم بـ"١٢" صفحة من التعليمات التي أقرها البنتاجون، منها عدم السماح بنشر الصور بشكل مباشر إلا بموافقة السلطات، وأيضاً أصبح من حق البنتاجون أن يقرر منع بث أي صور لا يراها مناسبة.

وقد ازدادت الحرب الإعلامية شراسة بعد أن بدأت تهتز صورة القنوات الأمريكية أمام الرأي العام الأمريكي والعالمي، وبدأت تسعى بكل شراسة إلى استعادة الثقة المفقودة عن طريق بث المزيد من المواد المعدة والتحقيقات الصحفية، التي تؤكد وتثبت كذب الإعلام العربي والغربي، ويبدأ يظهر على التلفزيون الأمريكي عراقيون ومسلمون مؤيدون للحرب ومناهضون لنظام صدام حسين.

ومع ذلك فالواقع كان يؤكد أن الشعب الأمريكي تعلم لأول مرة، كيف يدير مؤشر التلفزيون بحثاً عن معلومات، بعيداً عن قنواته التي اعتادها مثل CNN و ABC وNBC، خاص، بعد أن أكدت الدراسات الإعلامية أن ٣٠٪ من التصريحات السياسية والعسكرية في وقت المعركة، تكون مضللة كجزء أساسي من الحرب النفسية.

وعرف الشعب الامريكي كيف يتم اختيار بعض الاخبار وعرضها بصورة مكثفة على الرأي العام، في حين يتم التعتيم على بعض الأخبار، فكما قال وزير الدفاع الامريكي "دونالد رامسفلد" عن الحرب: " إن ما نراه على شاشات التلفزيون ليس الحرب ضد العراق ولكن أجزاء من الحرب" إذن فهناك مواد يتم بثها بينما تحجب مواد أخرى عن الرأي العام.

وبعد أن ثبتت مصداقية الفضائيات العربية مثل: الجزيرة وأبو ظبي وغيرهما في التغطية الإعلامية، وبعد أن كانت المحطات الأمريكية تنقل عنهما الأحداث والأخبار..اختفت علامة القنوات العربية من الشاشات الأمريكية..كنوع من تحويل الأنظار عنها بعد أن عرفها المواطن الأمريكي واعتاد أن يرى قنواته تنقل عنها أهم الأحداث منذ حرب أفغانستان ورسائل بن لادن التي خص بها قناة الجزيرة.وهذا ما يبرر الحرب الشرسة ضد قناة الجزيرة واتهامها بأنها انتهكت الاتفاقات الدولية بعرض صور الجثث والاسرى الأمريكيين على شاشة التلفزيون..تلك الصور التي رفضت القنوات الأمريكية بثها ليس بالطبع حفاظاً على المشاعر العامة،لكن كجزء من خطة التضليل الإعلامي التي انتهجتها.

وفي ٨ ابريل ٢٠٠٣ قصفت القوات الأمريكية فندق فلسطين ببغداد، بغية التخلص من الصحفيين الذين يغطوا أخبار المعارك في بغداد..وقتل في الفندق مراسل "الجزيرة" الأردني الجنسية "طارق أيوب" متأثراً بجراحه.. وأصيب زميله المصور.

وقع الحادث عندما كانت قناة الجزيرة تبث لقطات مباشرة، لخروج دبابتين أمريكيتين من المجمع الرئاسي في بغداد للتمركز فوق نهر دجلة..وعلق عسكري أمريكي على الحادث بأن دبابة أمريكية أطلقت النار "مرة واحدة" على فندق فلسطين.. وأعلنت "الجزيرة" أن القصف على مكتبها في بغداد كان متعمداً بدليل أنه تعرض "لصاروخين" جو – أرض وليس صاروخاً واحداً.

وقال مراسل للجزيرة ببغداد: "نحن شهود على الحرب ولسنا طرفاً فيها.. ونحاول أن ننقل الحدث كما هو".

وكانت القوات الأمريكية قد قصفت فندق فلسطين عمداً.. ما دفع الصحفيين الذين يتابعون أنباء الحرب إلى الهروب إلى ساحة الفندق والتجمع في الحديقة المقابلة، خوفاً من معاودة القصف الذي قتل فيه أيضاً "تراس بستايوك" مراسل وكالة "رويترز" وهو أوكراني الجنسية، وفي ذات اليوم أيضاً وجه رئيس طاقم قناة أبو ظبي في بغداد استغاثة دولية لإنقاذه وفريقه المكون من "٢٥" شخصاً، بعدما حوصروا وسط منطقة العمليات العسكرية.. وقال إن هذه المجموعة من الأفراد المدنيين الوحيدين في المنطقة.. وطالب جميع المسئولين بالتنسيق مع الصليب الاحمر الدولي لإنقاذهم من منطقة العمليات الملتهبة.

وأشارت التقارير أن صحفيين أمريكين وأوروبيين لقوا مصرعهم..منهم مراسل "الموندو" اليومية الأسبانية.. للتغطية على الأسرار الحقيقية للحرب التي تحاول أمريكا عدم تسريبها، وللتستر على سير العمليات بما تواكب مع ما تعلنه من بيانات محسوبة بدقة.

لقد أرادت أمريكا أن تطبق على الإعلاميين من جميع أنحاء العالم قاعدة "صمت الحملان" حتى ولو كانوا من كبار الصحفيين العالميين الذين احترموا شرف مهنتهم..وكان من بينهم "بيتر أرنيت" – ٦٨ عاماً – الذي يعد واحداً من اشهر الصحفيين الأمريكيين.. وتم فصله من عمله أثناء الحرب وقبيل دخوله بغداد ..لأنه تجرأ وقال الحقيقة التي أوجعت قيادة بلاده.

فبحكم خبرته الطويلة في تغطية الحروب..وجد أرنيت – مراسل شبكة N.B.C أن القيادة العسكرية الأمريكية فشلت في تخطيطها للحرب بسبب المقاومة الشرسة للعراقيين.. والتي لم يضع العسكريون لها حساباً.

دفع "أرنيت" ثمن صراحته على الفور..إذ تم فصله من عملين له في الولايات المتحدة..شبكة N.B.C والجمعية الجغرافية الامريكية المهتمة بالحضارات والاكتشافات الأثرية National geographic ..وفي أقل من ٢٤ ساعة تم تعيينه في جريدة "ديلي ميرور" البريطانية الشهيرة بمعارضتها للحرب..وأعلن رئيس تحريرها "بيتر مورجان" سعادة جريدته بتعيين "أرنيت" باعتباره واحداً من أكثر الصحفيين المحترمين في العالم وحتى تتمكن جريدته من تقديم الحقيقة التي منع أرنيت من إعلانها.

لقد اعتاد "أرنيت" إرسال تقاريره الحية ورسائله المباشرة بينما في الخلفية أصوات انفجارات قنابل B–٥٢ ..وأعلن في تقريره الأخير أن أمريكا ألقت "٣" آلاف قنبلة على بغداد.

وفي حرب الخليج الثانية عندما قصفت الطائرات الأمريكية مصنعاً لألبان الاطفال.. وقف "أرنيت" بين أطلال المصنع ونبش الرماد المشتعل، إلى أن عثر على علبة "لبن" ففتحها أمام الكاميرا، وأخذ يشرب مما بداخلها وهو يردد: هذه العلبة مليئة بالسم الكيماوي الذي تدعي أمريكا أنها قصفت المصنع لأجله..إنني الآن أشرب السم الذي تبثه أكاذيب بلادي..!!

وعمـا يقـال عن إجراء اتصالات سرية مع الجنود العراقيين يقول "بيتر أرنيت" إنه كـان يـرى العراقـيين في الشـوارع يقولـون إنهـم سوف يهاجمون الأمريكيين في كل مكان وبـأي طـريق مـتاح وسـوف يقـتلونهم..فالعراقـيون يؤمـنون أنـه من الشجاعة والنبل أن تحـارب بهـذه الطـريقة.. وبالطـبع الشـجاعة والنبل لهما مفهوم تختلف عند الأمريكيين.. ويؤكـد "أرنيت" أن العراقيين يشبهون الثوار الفلسطينيين الذين يستشهدون بتفجير أنفسهم. هـذا جـزء مـن تقريـر طويـل أرسله أشهر مراسلي الميديا الأمريكية الحاصل على جائزة "بوليترز" الصحفية.

وفي كـتابه "بـوش ضد صدام" يسلط الكاتب الفرنسي "جون جيزنيل" الضوء على مـا يسـميه "مـنظمات تزييف الحقائق" فيذكر أن هناك تواطؤاً بين الصحف الأمريكية وبين من يغذيها بالمعلومات.. وبث الإشاعات..

ويشـير الكـتاب إلى أن هـناك مكتـباً مـلحقاً بالبنـتاجون يشـرف علـيه "دونـالد رامسـفيلد" وزيـر الدفـاع بنفسه، مهمته تزييف الحقائق وبثها على الكوكب الأرضي قاطبة لخدمة السياسة الأمريكية.

وهـناك أيضـاً وحـده تعـرف باسـم "وحدة التأثير الاستراتيجي" ميزانيتها عشرات الملايـين مـع الـدولارات، ولقـد وقعـت عقـداً بحوالي "١٠٠" ألف دولار شهرياً مع شركة اتصـال أمريكـية تعـرف باسـم "ريـندون جـروب" تعمل في مواقع استشارية لعدد من دول الخلـيج، وتـتعاون مع جهاز الـ C.I.A والمعارضة العراقية معاً..وتتعامل هذه الشركة مع صـحفيين وكـتاب في الشـرق الأوسـط والعـالم العـربي، وآسيا وأوروبا، فتعطيهم رسائل صـحفية، وتعلـيقات، وتمدهـم بالمعلومـات الـتي تـتوافق مـع أمنـيات ورغـبات الإدارة الأمريكـية، وتفصـيل الخـيارات الخاصـة بالحرب والاستراتيجية الأمريكية في بلادهم، في مقـابل رواتـب شـهرية تصل إليهم بطرق خفية حتى لا يفتضح أمرهم، ولضمان ولائهم وانحيازهم التام لكافة الطروحات الأمريكية..

ولقد أثير حديث حول هذه الوحدة "وحدة التأثير الاستراتيجي" فصدر ما يؤكد أنها ألغيت، لكن "رامسفيلد" عاد ليؤكد أن إلغاءها تم "على الأوراق" لكنها ما تزال تمارس أنشطتها..

وكانت صحيفة "لوس انجلوس تايمز" قد نشرت من قبل عن خطط احتكار المعلومات، وأشارت إلى إدارة المعلومات الموجهة إلى العامة، ورقابة المصادر الصحفية، والسيطرة على الرأي العام.. وذكرت أن هناك رسائل إعلامية تهدف إلى ترويج المصالح الأمريكية في الخارج لتجنيب سوء الفهم..وأوضحت أن "وحدة التأثير الاستراتيجي" تقوم بتسريب معلومات لكي تبتلعها الصحافة الأمريكية والعالمية لخدمة المصالح الامريكية..

والخلاصة..لقد كانت تغطية حرب العراق هذه المرة مختلفة عن أي تغطية لحرب أخرى..فقد أصبحت الفضائيات سلاحاً فعالاً مثل الدبابة والصاروخ..وقد اعتمدت أمريكا في البداية على التدمير النفسي للعراقيين بواسطة الفضائيات، حتى تتم العملية الجراحية دون ضحايا، وينقسم العراقيون على أنفسهم فيسقط النظام العراقي من تلقاء نفسه.

لكن التخبط الإعلامي الأمريكي والمنافسة القوية لتوضيح الحقائق من قناتي الجزيرة وأبو ظبي، جعلت من معلومات مضللة بثها الأمريكان في البداية شيئاً ليس له قيمة، فحسم معركة أم القصر، وشبه جزيرة الفاو عند الـ"CNN" فضحته لقاءات الجزيرة وتصويرها للمعارك وهي دائرة ما تزال، وحوارها مع قائد الفرقة "٥١" على الهواء مباشرة.

وقد كانت حرب "الناصرية" التي أعلن "تومي فرانكس" أنها قد انتهت..ثم عاد مجبراً بعد البث العراقي لصور القتلى ليعلن أن الحرب تتميز بالمرونة، وأن الناصرية ما زالت تقاوم، وأنه ما زالت هناك معارك..أيضاً تصريح مقتل طه ياسين رمضان كذبه ظهوره الإعلامي الذي شتم فيه العرب جميعاً.

وعـدم وقـوع ضحايا من الجنود الأمريكان كذبته الجزيرة بصورة القتلى والجثث. واتهـام الأحـوال الجوية بأنهـا السـبب في سـقوط المروحـية أباتشـي تشكك فيه مشاهدو الفضائيات الأخرى..الذين شاهدوا سقوط الأباتشي ببندقية الفلاح العراقي البسيط.

وتناقض التصـريحات الأمريكـية أيضـاً كانـت مدعـاة للسـخرية هـزت صورة العمـلاق الأمـريكي تماماً، ومنها ادعاء أمريكا بأن كل حوادث الطائرات نتيجة أخطاء من الجيش الأمريكي نفسه، وليس نتيجة تصدي المدفعية المضادة لجيش العراق.

وأيضـاً الادعـاء بأن ما حدث من إصابات في معسكر القوة "١٠١" شمال الكويت مـن فعـل جـندي أمـريكي مـتطوع، وكأننا نسينا ما فعله مواطنون استشهاديون من داخل الكويت نفسها في جنود أمريكا قبل ذلك.

أمـا العـرض الحـي لمطـاردة الطـيارين في نهـر دجلـة فقـد تفـوق عـلى الأفـلام الهولـيودية، وصـرنا كأنـنا نتابع فيلماً من إنتاج هوليود، وكانت هذه المتابعات الحية المثيرة عـلى الهـواء هـي أهـم مـا مـيز التغطـية الإعلامـية في هـذه الحـرب، وكان اهتمام سعيد الصـحاف بـرجال الإعـلام مـن المراسلين ومعاملاتهم معاملة الرؤساء هو أهم دليل على تأثير الإعلام في مسار الحرب.

وتأتي صور الأسرى الأمريكيين التي بثها التلفزيون العراقي..أحد أهم الضربات الموجعـة حقـاً لقلـب أمـريكا..فقـد كانـت نظـرات الأسـرى – وكانت من بينهم إمرأة – تفـيض بكـل دلالات الرعـب والفزع..وهي تتقلب في الوجوه عبر الشاشة لتبث الصدمة في البنـتاجون..والشـارع الأمـريكي والـبريطاني.. ويسارع الرئيس بوش المذعور مستنكراً باتهـام العـراق بمخالفـة اتفاقـية جنـيف لمعاملـة الأسرى..التي تمنع استجوابهم على الملأ، ونشر صورهم وهـم في أحلك لحظات الخوف والضعف الإنساني بين قيود الأسر.

المراجـــع

١. إبراهيم زيد الكيلاني، د. همام عبد الرحيم سعيد، صالح ذياب الهندي، دراسات في الفكر العربي الإسلامي: ط ٣ عمان، دار الفكر ١٩٩٢.

٢. علي باشا المبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلاد القديم والشهرة، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر.

٣. عبد اللطيف حمزة الفاشوش في أحكام قراقوش لابن مماتي ط١ . أخبار اليوم القاهرة.

٤. د. أحمد فهد ادعى- الحرب تستهدف الإسلام – القاهرة، بدون دار نشر – ٢٠٠٠.

٥. سامر حشيمة – الأمير بهاء الدين قراقوش الأمير المفترى عليه رداً على ابن مماتي في كتابه الموضوع الفاشوش في أحكام قراقوش – عمان – دار الأمين – ٢٠٠٤م.

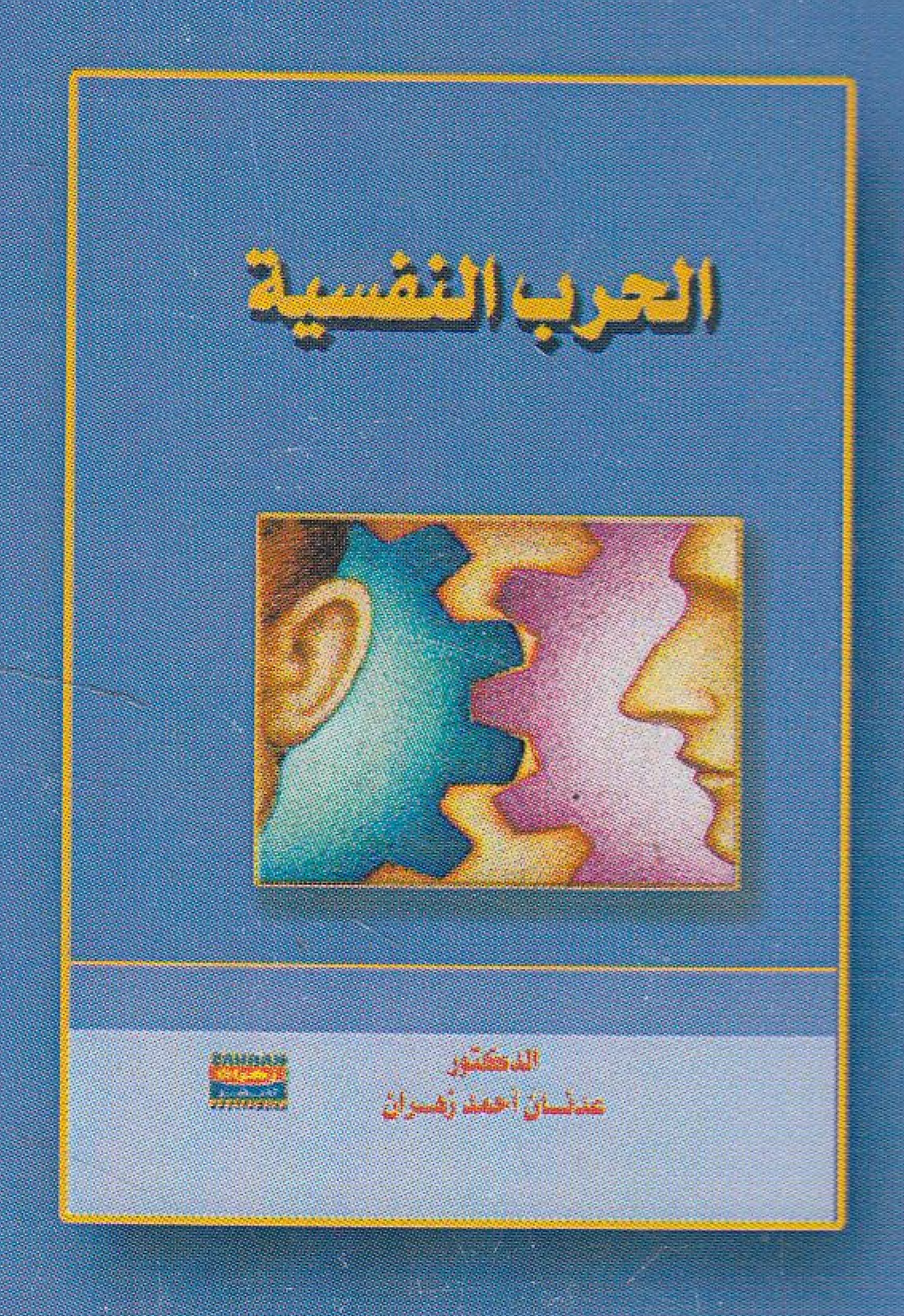
٦. د. أحمد نوفل – الإشاعة – عمان – دار الفرقان ١٩٨٣.

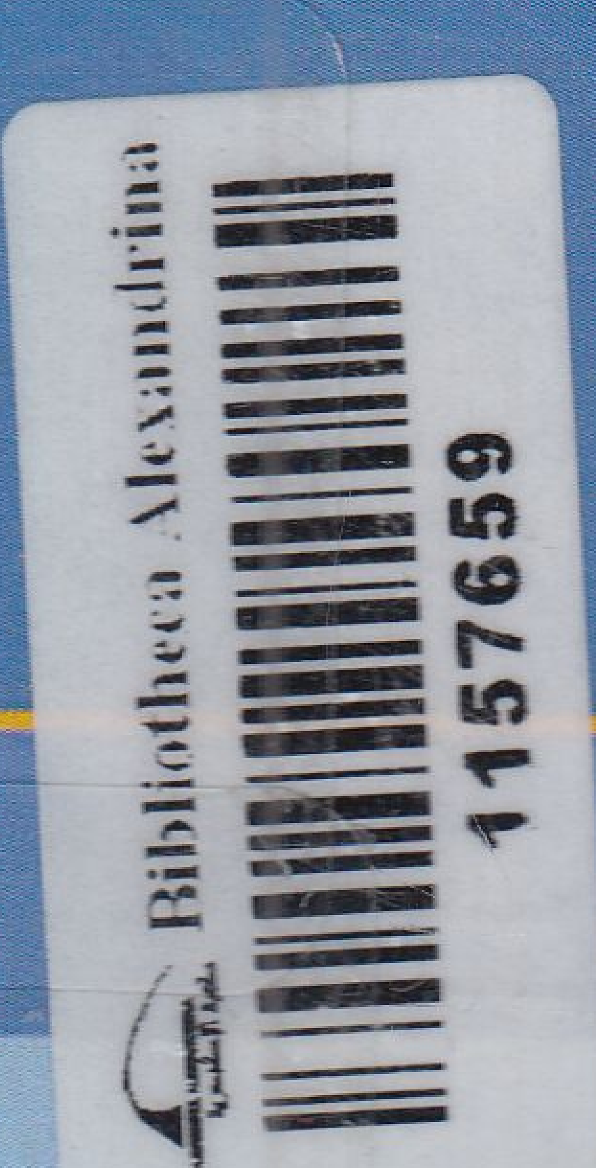
٧. د. عزمي طه السيد وزملائه – الثقافة الإسلامية – عمان – دار المناهج.

٨. عبد الوهاب النجار – قصص الأنبياء، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٤ جواد حسني – القاهرة.

٩. بسام عبد الوهاب الجابي: قراقوش، دار أبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان – ١٤٢٠ – ١٩٩٩.

١٠. أملين نسيب: نوادر قراقوش وأبي العفياء وطرائفها ط١ / آذار – مارس ١٩٤٠ درا العلم للملايين – بيروت – لبنان.





الـرواد والمرجع الأصدق للكتاب الجامعي الأكاديمي

دار زهــران للنشــر والتوزيــع

تلفاكس: 0096265331289 ص.ب: 1170 عمــان - الرمز البريدي: 11941 الأردن
E-mail: zahran.publishers@gmail.com www.zahranpublishers.com

